



جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

استراتيجيات الخطاب في كتاب جَمهرة خُطب العرب

رسالة قدمتها الطالبة

مريم سلمان مهدي

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة المثنى وهي جزء من
متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها / اللغة.

بإشراف

الأستاذ الدكتور

عايد جدوع حنون

٢٠٢١ م

٥١٤٤٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

[النحل: ١٢٥]

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمُ

اقرار المشرف

أشهد أنّ إعداد رسالة الطالبة (مريم سلمان مهدي) الموسومة بـ(استراتيجيات الخطاب في كتاب جَمهرة خُطب العرب) جرى بإشرافي في جامعة المثنى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها/لغة.

الإمضاء:

المشرف: أ. د. عايد جدّوع حنّون

التاريخ: / / ٢٠٢٠م

بناءً على التوصيات المتوافرة أُرسّح هذه الرسالة للمناقشة:

رئيس قسم اللغة العربية

الإمضاء:

الاسم: أ. م. د أحمد حسين عبد السادة

التاريخ: / / ٢٠٢٠م

قرار لجنة المناقشة

نشهدُ نحنُ أعضاء لجنة المناقشة أننا اطلعنا على الرسالة الموسومة بـ(استراتيجيات الخطاب في كتاب جَمهرة خُطب العرب) المقدمة من الطالبة (مريم سلمان مهدي) وقد ناقشناها في محتوياتها، وفيما له علاقة بها، ونعتقد أنها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها/ لغة، بتقدير (جيد جداً عال).

الإمضاء:

الاسم: أ. د عايد جدوع حنون

عضواً ومشرفاً

التاريخ: / /

الإمضاء:

الاسم: أ. م. د ورود سعدون عبد

عضواً

التاريخ: / /

الإمضاء:

الاسم: أ. م. د محمد ياسين عليوي

عضواً

التاريخ: / /

الإمضاء:

الاسم: أ. د علي فرحان جواد

رئيس اللجنة

التاريخ: / /

مصادقة مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة المثنى.

الإمضاء:

أ.م.د باسم خيري خضير

عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة المثنى

التاريخ: / /

الإهداء

إلى الروح التي علمتني معنى الكفاح والصبر...
... الروح التي حصدت الأشواك عن دريبي؛ لنمهد لي طريق العلم...
والدي العزيز.

... التي في دِفِّ قلبها احنمني وبين ضلوعها اخنبي...
... أنس قلبي وزينة حياتي...

أمي الحنون.
... الروح التي سكنت تراب الوطن، وتعطرت برائحة الشهادة حتى
غار منها الياسمين...

أخي الشهيد جبار.

إليكم أهدي ثمرة جهدي هذا.

شكرٌ وعِرفان

أشكر الله سبحانه وتعالى وأحمده على ما تفضل عليّ به من إتمام هذه الدراسة، فالحمد لله حمدا كثيرا.

وأقدم بالشكر إلى عنوان التضحية والإيثار ... والذي العزيز.

وشكري إلى من بتراتيل دعائها أتممت عملي ... أمي الحبيبة.

وشكري وعرفاني لمن خط لي حلم الماجستير، ورحل قبل أن يشاركني فرحة تحقيقه...

أخي الشهيد جبار.

وأقدم بجزيل الشكر، وعظيم الامتنان إلى: أستاذي المشرف الدكتور عايد جدوع حنون، لما قدمه لي من الملاحظ القيمة، والتوجيهات السديدة، والمتابعة الدقيقة لكل خطواتي في إعداد هذه الدراسة؛ فجزاه الله عني الجزاء الأوفى.

والأساتيد: الدكتور باسم خيرى خضير عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية، والدكتور علي فرحان جواد، اللذين لم يبخلا عليّ بتقديم ما بحوزتهما من مصادر أعاننتني في كتابة هذا البحث. والشكر والعرفان إلى جميع أساتيدي الأفاضل في قسم اللغة العربية، وإلى رئيس قسم اللغة العربية الدكتور أحمد حسين عبد السادة.

وإلى موظفي مكتبة كلية التربية للعلوم الإنسانية المحترمين.

وكلّ من أعانني بكلمة أو دعوة صالحة أو تشجيع

الباحثة

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ - هـ
التمهيد: (جَمْهَرَة خُطَب الْعَرَب فِي عُصُور الْعَرَبِيَّة الزَّاهِرَة، واستراتيجيات الخطاب)	١١-١
أولاً: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة	٣-٢
ثانياً: استراتيجيات الخطاب	١١-٣
أ - الاستراتيجيات	٦-٣
١- مفهوم الاستراتيجية	٤-٣
٢- النص والخطاب	٥-٤
٣- الكفاءة اللغوية، والكفاءة التداولية	٥
٤- مفهوم استراتيجية الخطاب	٦-٥
ب - عناصر التواصل	٨ -٦
١- المرسل	٧ -٦
٢- المتلقي	٨-٧
٣- المعرفة المشتركة	٨
ج - العوامل المؤثرة في اختيار استراتيجية الخطاب	١١-٩
١- المقاصد	٩
٢- السلطة	١٠-٩
٣- علاقة السلطة بالقصد	١١-١٠
الفصل الأول: الاستراتيجية التضامنية	٣٦-١٢
توطئة	١٤-١٣

٢٤-١٥	المبحث الأول: الاستراتيجيات اللغوية
٢٤-١٥	الإشارات الشخصية
٢١-١٥	١- الضمائر
٢٤-٢١	٢- العلم (الاسم، الكنية)
٣٢-٢٥	المبحث الثاني: استراتيجيات تتعلّق المرسل
٢٦-٢٥	١- كشف الذات
٢٧-٢٦	٢- نكران الذات
٣٠-٢٧	٣- تأنيب الذات
٣٢-٣٠	٤- التصغير أو التقليل
٣٦-٣٣	المبحث الثالث: استراتيجيات تتعلّق بالمتلقي
٣٤-٣٣	١- ذكر خصائص المتلقي
٣٦-٣٥	٢- تقنية الذيل
٧١-٣٧	الفصل الثاني: الاستراتيجية التوجيهية
٣٨	توطئة
٦٥-٣٩	المبحث الأول: الاستراتيجيات الطّلبة
٤٤-٣٩	أولاً: الأمر
٤٨-٤٤	ثانياً: النهي
٥١-٤٨	ثالثاً: النداء
٥٧-٥٢	رابعاً: التحذير
٦٠-٥٧	خامساً: الإغراء

٧١-٦٠	سادساً: الاستفهام
٧١-٦٦	المبحث الثاني: استراتيجية التوجيه بألفاظ المعجم
١٢٢-٧٢	الفصل الثالث: الاستراتيجية التلميحية
٧٥-٧٣	توطئة
٨٣-٧٦	المبحث الأول: الاستراتيجيات اللغوية
٨١-٧٦	١- ألفاظ الكنايات (كذا، كيت)
٨٣-٨١	٢- التعبير الاصطلاحي
١٠٥-٨٤	المبحث الثاني: الاستراتيجيات البيانية
٩٠-٨٦	١- التشبيه
٩٢-٩٠	٢- التمثيل
٩٥-٩٢	٣- الاستعارة
٩٩-٩٦	٤- الكناية
١٠٥-٩٩	٥- التعريض
١٢٢-١٠٦	المبحث الثالث: الاستراتيجيات التداولية
١١١-١٠٨	١- الاقتضاء التداولي
١١٥-١١١	٢- الاستلزام الحواري
١١٨-١١٥	٣- الأفعال الكلامية غير المباشرة
١٢٢-١١٩	٤- الحدث الكلامي (فحوى الخطاب)
١٥٤-١٢٣	الفصل الرابع: الاستراتيجية التأثيرية
١٢٤	توطئة

١٣٨-١٢٥	المبحث الأول: استراتيجيات الحجاج
١٢٨-١٢٥	أولاً: تقنية الإقناع بالحجاج السفسطائي
١٣٠-١٢٨	ثانياً: تقنية الإبطال بالروابط الحجاجية
١٣٣-١٣٠	ثالثاً: تقنية الإبطال بالروابط والسلمييات الحجاجية
١٣٨-١٣٣	رابعاً: تقنية الإخضاع والتوجيه بالعوامل الحجاجية
١٣٦-١٣٤	١- تقنية الإخضاع بالقصر (النفي والاستثناء)
١٣٨-١٣٦	٢- تقنية التوجيه بعامل النفي
١٥٤-١٣٩	المبحث الثاني: استراتيجيات الاحتجاج
١٤١-١٤٠	١- الآيات القرآنية
١٤٥-١٤٢	٢- الأحاديث النبوية
١٤٧-١٤٥	٣- الشواهد الشعرية
١٥٠-١٤٨	٤- الأمثال
١٥٢-١٥٠	٥- القصص
١٥٤-١٥٢	٦- الوقائع
١٥٨-١٥٥	الخاتمة
١٧٩-١٥٩	المصادر والمراجع
A _ B	ملخص باللغة الإنكليزية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربَّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، الصادق الوعد الأمين
محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين،
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاللغة من أكثر الوسائل التي يستعملها الأفراد؛ لتبليغ أغراضهم والإفصاح عن سرائرهم، و
لبلاغة الخطباء الأثر الأكبر في استثمار قواميس اللغة التي تولدت منها لغة الخطب والتي
تراوحت بين السهولة والبساطة أحياناً وبين القوة والإيحاء أحياناً أخرى، بحسب الظروف والسياق
الذي أنتجت فيه؛ فاللغة وسيلة فعالة في التأثير والإقناع، ولا يتجسّد الخطاب إلّا عبر اللغة؛
لأنّها حلقة وصل وعصب حساس بين المرسل والمتلقي في إحداث التواصل.

ولأنّ موضوع الخطاب محكوم بعلاقات متعددة الأبعاد، ويستند إلى مقاصد قائله ومرتبطة
بسياق معين، فلا بدّ أن يكون لكلّ مرسل طرائق وخطط يتبناها في صنع خطابه، وتوظّف أدواته
اللغوية؛ ليبني خطابه على وفق استراتيجية معينة ومن دون معرفة الاستراتيجية يبقى الخطاب
يخفي جانباً مهماً من ناحية خلفيات إنتاجه وملابساته، وقصدية المرسل من خطابه، إذ لا شك
في أنّ لكل مرسل للخطاب قصد من وراء خطابه.

ولذا اهتم فلاسفة اللغة بدراسة استراتيجيات الخطاب في العصر الحديث وأول دراسة
للاستراتيجيات كانت لـ ((جون جورج قمبرز John J Gumperz في كتابه المعروف
استراتيجيات الخطاب. وقد كان هدفه من هذا الكتاب وضع مقاربات تحليلية interpretive
لعمليات المحادثة التي يلتقي فيها المتحدثان وجهاً لوجه في إطار اللسانيات الاجتماعية، وقد
كانت استراتيجياته استراتيجيات تلقي الخطاب وليس استعماله من لدن المتكلم أو الكاتب))^(١).
وأفاد الدكتور عبد الهادي بن ظافر الشهري من هذه الدراسة في تأليف كتابه (استراتيجيات

(١) تحليل الخطاب وتجاوز المعنى نحو بناء نظرية المسالك والغايات، د. محمد محمد يونس علي: ٧٢.

الخطاب مقارنة لغوية تداولية) صدرت طبعته الأولى في عام ٢٠٠٤م، تحدث فيه عن أربعة استراتيجيات كبرى هي: (التضامنية، والتوجيهية، والتلميحية، واستراتيجية الإقناع) ثم أعاد طباعة الكتاب في عام ٢٠١٥م، مضيفاً إليه استراتيجية خامسة (الاستراتيجية السيميائية). وعنيت دراسته بالتنظير أكثر من التطبيق، وكانت أكثر أمثله مقتصرة على جمل وفقرات مستمدة من الحياة اليومية، موظفاً وسائله وآلياته التي تمكنه من إنجاز خطابه مع الأخذ بالحسبان السياق والقصد من وراء الخطاب، فهذه الأمور تمكن المتلقي من قراءة الخطاب؛ لتصنيفه في أي استراتيجية يضعه، ومما لا شك فيه أنّ الاستراتيجية الخطابية المختارة تظهر بالخطاب نفسه، وبالأدوات اللغوية المستعملة فيه، فلا يمكن أن نحكم على طبيعة الاستراتيجية الخطابية التي استعملها المرسل ما لم نتمكن من قراءة خلفية مرسل الخطاب ومعرفتها، هذا يمثل ملامحاً لقراءة جديدة للخطاب، ولا شك في أن كل مرسل خطاب له قصد واضح من وراء خطابه، يستعمل أفضل الخيارات من وسائل لغوية وآليات؛ لإبلاغ مقصده والتأثير بالمتلقي والتفاعل معه بالأساليب والخطط التي يتبناها في صنع خطابه. واستراتيجيات الخطاب تتنوع بحسب السياق وظروف الخطاب وملابساته، فأحياناً يتطلب السياق استعمال الاستراتيجية التضامنية إذا قصد المرسل بناء علاقة طيبة مع متلقي الخطاب أو توطينها، أو أنّه يميل إلى الاستراتيجية التوجيهية إذا كانت غايته تحقيق بعض الأعمال الإنجازية من غير مراعاة لاعتبارات التضامنية.

وهذا يؤكد أنّ المؤشرات اللغوية في الخطاب هي التي تحدد الاستراتيجية المختارة من مرسل الخطاب في تبليغ قصده للمتلقي، حتى أننا قد نجد هناك خطابات يمكن قراءتها وتحليلها على وفق أكثر من استراتيجية؛ لتوافر أدوات تلك الاستراتيجيات في النص ذاته. وهذا الأمر مكننا من إضافة بعض الاستراتيجيات كالاقتضاء التداولي ضمن الاستراتيجية التلميحية، واستراتيجية الذيل ضمن الاستراتيجية التضامنية، وآلية الاحتجاج ضمن الاستراتيجية التأثيرية، فقد فرضت مادة النص هذه الاستراتيجيات لتوافر أدواتها في خطب العرب على الرغم من أنّ الدراسة السابقة لم يلتفت إليها .

أما سبب اختيار الموضوع فتعود لأستاذي المشرف الدكتور عايد جدوع حنون، وبعد نقاش دار بيننا جعلني أميل شيئاً فشيئاً إلى اختياره، ووجدت نفسي راغبة فيه، وبعد اطلاعي على

الموضوع وجدت نفسي منجذبة إليه وميالة له رغبة مني في معرفة الاستراتيجيات التي سلكها العرب أصحاب البلاغة والبيان في تبليغ قصدهم للمتلقي، ومدى تأثيرهم فيه، ووجدت في هذا العنوان الفرصة التي تلبي طمحي بالدراسة على وفق المنهج التداولي. وكانت هذه الرغبة سبباً في تذليل الصعوبات التي واجهتها في أثناء كتابة رسالتي. وتمت الدراسة باستقراء الخطب جميعها في أجزاء الكتاب الثلاث بمختلف عصورها، وتم الاستقراء بقراءات عدة للكتاب موضوع الدراسة، وتطلب ذلك المزيد من الوقت والجهد في كل فصل وما يتضمنه من مفاصل، فكنت أعيد قراءة الكتاب في كل مرة انتقل فيها من فقرة إلى أخرى لتحديد نسبة ورود كل استراتيجية واردة بالدراسة بالكثرة أو القلة؛ لمعرفة الاستراتيجية الأهم والأكثر استعمالاً التي تلبي طموح الخطيب في تبليغ قصده، وإقناع المتلقي بخطابه. وانتقي من هذا الاستقراء أوضح النصوص وأقربها لموضوع الدراسة، وبالنتيجة اكتفي باختيار نصين لكل استراتيجية من الاستراتيجيات الكبرى (التضامنية، التوجيهية، التلميحية، الإقناع)، وحرصت على تقديم تحليل النص الذي يحمل الغاية الإيجابية ذات التأثير الفعال في نفس المتلقي ثم الغاية السلبية في أغلب الأحيان.

ودراستي هذه الرابعة لكتاب جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة لأحمد زكي صفوت، إذ أختيرت الأولى في فلسطين بعنوان (أسلوب الشرط في خطب العرب ووصاياهم في كتاب جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت) وقد أرتأت الباحثة رسمية محمد الشراونة أن تقتصر دراستها على الجزء الأول من هذا الكتاب، الذي ضم الخطب الجاهلية التي بلغ عددها تسعين خطبة، استقرأت هذه الخطب واستخرجت ما فيها من مادة شرطية أو تتعلق بأسلوب الشرط^(١). والثانية في عمان بعنوان (التوكيد النحوي في خطب العرب ووصاياهم في كتاب جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت، دراسة نحوية دلالية) ودرس الباحث أيمن سلامة محمد صعلوك النصوص كلها في العصور جميعها، وأوضح المؤكدات التي أكثر من استعمالها العرب في خطبهم ووصاياهم، مع توضيح أنماط أسلوب التوكيد وأقسامه ومعانيه، بدراسة المثال ضمن

(١) يُنظر: أسلوب الشرط في خطب العرب ووصاياهم في كتاب جمهرة خطب العرب، لأحمد زكي صفوت، رسمية محمد الشراونة (رسالة ماجستير): ١.

نصّه الذي يوضح معناه ودلالاته المتنوعة^(١). وتمثلت الثالثة في دراسة للباحثين زينب قيرواني ورزيقة طلاب، عنوانها (آليات الحجاج في خطب أبو بكر الصديق، جمهرة خطب العرب أنموذجاً) واقتصرت على الجزء الأول من جمهرة خطب العرب، وسلطت الباحثتان الضوء على الآليات الحجاجية في خطبه بما توصلت إليه البلاغة الجديدة باستخراج الآليات الحجاجية التي وقف عليها الكاتب من أشكال بلاغية، وروابط حجاجية، وآليات لغوية^(٢).

وقد تطلّب البحث تنوعاً في مظانه، ومن المصادر التي استندت إليها في الدراسة: كتاب سيوييه (ت ١٨٠هـ)، والمقتضب للمبرد (ت ٢٨٦هـ)، ودلائل الإعجاز للجرجاني (ت ٤٧١هـ)، ومفتاح العلوم للسكاكي (ت ٦٢٦هـ)، والإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، والطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩هـ)، أما المراجع فمنها العربية نحو: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر للدكتور محمود أحمد نحلة، والتداولية عند العلماء العرب للدكتور مسعود صحراوي، واللغة والحجاج للدكتور أبو بكر العزاوي، واستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية لعبد الهادي بن ظافر الشهري، واستراتيجيات الخطاب عند الإمام علي (عليه السلام) مقارنة لغوية تداولية للدكتور باسم خيرى خضير، ومنها المترجمة: المقاربة التداولية لفرانسواز أرمينيكو، والتداولية اليوم علم جديد في التواصل آن رويول وجاك موشلار، والبراجماتية لوليام جيمس وغيرها كثير، زيادة على كتب المعجمات، واللغة، والصوت، والتاريخ، والتراجم، والحديث.

واقتضت طبيعة الدراسة أن تكون على أربعة فصول، تصدّرتها مقدّمة، وتمهيد، وأعقبها بخاتمة اشتملت على أهم النتائج.

وقد تضمن التمهيد أولاً نبذة تعريفية عن كتاب جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، وثانياً التعريف بمفهوم استراتيجيات الخطاب، وعناصر التواصل، والعوامل المؤثرة

(١) يُنظر: التوكيد النحوي في خطب العرب ووصاياهم في كتاب جمهرة خطب العرب، لأحمد زكي صفوت، دراسة نحوية دلالية، أيمن سلامة محمد صعلوك (رسالة ماجستير): ٢.

(٢) يُنظر: آليات الحجاج في خطب أبو بكر الصديق (جمهرة خطب العرب) أنموذجاً، قيرواني زينب، وطلاب رزيقة: (رسالة ماجستير): ٨.

في اختيار استراتيجية الخطاب.

وتناول الفصل الأول الاستراتيجيات التضامنية، وضم ثلاثة مباحث: المبحث الأول تناولت فيه الاستراتيجيات اللغوية، والمبحث الثاني تناولت فيه الاستراتيجيات تتعلق بالمرسل، والمبحث الثالث الاستراتيجيات تتعلق بالمتلقي.

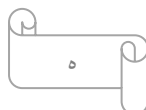
وتناول الفصل الثاني الاستراتيجيات التوجيهية، وقد جاء في مبحثين، المبحث الأول الاستراتيجيات الطلبية، وتضمن المبحث الثاني ألفاظ المعجم التوجيهية بحسب ما يحمله اللفظ المعجمي في شكله الظاهر من معنى.

وتناول الفصل الثالث الاستراتيجيات التلميحية، واشتمل على ثلاثة مباحث، وُسِمَ الأول منها بـ(الاستراتيجيات اللغوية)، أما المبحث الثاني فكان بعنوان(الاستراتيجيات البيانية) بحسب بلاغة القول وما يحمله من قصد ضمني، والمبحث الثالث بعنوان(الاستراتيجيات التداولية) ومثّل محاولة للتفريق بين التقنيات وهي: الاقتضاء التداولي والاستلزام الحواري، إذ خلط الباحثون بينهما حتى أنهم لم يقتصروا على ذكر ثلاثة أنواع للاقتضاء، بل جعلوها أربع وهو(الاقتضاء التخاطبي) وتحدثوا فيه عن خرق مبادئ التعاون وهذا استلزام حواري لا اقتضاء.

وكان الفصل الرابع بعنوان(الاستراتيجية التأثيرية) ووزعته على مبحثين، الأول استراتيجيات الحجاج، والثاني استراتيجيات الاحتجاج، وقد اتخذت آلية الإقناع الأبرز(الحجاج)، إلى جانب آلية (الاحتجاج) التي عدّها الشهري أداة من أدوات الحجاج.

وفي الختام فإني لا أدعي لعملي هذا الكمال، فالكمال لله وحده عزّ وجل، ولكني بذلت جهدي لعلّي أكون قد وفقت في مساعي، وإن قصرت فمن نفسي وما توفّيقى إلا بالله العلي العظيم، وآخر دعواي أن الحمد لله ربّ العالمين.

الباحثة



التمهيد

أولاً: جمهرة خُطب العرب في عصور العريية الزاهرة

ثانياً: استراتيجيات الخطاب

أ- الاستراتيجيات

١- مفهوم الاستراتيجية

٢- النص والخطاب

٣- الكفاءة اللغوية، والكفاءة النداءولية

٤- مفهوم استراتيجية الخطاب

ب- عناصر النواصل

١- المرسل

٢- الملقى

٣- المعرفة المشتركة

ج- العوامل المؤثرة في اختيار استراتيجية الخطاب

١- المقاصد

٢- السلطة

٣- علاقة السلطة بالقصد

أولاً: جمهرة خُطب العرب في عصور العربية الزاهرة

يُعد كتاب جمهرة خُطب العرب ديواناً لخُطب العرب جميعها في عصورها المختلفة، وفي ذلك يقول مؤلف الكتاب: ((استخرتُ الله، فجمعت كلَّ ما أثر عن العرب في عصور العربية الزاهرة، من خُطب ووصايا من مظائنها – على قدر ما هداني إليه اطلاعي – وضممت إليها ما دار في مجالس الملوك والخلفاء والرؤساء، من حوار ومجاوبة، أو جدال ومناظرة، ممَّا يدخل في باب الخُطب، وينتظم في سلكها، وأودعتها ذلك السُفر كي يكون لها ديوانا جامعاً، ومرجعاً عاماً، يُسهل مراجعتها فيه، وسميته: جمهرة خُطب العرب في عصور العربية الزاهرة))^(١).

والحافز الذي دفعه لجمع هذا الكتاب يعود إلى ما اتصفت به خُطب العرب في عصور ازدهار اللغة، وتجلت تلك اللغة بما حباهم الله (ﷺ) من ذلاقة اللسان، وعذوبة البيان، ومعرض يتمثل فيه نتاج قرائحهم، وثمرات ألبابهم، في كثير من مناحي القول، وتُعد هذه الخُطب مثالا سامياً للبلاغة العربية بعد القرآن الكريم، والحديث الشريف. وإنَّ بعثرة تلك الخُطب من دون آلية مُنظمة مُتبعة في كتب الأدب والتاريخ، ونفاد وقت الباحث في بطون الكتب في البحث عن خطبة في عصرٍ ما، أو ترجمة لخطيب من الخطباء، ولما نالته ألفاظ الخُطب من عبث النُسخ والطُباع، من التّصحيف والتّحريف الذي يُنبئ المسامع، ويُسْتَعْلَق به الفهم^(٢)؛ ولذا حرص أحمد زكي صفوت على جمعها، وقد أشار إلى ذلك قائلاً: ((كلَّ أولئك حدّا بي أن أُعبد السبيل لشدة الأدب العربي إلى ذلك التراث النفيس، الذي يتوقون إلى الارتواء من مناهله العذبة، فلا يكادون يُسيغونها، ويصّبون إلى اجتناء ثماره الشّهية، فتحول دونها الأشواك، وفيهم من درس اللّغات الإفرنجية، وتزوّد من أفكار الغربيين وآرائهم بقسطٍ وفير، ولكنه تُعوزه جزالة اللفظ، ورصانة الأسلوب))^(٣).

واشتمل الكتاب على خُطب، ووصايا، ومواعظ، وأقوال، فضلاً عن النوادر، والطرائف التي قالها العلماء والحكماء، وبناءً على هذه المادة فقد بوّب كتابه على أربعة أبواب في ثلاثة أجزاء:

(١) جمهرة خُطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت: ٤/١.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ٤-٣/١.

(٣) المصدر نفسه: ٤/١.

– الجزء الأول: يحتوي على بابين، الأول في خُطب الجاهلية، والباب الثاني: في خُطب صدر الإسلام.

– والجزء الثاني: وضم الباب الثالث: في خُطب العصر الأموي.

– الجزء الثالث: فقد احتوى على الباب الرابع: في خُطب العصر العباسي الأول، وتضمن ذيل الجمهرة في خُطب مُتفرقة^(١).

وكانت جُملةً صالحة من هذه الخُطب اجتزأها أحمد زكي صفوت ممّا استدعاه المقام إلى ذكرها، من كتابي: (نهج البلاغة) للشريف الرضي الذي أفرده لخُطب الإمام علي (عليه السلام)، و(بلاغات النساء) للإمام أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور، الذي جمع طائفة قيمة من كلام بليغات النساء، وطرائف أقوالهن. وقد عمّد المؤلف إلى التوفيق بين الروايات المختلفة في الخطبة الواحدة وإتمام بعضها من بعض، وفي حال رواية الخطبة بصورتين مختلفتين يعمد إلى ذكر الصورتين جميعاً، أي إنّه لم يقتصر على رواية واحدة؛ لما فيه من زيادة الفائدة للقارئ. وضبط ألفاظها، وذكر مصادرها، وفسّر غريب ألفاظها، وحل مُستغلق كلماتها، مع الاستعانة بالنُذ التاريخية التي توضح المقامات التي قيلت فيها، وأورد كلّ ما يحتاجه في فهمها^(٢).

ثانياً: استراتيجيات الخطاب:

أ- الاستراتيجيات

١. مفهوم الاستراتيجية:

الاستراتيجية من المصطلحات العسكرية، وتعني فنّ براعة التّخطيط في إدارة العمليات الحربية؛ لغرض تحقيق هدف معين، ثمّ انتقل هذا المصطلح إلى مجالات الحياة الاجتماعية،

(١) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٤/١.

(٢) يُنظر: نفسه: ٥/١.

فالحكومات تضع الاستراتيجيات؛ للنهوض بالواقع الاقتصادي، والسياسي التنموي؛ لإدارة أمور الدولة^(١).

ويمكن تعريف الاستراتيجية بأنها أساليب ((مُحددة لتناول مشكلة ما، أو القيام بمهمة من المهمات، أو هي مجموعة عمليات تهدف إلى بلوغ غايات معينة، أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددة، والتحكم بها))^(٢).

٢- النص والخطاب:

يُعد ((الخطاب تواصل لغوي يُنظر إليه باعتباره عملية تجري بين متكلم ومستمع، أو تفاعل شخصي يحدد شكله غرضه الاجتماعي. والنص تواصل لغوي سواء شفاهي أو مكتوب ينظر إليه باعتباره رسالة مشفرة في أداتها السمعية أو البصرية))^(٣). وقيل عن الفرق بين النص والخطاب ((أن النص قد يكون مكتوباً في بعض الاستخدامات، في حين أن الخطاب شفاهي، وقد يكون النص غير تفاعلي بينما الخطاب تفاعلي، قد يكون النص قصيراً أو طويلاً، أما الخطاب فيدل على طول مؤكد، ولا بد للنص أن يتسم بتماسك سطحي، في حين لا بد للخطاب أن يتميز بتماسك أعمق))^(٤). ويرى بعض اللسانيين أن النص ((مجموعة متتالية من الجمل، شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، أو بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات، تتم هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، أو بين عنصر وبين متتالية برمتها سابقة أو لاحقة))^(٥).

وتعددت تعريفات الخطاب، وفي ضوء هذا التعدد يمكن القول: إنَّ الخطاب مُمارسة أو عمل اجتماعي، شفوي أو مكتوب في موضوع مُنسَّق يُعبّر عن فكرة معيّنة، ويُؤخذ فيه بنظر الاعتبار

(١) يُنظر: مشاهير قادة العالم (فون مولتكه)، بسام العسلي: ٦٤، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر: ٩٠/١.

(٢) استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٥٣.

(٣) الخطاب، سارة ميلز، ترجمة: عبد الوهاب علوب: ١٥-١٦.

(٤) المصدر نفسه: ١٦.

(٥) لسانيات الخطاب مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي: ١٣.

السِّيَاق وحال المُتلقِي^(١). والخطاب: ((وحدة تواصلية إبلاغية قائمة الذات))^(٢). ويُعرّف أيضاً أنّه: ((كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصوداً مخصوصاً))^(٣). فالنص غير محدد بزمان، والخطاب له عناصر تواصل.

٣- الكفاءة اللغوية، والكفاءة التداولية:

الكفاءة اللغوية من مصطلحات تشومسكي، وتعني معرفة المرسل المُتلقِي بلغته، وهي معرفة تتطلب تركيب جمل لغوية صحيحة^(٤). وعزّف هايمز الكفاية اللغوية بأنّها ((سلسلة من أنظمة المواجهات Eneomtrs على مستويات نظر مختلفة))^(٥).

والكفاءة التداولية متأصلة عند الإنسان، وتتمو عنده نمواً طبيعياً متكاملًا، واستراتيجية الخطاب تعتمد على كفاءة الإنسان التداولية، ويُلجأ المرسل إلى تحسين خطابهِ لغرض تحقيق الهدف والتأثير بالمُتلقِي^(٦).

٤- مفهوم استراتيجية الخطاب:

ارتبط مفهوم الاستراتيجية بالخطاب؛ بوصفه عملية يقوم بها المرسل باختيار العبارات والكلمات المناسبة في سياقٍ مناسب، ويُخطط المرسل ذهنيًا لكيفية إنتاج خطابهِ وإيصال معناه إلى المُتلقِي، وهذه العملية تتطلب كفاءة لغوية وتداولية يملكها صاحب الخطاب^(٧). ((وتتعدد

(١) يُنظر: حفريات المعرفة، ميشال فوكو، ترجمة: سالم يَفوت: ٤٧، و مقدمة في نظريات الخطاب، ديان مكدونيل، ترجمة: د. عز الدين إسماعيل: ٦٧، وفي التداولية المعاصرة والتواصل، مولز وآخرون، ترجمة: د. محمد نظيف: ١٥٥.

(٢) الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، أحمد المتوكل: ٣٠.

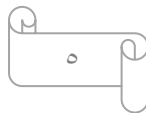
(٣) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن: ٢١٥، واستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٣٩.

(٤) يُنظر: المعنى وظلال المعنى، محمد محمد يونس: ١٤٨.

(٥) النص والخطاب والاتصال، محمد العبد: ٤٦.

(٦) يُنظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٥٩-٦٢.

(٧) يُنظر: استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي الشريف، دليلة قسيمة: (رسالة ماجستير) ٧١، واستراتيجيات الخطاب عند الإمام علي (عليه السلام) مقارنة تداولية، دكتور باسم خيرى خضير: ٢٦.



الاستراتيجيات الخطابية بتعدد الظروف العوامل الثقافية والتاريخية والبشرية التي يولد فيها الحدث، وإنّ أي تغيير بأحد عناصر الخطاب يتبعه تغيير في طريقه، فالاستراتيجية بالمقام الأول خطة للوصول إلى الغرض المطلوب، تتحدد وفق محورين: أولهما البعد الذهني، والآخر البعد المادي الذي يشكل تلك الخطة، ويرتكز كلا المحورين على الفاعل الذي يحدد مسار خطته، وزمان تنفيذ أركانها^(١).

نخلص ممّا تقدّم أنّ الاستراتيجية ((المسلك المناسب الذي يتخذه المرسل للتلفظ بخطابه، من أجل تنفيذ إرادته، والتعبير عن مقاصده، التي تؤدي لتحقيق أهدافه، من خلال استعمال العلامات اللغوية وغير اللغوية، وفقا لما يقتضيه سياق التلفظ بعناصره المتنوعة، ويستحسنه المرسل. وقد محّض النقاد لهذه الظاهرة مصطلح الاحتيال واعتبروه سلاح المتكلم في مواجهة المخاطب للوصول بسياسته إلى مبتغاه. فمصدر التأثير الذي يكون للكلام في السامع إنما هو الحيلة... ويخلو مفهوم الحيلة... من كل دلالة سلبية فهو عندهم مظهر من مظاهر الحقد والمهارة وأمانة من أمارات جودة النظر. وما الاحتيال إلا وسيلة لتحقيق المتكلم على مرغوبه^(٢).

ب - عناصر التواصل

لكلّ عنصر من عناصر التواصل أثر كبير في إنتاج الخطاب، ويمكن تفصيل هذه العناصر بمعرفة دورها في الخطابات المنجزة

١- المرسل:

يُعد المرسل الذات المهمة في إنتاج الخطاب، ولا يقتصر أثره على أنّه ذات ناقلة، بل مُبلّغة أيضاً، أي لا تعتمد على الظاهر من الكلام، بل تتجاوز إلى القصد الباطن فيه بالاعتماد على قرائن متن الكلام وخارجه، وبوصفه مُنتج الخطاب فهو الذي يستطيع تحديد الدلالات ومقاصدها، والمعنى في أكثر الحالات مُرتبط بما ينويه المرسل ويقصده، فهو (فاعل الكلام) وهذا مُرتبط

(١) استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي (عليه السلام) مقارنة تداولية: ٢٧.

(٢) استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٦٢.

بإنجازه الفعل الكلامي حقيقة في الواقع، ولا يُعد مُرسلاً إلا بذلك^(١). وهو الذي يُجسّد ذاته ببناء خطابه باعتماده استراتيجية خطابية تمتد من مرحلة تحليل الخطاب ذهنياً والاستعداد له واختيار العلامات اللغوية الملائمة بما يضمن تحقق منفعته الذاتية، بتوظيف كفاءته للنجاح في نقل أفكاره بتنوعات مُناسبة، ولا يكون للغة دور من دون وجود المرسل، الذي يوظّفها في مستوياتها المختلفة، ويُفعلها في نسيج الخطاب. وينقل المرسل اللغة بالفعل التلفظي من المستوى الصوري إلى المستوى التداولي، وعندها يصبح الخطاب مؤشراً على كفاءته بالقدرة على التكيف مع محيطه، ويرتكز الإنجاز الفعلي على أهلية المرسل، وأهليته هذه هي المحك الحقيقي لإنجاز بعض الأفعال اللغوية التي لا تُتجزأ إلا بتوفر بعض الشروط مثل الموقع الوظيفي أي السلطة، وحصول إرادة التلفظ بالخطاب في السياق المناسب؛ لأنّ إرادة المرسل ركن أساس في تداوليته، وحضور المرسل يستمر باستمرار عملية التلفظ^(٢).

٢- المُتلقّي:

هو الطرف الثاني في العملية الخطابية، والمُتلقّي هو المُستقبل الذي يقصده المرسل بإنتاج خطابه، ويفك المُتلقّي رموز الرسالة التي يرسلها المرسل، ويفهم النص للكشف عن هدف المرسل بتحليل كلماته إلى أفكار، وله مشاركة فعّالة في إنتاج الخطاب بصورة غير مباشر^(٣). وتكمن هذه المشاركة في توجيه المرسل، وهذا يعني أنّ المرسل ينتج خطابه وفقاً لما يقتضيه فهم المُتلقّي ويختار العبارات المفهومة التي لا يستغلّق على المُتلقّي فهم معناها. والمُتلقّي عند البلاغيين له أثر كبير يتجاوز بناء الخطاب إلى المعرفة بحال المُتلقّي^(٤)، وقد اهتمت الدراسات بأثر المُتلقّي ومدى تأثيره على المرسل في إنتاج خطابه سواء على المستوى اللغوي أو البلاغي

(١) يُنظر: اللسان والميزان: ٢١٥-٢١٦، وفي اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، د. خليفة بوجادي: ١٦٣-١٦٦، والعناصر التداولية التّواصلية في العملية التّعليمية، د. لبوخ بوجملين، أ. شيباني الطيب: (بحث) ٧٠.

(٢) يُنظر: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغويّة تداوليّة: ٤٦-٤٧.

(٣) يُنظر: النّظرية الألسنية عند رومان جاكسون، دراسة ونصوص، فاطمة الطبال بركة: ٦٨، ٦٥، واللسان والميزان: ٢١٤، والعناصر التداوليّة التّواصلية في العمليّة التّعليمية: ٧٠.

(٤) يُنظر: دلائل الأعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر: ٢٩١، ومفتاح العلوم، السكاكي: ١٦٨.

أو التداولي^(١)؛ لكيفية تأثير ((شروط مُتلقٍ معين (أو مُتلقين معينين) في ظروف محددة على تنظيم الباث لخطابه. إنَّ هذه بوضوح مقارنة تتخذ من الوظيفة التواصلية للغة المجال الأولي لبحثها، وتسعى بالتالي إلى وصف الشكل اللغوي، لا من حيث هو شيء ساكن، وإنَّما بوصفه وسيلة حركية للتعبير عن المعنى المقصود^(٢)). وما يؤكد أهمية المتلقي في العملية الخطابية، ضرورة حضوره أو استحضاره في ذهن المرسل، وهذا الحضور أو الاستحضار له قيمة تداولية كبيرة تتمثل في أنَّه لا يُمكن إنتاج الخطاب من دونه.

٣- المعرفة المشتركة:

هي العنصر المُتمم للعملية التواصلية بين طرفي الخطاب، إذ لا بدَّ من وجود علاقة ترتبط ما بين المرسل والمتلقي، فالمرسل يوجه حديثه إلى السامع على أساس أنَّه معلوم^(٣)، وللمعرفة المشتركة أهمية كبيرة في ((تحديد استراتيجية الخطاب المناسبة واختيارها، إذ يراعيها المرسل دوماً عند إنتاج خطابه، فلا يغفلها، وذلك بوصفها محدداً سياقياً، له دوره في إنجاز عملية التواصل، وتحقيق هدف المرسل من عدمه^(٤)). فللعلاقة ما بين المرسل والمتلقي دور مهم في تحديد الاستراتيجية المناسبة لتحقيق الهدف المنشود، وتُعد المعرفة المشتركة ((الأرضية التي يعتمد عليها طرفا الخطاب في إنجاز التواصل؛ إذ ينطلق المرسل من عناصرها السياقية في إنتاج خطابه، كما يعوّل عليها المرسل إليه في تأويله، وذلك حتى يتمكن من الإفهام والفهم، أو الإقناع والافتناع^(٥).

وباجتماع هذه العناصر والتفاعل فيما بينها يُنتج المرسل خطابه بالاستراتيجية المناسبة؛ لتحقيق غرضه والتأثير بالمتلقي وما يترتب على ذلك من نتائج.

(١) يُنظر: بنية الخطاب الحجاجي في كلية ودمنة لابن المقفع، حمدي منصور جودي: (اطروحة دكتوراه) ٣٢.

(٢) تحليل الخطاب، ج. براون، وج. يول، ترجمة: د. محمد لطفي الزليطني، د. منير التريكي: ٣٠.

(٣) يُنظر: في اللسانيات التداولية اللسانية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم: ١٨٤.

(٤) يُنظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٤٨.

(٥) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

ج - العوامل المؤثرة في اختيار استراتيجية الخطاب:

هناك عوامل عامة لها أثر مهم في توجيه المرسل؛ لاختيار استراتيجية الخطاب ولها أثر كبير في اختيار استراتيجية معينة، ومن هذه العوامل عاملان مهمان هما:

١- المقاصد:

للمقاصد دور مهم في بلورة معنى الخطاب كما يريده المرسل؛ فهو يهتم بكيفية إنجاز الملفوظات المُعبّرة عن قصده وفقا لاختيار الاستراتيجية التي تنقله مع مراعاة العناصر السياقية وتتحقق المقاصد بمعرفة عناصر الخطاب^(١). وللخلفيات المُسبقة أثر في تحديد المعنى وقد أشار جون سيرل إلى ((أن جميع حالاتنا القصدية، وجميع اعتقاداتنا الخاصة وآمالنا ومخاوفنا وغير ذلك، لا تعمل بالطريقة التي تعمل بها - أي أنها لا تحدد شروط إشباعها- إلا على خلفية معرفة الكيفية التي تمكنني من الانسجام مع العالم))^(٢).

٢- السلطة:

هناك خصيصة مُهمة وضرورية لتحديد السلطة، هي ضرورة توافر طرفي الخطاب، ويكون أحدهما آمرا والآخر مأمورا ويُمكن أن يُقال: إنَّ شخصا ما يستطيع أن يمتلك السلطة على شخص آخر، بالقدر الذي به يستطيع أن يُسيطر على سلوكه، وهذه السلطة تكون منتجة وقمعية على السواء^(٣). ويُعرّف فوكو السلطة بأنّها ((علاقة قوى، أو أن كل علاقة قوى هي الأصح علاقة سلطة))^(٤). والسلطة ((لا يملكها أبدا، وبالقطع، فرد واحد، أو فئة اجتماعية واحدة؛ لأن السلطة لا تُكتسب ولا تُمارس إلا في غمار الصراعات الاجتماعية، ومن خلالها، وقد تضيع أيضا من هذا الطريق))^(٥).

(١) يُنظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ١٨٠.

(٢) العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي: ١٦٢.

(٣) يُنظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٢٢١.

(٤) المعرفة والسلطة ، مدخل لقراءة فوكو، ترجمة: سالم يفوت: ٧٧.

(٥) اللغة والسلطة، نورمان فيركلف، ترجمة: محمد عناني: ٦٩.

وللسلطة أهمية إذ ((إنَّ أي أداء للكلام سيكون عرضة للفشل إذا لم يكن صادرًا عن شخص يمتلك سلطة الكلام، وبصفة أعم إذا لم يكن الأشخاص والملابس الخاصة ملائمين لتطبيق القواعد التي يتعلق بها الأمر، وبعبارة موجزة إذا لم يتوفر المُتَكَلِّم على السلطة التي تخوّل له أن يتفوّه بالكلمات التي ينطق بها))^(١). وبهذا كانت السلّطة عند أوستين معيارا في تصنيف الأفعال اللّغوية وسمّى الصنف الثاني: ((بالممارسات التشريعية التي تتعلّق بممارسة السلّطة، والقانون، والنفوذ، وأمثلة ذلك التعيين في المناصب والانتخابات وإصدار الأوامر التفسيرية في المذكرات، وإعطاء التوجيهات التنفيذية القريبة من النصح والتحذير وغيرها))^(٢). ويكمن دور السلّطة في الخطاب؛ باختيار استراتيجية الخطاب؛ لأنّ الربط بين السلطة من حيث أثر وجودها وبين اختيار استراتيجية الخطاب يُعد مسألة مهمة في إنتاج الخطاب، ويرى هابرماس أنّ الاستراتيجيات اللّغوية تُجسد تباين درجات السلّطة التي تسهم كثيرا في التفاعلات السّياقية المعاصرة ما يشوه التواصل؛ لأنّها تحل محل العقلانية التي يفترض أنّها بؤرتها^(٣).

٣- علاقة السلطة بالقصد:

إنّ للسلطة درجات في القوة، وتنعكس على قصد المرسل وينطبق تدرج القصد بتدرج مرتبة المرسل على الخطاب المتوافر في الثقافة عبر أحد روادها مثل الخطابات التي تنتمي إلى الحقل الدّيني، أو الحقل الثقافي مثل الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، والأمثال والحكم، وأبيات الشعّر، إذ يظل قصد المرسل متفاوتا مع تفاوت سلطة المرسل. مثاله قول الحجاج في مطلع خطابه بأهل العراق عندما تولى الحكم: [البحر الوافر]

أنا ابنُ جَلّا وطلّاعُ النّثّايا متى أضعِ العِمّامةَ تعرّفوني^(٤)
إذ يتفاوت القصد في هذا البيت بحسب سلطة قائله، وقصد الحجاج في خطابه أقوى من قصد الشاعر سُحيم، على الرغم من أنّ الشاعر هو الذي تلفظ بالخطاب أول مرة. وعمد الحجاج إلى

(١) الرمز والسلطة، بيبور بورديو، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي: ٥٩-٦٠.

(٢) نظرية أفعال الكلام العامة، كيف تُنجز الأشياء بالكلام، أوستين، ترجمة: عبد القادر قينيني: ١٤٧.

(٣) يُنظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٢٣٥.

(٤) شعر سُحيم بن وثيل الزّياحي، تح: الدكتور محمد فليح حسن الجبوري: ٧١.

إعادة إنتاج الخطاب ما أكسبه قوة عائدة إلى مرجع الأداة اللغوية إشارية الذات (ضمير المتكلم أنا) التي تحتل صدر الخطاب، وتصبح هذه الأداة بؤرة الخطاب التي تنفرع عنها بقية عناصره وصفاته^(١).

(١) يُنظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٢٥٣-٢٥٤.

الفصل الأول الاستراتيجية النضامية

المبحث الأول: الاستراتيجيات اللغوية
المبحث الثاني: استراتيجيات تتعلق بالمرسل
المبحث الثالث: استراتيجيات تتعلق بالمتلقي

توطئة

تعود الجذور اللسانية الحديثة للاستراتيجية التضامنية إلى مقال للسانيين الاجتماعيين براون وجيلمان بعنوان (ضمان السلطة والتضامن) برهنا فيه على أنّ استعمال الضمان في السياقات التواصلية تحكمها علاقات سلطة مختلفة أحياناً، وإذا كان المتلقي أعلى مكانة من المرسل يخاطبه بالضمير أنتم، أما إذا كان المتلقي متساوياً في المكانة مع المرسل فيخاطبه بالضمير أنت، وسمياً هذا الاستعمال بدلالة التضامن، وقد سمي براون ويول هذا الاستعمال بدلالة السلطة^(١).

وتربط بين الناس علاقات تتفاوت بحسب القرب، ويصل هذا القرب إلى درجة التضامن مع بعضهم، وهو ما أطلق عليه اسم (الاستراتيجية التضامنية) وعرفها ((بأنّها الاستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسّد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما، وإجمالاً هي محاولة التقرب من المرسل إليه، وتقريبه))^(٢). وتتضمن هذه الاستراتيجية العلاقة الاجتماعية بين الأفراد عبر استعمال اللغة التي تقوم بوظيفة تفاعلية تُسهم بصورة كبيرة في إقامة العلاقات الاجتماعية وتثبيتها، إذ إنّ قدرًا كبيرًا من المعاملات التي يقوم بها الناس تنهض بها اللغة بالدرجة الأولى؛ لأنّها أداة اتصال وتعامل بين الأفراد^(٣). سواء أكان التعامل عبر المحادثات اليومية بين الأفراد أم بما يُكتب؛ للتعبير عن علاقاتهم كالخطب والأشعار والسير، ويُعد استعمال النصوص المكتوبة أكثر تجسيدا لصياغة الوظيفة التفاعلية للغة^(٤).

وهناك عدد من العناصر الاجتماعية التي تُسهم منفردة أو مجتمعة في اختيار الاستراتيجية

(١) يُنظر: في مفهوم اللسانيات النقدية، سعيد بكار بحث ضمن كتاب اللسانيات العربية مراجعات وتطبيقات، د. نعيمة سعدية: ٣٦٤.

(٢) استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٢٥٧.

(٣) يُنظر: تحليل الخطاب: ٣، واستراتيجيات الخطاب عند الإمام الحسين (عليه السلام) دراسة تداولية، د. آلاء محمد لازم و. د. يحيى ولي حيدر: (بحث) ١٨٣.

(٤) يُنظر: استراتيجيات الخطاب في النشيد الوطني، دراسة تداولية، يونس فضيلة: (رسالة ماجستير) ٨٥، واستراتيجيات الخطاب عند الإمام الحسين (عليه السلام): ١٨٣.

التضامنية^(١)، منها:

- ١- مدى التشابه أو الاختلاف الاجتماعي.
 - ٢- مدى تكرار الاتصال.
 - ٣- مدى امتداد المعرفة الشخصية.
 - ٤- درجة التألف أو كيفية معرفة طرفي الخطاب.
 - ٥- مدى الشعور بتطابق المزاج أو الهدف أو التفكير.
 - ٦- الأثر الإيجابي أو السلبي.
- ويتأسس اختيار الاستراتيجية التضامنية على العناصر المذكورة آنفاً، ويؤسس المرسل بها علاقته مع الآخرين إذا كانت غير موجودة مسبقاً.

(١) يُنظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٢٥٩.

المبحث الأول: الاستراتيجيات اللغوية

إذا كان المرسل يريد توطيد علاقته مع المتلقي يميل إلى الاستراتيجية التضامنية، ويستعمل لتحقيق ذلك أدوات لغوية تمكنه من توطيد العلاقات الاجتماعية؛ لتحقيق مقاصده وأهدافه من الخطاب، وتكتسب الاستراتيجيات اللغوية معناها ومقاصدها من السياق الذي توجد فيه؛ لأنها مؤشر على تضامن المرسل مع المتلقي.

ومن أهم التقنيات اللغوية التي يوظفها المرسل للتقرب من المتلقي والتضامن معه:

- الإشارات الشخصية:

١- الضمائر:

تُصنف الإشارات في اللغة العربية بحسب معايير: العدد، الجنس، بُعد المرجع عن المرسل أو قربه. وتُعد الضمائر من أهم الإشارات، قال سيبويه (ت ١٨٠هـ) في ضمائر الرفع المنفصلة: ((أعلم أنَّ المضمَر المرفوع، إذا حَدَّثَ عن نفسه فإنَّ علامته أنا، وإن حَدَّثَ عن نفسه وعن آخرين قال: نَحْنُ. ... وأما المضمَر المخاطَبُ فعلامته إن كان واحدا: أنتَ، وإن خاطبت اثنين فعلامتهما: أَنْتُمَا، وإن خاطبت جمعا فعلامته: أَنْتُمْ. ... فأنا وأنتَ وَنَحْنُ وَأَنْتُمَا وَأَنْتُمْ وَأَنْتُنَّ... لا يقع شيء منها في موضع شيء من العلامات مما ذكرنا ولا في موضع المضمَر الذي لا علامة له؛ لأنَّهم استغنوا بهذا فأسقطوا ذلك))^(١). والقسم الثاني من الضمائر الشخصية: الضمائر المتصلة التي تأتي في بداية الفعل منها (النون)، و في نهاية الفعل (نا، والكاف)^(٢).

وأصبحت الإشارات مجالاً مشتركاً بين علم الدلالة والتداولية، وإن كان بعض الباحثين لا يزال يراها أدخل في التداولية منها إلى علم الدلالة، ويتفق أغلب الباحثين في مجال التداوليات على أن الإشارات خمسة أنواع: إشارات شخصية، وإشارات زمانية، وإشارات مكانية، وإشارات اجتماعية، وإشارات خطابية أو نصية^(٣).

(١) كتاب سيبويه، أبو بشير عمرو بن عثمان بن قنبر، تح: عبد السلام محمد هارون: ٣٥٢-٣٥٠/٢.

(٢) يُنظر: نفسه: ٣٥٦/٢، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل الهمداني: ٩٦-٨٩/١.

(٣) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة: ١٧.

وأوضح العناصر الإشارية الدالة على شخص person في الإشارات الشخصية deictics personal هي ضمائر الحاضر الدالة على المتكلم وحده مثل أنا، أو المتكلم وغيره مثل نحن، والضمائر الدالة على المخاطب مفرداً أو مثنى أو جمعا، مذكراً أو مؤنثاً. وضمائر الحاضر هي دائماً عناصر إشارية؛ لأن مرجعها يعتمد اعتماداً تاماً على السياق الذي تستعمل فيه، والضمير أنا وأنت ونحوهما له دلالة في ذاته على المتكلم أو المخاطب، لكن السياق لازم لمعرفة من المتكلم أو المخاطب الذي يحيل إليه الضمير. ويدخل ضمير الغائب في الإشارات إذا لم يُعرف مرجعه من السياق اللغوي، وإذا عُرف مرجعه من السياق اللغوي خرج من الإشارات^(١).

وتعد الضمائر ((ضرب من المشيرات والروابط تميز حدث القول وممثليه مع الإحالة على حدث التلفظ ... وهكذا يؤكد يكبس أن المشيرات المقامية وحدات لغوية نظامية لا تتحدد إلا في الخطاب لحظة التلفظ . فأبرز أن من العلامات ما يحيل إلى عمل التلفظ باعتباره حدثاً خارجياً له أطراف وأطر زمانية ومكانية خارجية هذه العلامات هي المشيرات المقامية. فهي تشير إلى عمل التلفظ وتتبعه إلى أن مقولة الشخص أو الزمان متعلقة بحدث التلفظ باعتبارها ممثلة للمتكلم أو المخاطب أو زمن التلفظ بها، فما يربط اللغة بما هو لغوي هو حسب يكبس من الروابط وما يربط اللغة بما هو خارجي أي بإنجاز عمل التلفظ هو من المشيرات المقامية))^(٢). فالمشيرات المقامية وحدات خطابية تعكس عند استعمالها حدث التلفظ عند استعمالها حدث التلفظ الخارجي وتستحضر أركان الخطاب المتمثلة بالمرسل والمتلقي وزمان الخطاب ومكانه^(٣).

وبرزت تقنية الإشارات الشخصية في جمهرة خطب العرب بنسبة كبيرة^(٤)، منها رثاء محمد

(١) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٧-١٨.

(٢) المشيرات المقامية في اللغة العربية، نرجس باديس: ٧٥.

(٣) يُنظر: نفسه: ٦٩.

(٤) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/٣٥-٥٩، ٤٧-٧٤، ٤٩-٧٦، ٨٩-١٤٢، ١٤٧-١٤٨، ١٧٥-٣٠، ١٧٧-٣٤، ١٨٦-٤٢، ٢٣٥-١٠٧، ٢٣٩-١١١، ٢٤٢-١١٣، ٢٩١-١٦٨، ٣٠٤-١٨٤، ٣١٤-١٩٨، ٣١٦-٢٠١، ٣١٧-٢٠٢، ٣١٩-٢٠٦، ٣٢٢-٢١١، ٣٢٥-٢١٥، ٣٣١-٢٢١، ٣٣٢-٢٢٢، ٣٥٠-٢٣٧، ٣٥٥-٢٤٣، ٣٧٥-٢٦١، ٣٧٦-٢٦٢، ٣٧٦-٢٦٤، ٣٧٧-٢٦٦، ٣٨٠-٢٦٨، ٣٨٣-٢٧٧، ٤٣٠-٣٢٦، ٤٣٦-٣٢٤، ٤٤٠-٣٣٩، ٤٤٩-٣٤٤، ٢/٩-٢، ١٢-٦، ١٥-١٠، ١٦-١١، ١٧-١٢، ٢١-١٤، ٢٢-١٦، ٤٦-٣١، ٥٠-٣٧، ٦٢-٤٩، ٦٣-٥٠، ٦٦-٥٣، ٦٧-٥٤، ٦٨-٥٥، ٦٨-٥٦، ٨٤-٧٨، ٩٧-٨٨، ١١٤-١١٢، ١٣٠-١٢١=

بن الحنفية(عليه السلام)^(١) لأخيه الحسن عندما أدخله قبره هو، والإمام الحسين (عليه السلام)، وعبدالله بن عباس(عليه السلام) وقف محمد بن الحنفية على قبره، وقد اغرورقت عيناه، وقال: ((رحمك الله أبا محمد فلئن عزت حياتك لقد هدَّت وفاتك، ولنعم الروح روح تضمَّنهُ بدنك، ولنعم الجسدُ جسد تضمَّنهُ كفَّنك، ولنعم الكفنُ كفنٌ تضمَّنهُ لحْدك، وكيف لا تكون كذلك، وأنت سليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وخلفُ أهل التقوى، وجدُّك النبي المصطفى، وأبوك علي المرتضى، وأمك فاطمةُ الزهراء، وعمك جعفر الطيار في جنَّة المأوى، وغدَّتكَ أكفَّ الحق، ورُبِّيت في حِجْر الإسلام، ورضعت ثدي الإيمان، فطِبَّت حيا وميتا، فلئن كانت الأنفس غير طيبة لفراقك، إنَّها غير شاكَّة أن قد خيرَ لك، وإنَّك وأخاك لسيدا شباب أهل الجنة، فعليك أبا محمد منا السلام))^(٢).

استعمل محمد بن الحنفية(عليه السلام) تقنية الإشارات الشخصية باستعمال الضمير(أنت) في قوله: (أنت سليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وخلفُ أهل التقوى). واستعمال (أنت) في هذا الخطاب، مؤشِّر على غرض تداولي هو تضامن محمد بن الحنفية(عليه السلام) وقُربه من الإمام الحسن(عليه السلام) من الناحية الاجتماعية فهو أخوه، وهو مشترك بينهما جعل محمد(عليه السلام) يُعبِّر عن علاقته القريبة بالضمير(أنت)، ((وكثيراً ما يحدث هذا بين الناس الذين يكونون على علاقة حميمة، أو الناس الذين يتحتم عليهم القانون الاجتماعي التساوي في المراتب، إذ يخاطب كلُّ منهم الآخر باستعمال أنت، مثل: الأطفال، والأصدقاء، وأعضاء العائلة الواحدة، والزملاء القريبين من بعضهم البعض^(*)، خصوصاً^(*) أولئك الذين يعملون في قاعدة هرم التسلسل

= ١٣٠-١٤٦، ١٤٧-١٧٥، ٢١٤-٢٢٩، ٢٢٤-٢٣٨، ٢٣٥-٢٤٥، ٢٥٠-٢٦٠، ٣٢٢-٣٣١، ٣٢٣-٣٣٢، ٤٢١-٤٤٣، ٤٢٢-٤٤٣، ٤٤٦-٤٦٥، ١-٦/٣، ٢-٨، ٩٢-١٠٢، ١٠٥-١١٤.

(١) مُحَمَّد بن علي بن أبي طالب، وأمّه خولة بنت جعفر بن قيس الحنفي، أبو القاسم، وقيل أبو عبدالله، قيل إنّه ولد في خلافة أبي بكر وقيل في خلافة عمر بن الخطاب، كان من أعقل الناس وأشجعهم مُعتزلاً عن الفتن، وأسند الحديث عن جماعة من الصحابة ومعظمه كان عن أبيه(عليه السلام)، حبسه ابن الزبير مع جماعة من بني هاشم، تُوفي في سنة (٨١هـ) وقيل(٨٢هـ) وقيل غيرها وعمره (٦٥) سنة، واختلَف في مكان وفاته: قيل بأيلة، وقيل بالمدينة ودُفن بالبقيع. يُنظر: البداية والنهاية، ابن كثير، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي: ٣٩-٣٨/٩، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني: ٣٥٤-٣٥٥.

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٣١-٣٢/٢.

(*) كذا، والصواب: من بعض لبعض.

(*) كذا، والصواب: لاسيما.

الوظيفي، وهذا ما يدعو كل من براون وجيلمان بالدلالة التضامنية^(١). فاستعمال أنت...أنعكاساً للمتكلم ولحدث التخاطب ودليلاً على ذاتية الخطاب^(٢). وتلا هذا القول الضمير المتصل (الكاف) واستعمله محمد بن الحنفية (عليه السلام) عوضاً عن التاء في (أنت) من بداية خطابه إلى نهايته: (رحمك الله أبا محمد... فعليك أبا محمد منا السلام). والاستراتيجية التضامنية تعنى بالتعامل الأخلاقي في قوله: (فعليك أبا محمد منا السلام). استعمل (نا) التي تشير إلى (المتلقي + مرسل النص) فقد عكست الخلق النبيل بمشاركته للحضور بهذا المصاب، وهذا ان دل على شيء انما يدل على الخلق النبيل الذي اتصف به محمد بن الحنفية فهناك فرق واضح بين قوله و (فعليك أبا محمد مني السلام).

أعلن محمد بن الحنفية في خطابه تضامنه وقربه مع اثنين من المتلقين، أحدهما: الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) والموجه إليه الخطاب من بدايته إلى نهايته، والمتلقي الآخر: الإمام الحسين بن علي (عليه السلام)، وعبدالله بن عباس (عليه السلام). والغاية في تنويع المتلقي، غاية واحدة هي التضامن والقرب من الإمام الحسن (عليه السلام).

ومن الخطب التي استعملت فيها تقنية الإشارات الشخصية خطبة المسيب بن نجبة الفزاري^(٣) عندما ندم الشيعة بالكوفة على عدم نصرتهم للإمام الحسين (عليه السلام) وتابوا وتعدوا بالمسير إلى أهل الشام للطلب بدمه (عليه السلام)، وذهبوا إلى رؤوس الشيعة ومنهم المسيب بن نجبة الفزاري، فحمد الله وأنتى عليه وصلى على نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال: ((أما بعد: فإننا قد ابتلينا بطول العمر، والتعرض لأنواع الفتن، ففرغنا إلى ربنا ألا يجعلنا ممن يقول له غدا: «أولم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير»^(٤) فإن أمير المؤمنين قال: العمر

(١) استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٢٨٨-٢٨٩.

(٢) المشيرات المقامية في اللغة العربية: ٧٥.

(٣) المسيب بن نجبة بن ربيعة بن رياح بن عوف بن هلال بن شَمخ بن فزارة، من وجوه أصحاب الإمام علي (عليه السلام)، وكان من قادة ثورة التوابين على الدولة الأموية، شهد معركة القادسية وما بعدها مع الإمام علي (عليه السلام)، قاتل قتالا شديدا في موقعة عين الزردة مع التوابين الذين خرجوا وتابوا من خذلان الإمام الحسين (عليه السلام)، أُستشهد سنة (ست وستين)، وقيل (سبع وستين) وبُعِثَ رأسه إلى مروان بن الحكم فنصبه بدمشق. يُنظر: الطبقات الكبير، محمد بن سعد الزهري، تح: د. علي محمد عمر: ٣٣٦/٨، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، تح: كمال حسن مرعي: ٨٣/٣.

(٤) فاطر: ٣٧.

الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة. وليس فينا رجل إلا وقد بلغه، وقد كنا مُعْرَمِينَ بتزكية أنفسنا، وتقريظ شيعتنا، حتى بلا الله أختيارنا، فَوَجَدْنَا كاذِبِينَ في مَوَظِنٍ من مواطن ابن ابنة نبينا صَلَّى الله عليه وسلّم، وقد بلغتنا قبل ذلك كُتُبُهُ، وَقَدِمَتْ علينا رسله، وأعذر إلينا يسألنا نَصْرَهُ عَوْدًا وَبَدْءًا، وعِلَانِيَةً وَسِرًّا، فَبَخِلْنَا عنه بأنفسنا، حتى قُتِلَ إلى جانبنا، لا نحن نصرناه بأيدينا ولا جادلناه بالستنا، ولا قَوَيْنَاهُ بِأموالنا، ولا طلبنا له النُّصْرَةَ إلى عشائرنَا؛ فما غُذِرْنَا إلى ربنا، وعند لقاء نبينا صَلَّى الله عليه [وآله] وسلّم، وقد قُتِلَ فينا ولدهُ وحبيبه وذريته ونسلُهُ، لا والله لا غُذِرَ دون أن تُقْتَلُوا قاتله والمُوالين عليه، أو تُقْتَلُوا في طلب ذلك، فعسى ربنا أن يرضى عنا عند ذلك، وما أنا بعد لقائه لعقوبته بآمنٍ، أيها القوم ولُّوا عليكم رجلاً منكم، فإنّه لا بد لكم من أمير تَفْرَعُونَ إليه، ورايةٍ تَحْفُونَ بها، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم^(١).

استعمل المسيب بن نجبة الفزاري تقنية الإشارات الشخصية باستعمال الضمائر المتصلة والمنفصلة، فقد ابتدأ خطابه بالضمير المتصل (إنا)، و(نا)، ثم (نحن)، وقول المسيب بن نجبة: (فإنا قد ابتُلينا بطول العمر، والتعرض لأنواع الفتن...). جمع المسيب بن نجبة باستعمال (إنا) بين ذاته وبين أهل الكوفة أي (أنا وأنتم)، الذين أعلنوا التوبة؛ لعدم نصرتهم الإمام الحسين (عليه السلام). واستعمال (نحن) في قوله: (لا نحن نصرناه بأيدينا ولا جادلناه بالستنا، ولا قَوَيْنَاهُ بِأموالنا، ولا طلبنا له النُّصْرَةَ إلى عشائرنَا...). استعمال (نحن) دلالة على المتكلم الحاضر، ونحن من ضمائر الحضور^(٢)، واستعمال المسيب بن نجبة لضمير (نحن) دلالة على حضور المتلقي (التوابين/أهل الكوفة)، وفي هذا القول نحن شاملة جمعت بين ذات المسيب بن نجبة الفزاري وبين المتلقي (أهل الكوفة)؛ للدلالة على التضامن بينهم، فالبنية العميقة للخطاب هي (أنا، وأنتم). استعمل المسيب نحن الشاملة؛ لأنّها ذات قوة عاطفية؛ لجمعها المرسل والمتلقي وكأنّهما مرسل واحد، فهما يشتركان في الاهتمام، بل يتحدان^(٣). واستعمالها له أثر عاطفي في نفس المتلقي يُعبر عن درجة قرب المرسل منه.

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٥٨/٢-٥٩.

(٢) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، د. فاضل مصطفى الساقى، تقديم: د. تمام حسان: ٢٤٤.

(٣) يُنظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٢٩٣.

ونلاحظ في الخطاب استعمال المسيب للضمير المتصل(نا) من بداية خطابه إلى نهايته:(ابْتُلِينَا بطول العمر، والتعرض لأنواع الفتن، فرغبُ إلى ربنا أَلَّا يجعلَنَا... فعسى ربنا أن يرضى عنا عند ذلك). استعاض المسيب بن نجبة في هذا الخطاب ب(نا) عن الضمير المنفصل(نحن)؛ والمعنى مشترك بين(نا ونحن) في الخطاب التداولي. واستعمله؛ للدلالة على قربه من المتلقي واشتراكه معه في هذه القضية، ولإثراها العاطفي.

والغاية الرئيسة من الخطاب هي كسب ولاء أهل الكوفة فمن المعروف أن نص الخطبة من نوع الخطبة السياسية؛ فجاء استعمال الضمير(نا المتكلمين، المرسل + المتلقين) و(نحن) وحتى (إننا) إلى القرب؛ لجعلهم يؤمنون بصواب القرار الذي اتخذه مع التوابين للأخذ بثأر الإمام الحسين(عليه السلام).

يظهر في هذا الخطاب حرص المسيب بن نجبة الفزاري على البعد التضامني في التخاطب، حرصا على أن يُعلن التوبة مع المتلقي بسبب عدم نصرتهم الإمام الحسين(عليه السلام)، وكانت الضمائر(إننا، نحن، نا) من أهم الإشارات التي سعى بها المسيب بن نجبة الفزاري بها إلى إثبات تضامنه مع المتلقي، والتي تعد مؤشرا على التضامن والحميمية.

وبرزت تقنية الإشارات الشخصية بالضمائر في خطبة سيحان بن صوحان^(١) يستنفر الناس لنصرة الإمام علي(عليه السلام) في واقعة الجمل، فقال:((أيها الناس: إنّه لا بدّ لهذا الأمر وهؤلاء الناس من والٍ، يدفع الظالم وَيُعِزّ المظلوم، ويجمع الناس، وهذا واليكم يدعوكم لينظر فيما بينه وبين صاحبيه، وهو المأمون على الأمة، الفقيه في الدين، فمن نهض إليه، فإنّا سائرون معه))^(٢).

استعمل سيحان بن صوحان تقنية الإشارات الشخصية باستعمال الضمير(إنّا) في قوله :
(فمن نهض إليه، فإنّا سائرون معه). ليعلن تضامنه مع الإمام علي(عليه السلام) ومعرفة القصد في

(١) سيحان بن صوحان العبدي، أحد الأمراء في قتال أهل الرّدة، شارك بواقعة الجمل مع الإمام علي(عليه السلام)، وقيل: إنّه قُتلَ فيها. يُنظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن عساكر، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض: ١٩٥/٣.

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢٩٨/١.

هذا الخطاب اعتمد على السياق؛ لأتته ((في كل اللغات كلمات وتعبيرات تعتمد اعتماداً تاماً على السياق الذي تُستخدم فيه ولا يستطيع إنتاجها أو تفسيرها بمعزل عنه))^(١).

وألقى سيحان هذا الخطاب عندما أتاه خبر من الإمام علي (عليه السلام) باستنفار الناس لواقعة الجمل، واستعمل الضمير (إنّا) واتخذ هذه التقنية سبيلاً؛ ليكسب تضامن الناس معه للامتثال لنصرة الإمام (عليه السلام).

٢- العلم (الاسم، والكنية):

العلم من المصطلحات النحوية ويعني: ((ما وضع لمعيّن لا يتناول غيره))^(٢). ومن أقسامه: الاسم بأقسامه أي المفرد، وذو الإسناد، وذو المزج، وذو الإضافة وتدخل فيه الكنية، ومن أقسامه اللقب^(٣).

والعلم أداة لغوية تتفاوت من حيث تجسيدها للاستراتيجية التضامنية إذ أنّ أبرزها الاسم فالكنية فاللقب، وهو ترتيب في قوة دلالتها على التضامن، ويستعمل المرسل الاسم الأول عند نداء المتلقي أو الحديث عنه، وعند تعريف نفسه للآخرين^(٤) مثل: يا محمد أقبل، و: أنا محمد.

وهناك مسوغات لاستعمال الاسم الأول^(٥):

- ١- إذا كان المرسل أعلى من المتلقي مرتبة، ولديه استعداد لمحو ذلك الترتيب.
- ٢- إذا كان المرسل أدنى من المتلقي مرتبة، ولمس رغبة لدى المتلقي، أو تسامحاً في محو ذلك الترتيب.
- ٣- إذا كان المرسل والمتلقي متساويين في عنصر أو أكثر، مثل: السن، أو الدرجة الوظيفية، أو المهنة.

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٥-١٦.

(٢) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تح: أحمد شمس الدين: ٢٣٢/١.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه: ٢٣٣/١-٢٣٤.

(٤) يُنظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٢٧٠.

(٥) يُنظر: نفسه، الطبعة والصحيفة نفسها.

أما الكنية فهي من الكناية التي ((كني عن الشيء يكني، إذا لم يصرح به، ومنه: الكُنى وهو: أبو فلان، وابن فلان، وأم فلان، وبنت فلان، سميت: كنى لما فيها من اخفاء وجه التصريح بأسمائهم الأعلام...))^(١)، ويستعملها المرسل؛ لدلالاتها على التضامن مع قدر قليل من الرسمية، إلا أن مقدار التضامنية فيها يزيد عن مقدار الرسمية، وهي مؤشر حقيقي لاستراتيجية التضامن، ولأهمية استعمالها في السياقات؛ فإنها تكثر في بعض المجتمعات ويكثر استعمالها في المجالس والمنتديات، وبين الشباب بكثرة لدلالاتها على التضامن، وتعبيراً عن المحبة والرضا^(٢).

فأسماء العلم والألقاب من المشيرات المقامية الاجتماعية التي لا تكون نظاماً مستقلاً؛ لأنها تتعلّق ضرورة بأدوار المرسل والمتلقي، ويعبّر بها المرسل عن العلاقات الاجتماعية بينه وبين المتلقي^(٣).

وبرزت تقنية العلم(الاسم، الكنية) بنسبة كبيرة^(٤) في جمهرة خطب العرب منها خطبة الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) بعد استشهاد أبيه (عليه السلام)، قال: ((أيها الناس: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير، أنا من أهل البيت، الذين أذهب

(١) مفتاح العلوم: ٤٠٢.

(٢) يُنظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٢٧٣-٢٧٤.

(٣) يُنظر: المشيرات المقامية في اللغة العربية: ١٧٤-١٧٩.

(٤) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/٢٠-١٠، ٦٢-٣٩، ٧٥-٤٨، ٧٧-٥٠، ١٥٢-٨، ١٦٩-٢٤، ١٧٠-٢٥، ١٧٤-٢٩، ١٩٥-٥٦، ١٩٦-٥٧، ١٩٦-٥٨، ٢٠٠-٦٣، ٢٠١-٦٥، ٢١٨-٨٤، ٢٢١-٨٧، ٢٢٤-٩٢، ٢٥٩-١٣٠، ٢٦٢-١٣٦، ٢٦٩-١٤٣، ٢٧٧-١٥٤، ٢٨٥-١٦٠، ٢٨٦-١٦٢، ٢٨٧-١٦٣، ٢٨٨-١٦٤، ٢٩٠-١٦٧، ٢٩٧-١٧٦، ٣٠٣-١٨٣، ٣٠٥-١٨٥، ٣٠٧-١٨٨، ٣٠٩-١٩١، ٣٠٩-١٩٢، ٣٣١-٢٢٢، ٣٣٢-٢٢٤، ٣٣٥-٢٢٥، ٣٣٦-٢٢٦، ٣٤٠-٢٣٠، ٣٥٢-٢٣٩، ٣٥٥-٢٤٣، ٣٧٦-٢٦٢، ٣٨٢-٢٧٢، ٣٨٦-٢٨٠، ٣٨٧-٢٨١، ٣٨٨-٢٨٢، ٣٩٩-٣٠٠، ١-٧، ١٤-٩، ١٧-١٢، ٢٣-١٨، ٣١-١٩، ٤٠-٢٦، ٤٨-٣٤، ٥٤-٤٢، ٥٦-٤٣، ٥٨-٤٤، ٥٩-٤٥، ٦٩-٥٨، ٧٩-٧١، ٨٠-٧٢، ٨١-٧٣، ١٠٧-١٠٣، ١١١-١٠٩، ٣/٣٥، ٣٩-٣٧، ٤٠-٣٨، ٤٠-٣٩، ٤٩-٤٦، ٥٨-٥٥، ٦٠-٥٧، ٦٥-٦٠، ٨٨-٨٠، ١٠٩-١٠٠، ١١٤-١٠٥.

الله عنهم الرَّجْسُ^(١) وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً، وَالَّذِينَ افْتَرَضَ اللَّهُ مَوَدَّتَهُمْ فِي كِتَابِهِ إِذْ يَقُولُ: ﴿وَمَنْ يَفْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدَ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾^(٢)، فَاقْتَرَفُ الْحَسَنَةَ مَوَدَّتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ^(٣).

ابتدأ الإمام الحسن (عليه السلام) خطابه باستعمال تقنية العلم بذكر الاسم الأول (الحسن) في قوله: (أيها الناس: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد رسول الله صلى الله عليه وآله...). في هذا القول استعمل الإمام (عليه السلام) اسمه الأول، وهذا يدل على تضامن الإمام (عليه السلام) واستعداده لمحو التراتب مع المتلقي؛ لأنَّ مرتبته (عليه السلام) أعلى منه.

ومن الخطابات التي برزت باستعمال تقنية العلم ما دار بين عبد الله بن جعفر بن أبي طالب^(٤) وعمرو بن العاص في مجلس معاوية بن أبي سفيان، بعد أن نال عمرو بن العاص من الإمام علي (عليه السلام)، نزل أبو جعفر عن السرير وقال: ((يا معاوية حَتَّامٌ نَتَجَرَّعُ غِيظَكَ، وَإِلَى كَم الصبر على مكروه قولك، وسيء أدبك، وذميم أخلاقك، هَبْلَتِكَ الْهَبُولُ^(٥)، أما يـُـزجرك ذِمَامُ^(٦) المجالسة عن القَدْعِ^(٧) لـُـجْلَيْسِكَ... فقال معاوية: يا أبا جعفر نغیر الخطأ، أقسمت عليك لَتَجْلِسَنَّ، لعن الله من أخرج ضَبَّ صدرك من وَجَارِهِ^(٨)، محمول لك ما قلت، ولك عندنا ما

(١) الرَّجْسُ: القَدْرُ. يُنظر: لسان العرب: ٦/٩٤ (رجس). والقول مقتبس من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ الأحزاب: ٣٣.
(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٨/٢.

(٤) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ - ذُو الْجَنَاحَيْنِ الطَّيَّارِ - بْنُ أَبِي طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيِّ الْهَاشِمِيِّ، أُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، وَعَمُّهُ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام)، من كبار المسلمين وأصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أول مولود ولد في الإسلام بأرض الحبشة إذ كان أبواه مهاجرين بها، كَفَلَهُ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد استشهاد أبيه في معركة مؤتة فنشأ في حجره، وكان كريماً، جواداً، حليماً، واسع العطاء، وله مواقف مع معاوية في الدافع عن عمه علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وشَهِدَ معه وقعة صفين، مات بالمدينة سنة ثمانين، ودُفِنَ بالبقيع. يُنظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تح: مُحِبُّ الدِّينِ الْعَمْرَوِيُّ: ٢٧/٢٤٨-٢٥٧، والكامل في التاريخ، ابن الأثير، تح: د. عمر عبد السلام تدمري: ٢/٦٧٤.

(٥) هَبْلَتُهُ أُمُّهُ: تَكَلَّتْهُ، وَالْهَبُولُ بَفَتْحِ الْهَاءِ: الْمَرَأَةُ الَّتِي لَا يَبْقَى لَهَا وَلَدٌ. يُنظر: متن اللغة، أحمد رضا: ٥/٥٩٣ (هبل).

(٦) الذِّمَامُ: الْحَزْمَةُ وَالْحَقُّ. يُنظر: لسان العرب، ابن منظور: ٢٢١/١٢ (ذمم).

(٧) قَدَّعَتْ فَلَانًا وَأَقْدَعَتْهُ: رَمَيْتُهُ بِالْفُحْشِ. يُنظر: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون: ٥/٦٨ (قدع).

(٨) الْوَجَارُ: جُحْرُ الضَّبْعِ وَغَيْرُهَا. يُنظر: لسان العرب: ٥/٢٨٠ (وجر).

أملت، فلو لم يكن مَحْتَدك^(١) ومنصِبك لكان خُلُقك وَخُلُقك شافِعِين لك إلينا، وأنت ابن ذي الجناحين وسيد بني هاشم، فقال عبدالله: كلا بل سيّد بني هاشم حسن وحسين لا يُنازعهما في ذلك أحد، فقال: أبا جعفر أقسمت عليك لَمّا ذكرت حاجة لك إلّا قضيتها كائنة ما كانت، ولو ذهبت بجميع ما أملك، فقال: أمّا في هذا المجلس فلا^(٢).

وردّ معاوية عليه(رضي الله عنه) باستعمال تقنية العلم الكنية(أبو جعفر) مرتين في قوله:(يا أبا جعفر جعفر نغَيّر الخطأ، أقسمت عليك لتَجلسنَّ،... فقال: أبا جعفر أقسمت عليك لَمّا ذكرت حاجة لك إلّا قضيتها كائنة ما كانت). نادى معاوية عبد الله(رضي الله عنه) بكنيته عوضًا عن الاسم الأول؛ لأنّه أدرك مناسبتها للسياق؛ محاولةً منه؛ لتقريب عبدالله(رضي الله عنه) بالقرب العاطفي، وتهديته، والتأثير فيه أكثر بعد أن أدرك شجاعته بالمواجهة والثبات على الموقف، فلم يجد طريقًا آخر غير التضامن معه.

ويُلاحظ في قول معاوية أنه استعمل تقنية الكنية؛ للتأثير في عبد الله بن جعفر محاولةً منه كسبه واستمالته.

(١) المَحْتَدُ: الأصل والطبع. يُنظر: متن اللغة: ٢٢/٢ (حتد).

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/١٢٨-١٢٩.

المبحث الثاني: استراتيجيات تتعلّق بالمرسل

قد تبلغ العلاقة بين طرفي الخطاب درجة كبيرة من الحميمية والقرب، ما يجعل المرسل يُخاطب المتلقي بخطابات صريحة وواضحة تكشف عن حقيقة الأمور، ويُبدي تواضعه في جميع الأعمال التي يقوم بها، وهو حر التصرف غير مُجبر على ذلك، وغايته؛ إعلان التضامن مع المتلقي وتقريبه إليه، ومن الاستراتيجيات التي تتعلّق بالمرسل:

١- كشف الذات:

يُعد كشف الذات من التقنيات اللغوية التي تقع ضمن الاستراتيجية التضامنية، بوصفها عنصرًا من عناصر التضامن، ودليلاً على قرب المرسل من المرسل إليه وتمتعها بعلاقة قوية ويُلمس فيها نيّة المرسل في ((التقرب من المتلقي[في] أثناء الخطاب؛ لأنّه بقدر ما يكشف المرسل للمتلقي عن أموره الشخصية بقدر ما تلغى المسافة الاجتماعية الفاصلة بينهما، ويتحقق القرب والتضامن، وتتشأ بينهما علاقة حميمية؛ لأنّها نتاج اطلاع المتلقي على جزء من الجانب الشخصي والخفي للمتكلّم الذي يقصد هذه المكاشفة))^(١).

ووردت تقنية كشف الذات في جمهرة خطب العرب في مواضع عدّة^(٢) منها خطبة يزيد بن أبي سفيان عندما سار إلى قيسارية فقام في جنده فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال: ((أما بعد: فإنّ كتاب أمير المؤمنين عمر المبارك الفاروق أتاني يحثني على المسير إلى قيسارية، وأن أدعوهم إلى الإسلام، وأن يدخلوا فيما دخل فيه أهل الكور من أهل الشام، فيؤدّوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، فإن أبوا نزلت عليهم فلم أزيلهم حتى أقتل مقاتلتهم وأسبي ذراريهم، فسيروا رحمكم الله إليهم فإنني أرجو أن يجمع الله لكم الغنيمة في الدنيا والآخرة))^(٣).

استعمل يزيد تقنية الكشف عن الذات مصرحاً لجنده بما جاء في كتاب عمر بن الخطاب

(١) بنية الخطاب الحجاجي في كلية ودمنة لابن المقفع: (اطروحة دكتوراه) ٥١.

(٢) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ١/٤٩٤-٤٩٥، ١٩٢-١٩٣، ١٩٧-١٩٨، ٢٦٢-٢٦٣، ٣٠٧-٣٠٨، ٣٩٤-٣٩٥، ٢/٩-٢، ٣/١١٧-١١٨.

(٣) نفسه: ١/٢٦٢-٢٦٣.

فكشف لهم عن وصول كتاب عمر وما جاء فيه، وكشف لهم عن خطته في دخول مدينة قيسارية وسياسته التي يتبعها معهم، وهو بهذا أراد أن يثبت العلاقة بينه وبين جنده ويقربهم إليه باطلاعهم على تفاصيل وصول الكتاب؛ ليوهم المتلقي بشرعيته فهذه حيلة لغوية.

وخطب معاوية بن أبو سفيان في أهل الكوفة، إذ قال: ((يا أهل الكوفة، أتراني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج. وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وعلى رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون، ألا إن كل مال أو دم أصيب في هذه الفتنة فمطلول، وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين، ولا يصلح الناس إلا ثلاث: إخراج العطاء عند محله، وإقبال^(١) الجنود لوقتتها، وغزو العدو في داره؛ فإنه إن لم تغزوهم غزوكم))^(٢).

ذكر معاوية هذه الخطبة بعدما راسل الإمام الحسن (عليه السلام) سنة ٤١ هـ يسأله الخروج معه؛ لقتال قوم من الخوارج، ورفض الإمام (عليه السلام) القتال معه بقوله: لو آثرت أقاتل أحدا من أهل القبلة لبدأت بقتالك فإنني تركتك؛ لصالح الأمة وحق دمائها^(٣)، فخطب بأهل الكوفة وكشف لهم عن غايته من قتالهم في قوله: ((لكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وعلى رقابكم)). وهذا كشف من حيث التسلط والإخضاع لا القرب. أي إن المرسل ليس بالضرورة أن يكشف عن ذاته وأموره بغية التقرب من المتلقي وتثبيت علاقته معه، بل إنه يكشف ليخضعه لسياسته.

٢: نكران الذات:

يعني نكران الذات إن المرسل ينكر ذاته لغة أو تجاهلها، فيتحدث عن نفسه وكأنه يتحدث عن شخص آخر^(٤).

وردت تقنية نكران الذات في جمهرة خطب العرب في موضعين^(٥) منها ما خطب به أبو

(١) الفُقُول: رجوع الجُند بعد الغزو. يُنظر: لسان العرب: ١١/٥٦٠.

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١٤/٢.

(٣) يُنظر: الكامل في التاريخ: ٩/٣، وجمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١٤/٢.

(٤) يُنظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٣٠٤.

(٥) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/٢٦٢-١٣٥، ٣٠٠-٢٨٨.

الرداء^(١) في أهل دمشق، فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: ((أما بعد، يا أهل دمشق اسمعوا مقالة أخ لكم ناصح، فما بالكم تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تدركون؟ وقد كان من كان قبلكم جمعوا كثيرا، وبنوا شديدا، وأملوا بعيدا، وماتوا قريبا، فأصبحت أعمالهم بُورا، ومساكنهم قُبُورا، وأملهم غُرُرا، فما بالكم تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تدركون؟))^(٢).

استعمل أبو الرداء تقنية نكران الذات في قوله: (أما بعد، يا أهل دمشق اسمعوا مقالة أخ لكم ناصح...). أنكر أبو الرداء ذاته في هذا القول باستعمال لفظة (أخ) بدلا من (أنا) أي (أنا لكم ناصح)، فقد أبدل أسلوب (الأنا) المتعالي بنكران ذاته؛ ليتضامن مع المتلقي، ويقترّب منه ويشعره بقوة العلاقة بينهما على الرغم من سلطته عليهم، فهو منهم وناصح لهم، وقد وظّف أبو الرداء تقنية السؤال في قوله: (فما بالكم تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تدركون؟)؛ لتوجيه انتباه أهل دمشق إلى حقيقة ما قاله ووجوده في الواقع وهو مهما كنزت سيبقى وتموت وتتركه.

٣- تأنيب الذات:

لا يجد المرسل في بعض الأحيان طريقة للتضامن مع المتلقي غير تأنيب ذاته، وتُعد تقنية تأنيب الذات أقل ما يستعمله المرسل اتجاه نفسه، ويتضمن (تأنيب الذات) صنف التذمر من الذات تلك الشكاوى التي ينتقص فيها المرسل نفسه بالشكوى من قدرته، أو سلوكه، أو أفعاله، أو مظهره الجسدي، ولا يتضمن هذا المحور الشكوى من السياق الذي فيه^(٣).

(١) عويمر بن عامر وقيل عويمر بن قيس بن قيس بن زيد، وقيل عويمر بن ثعلبة بن عامر بن زيد بن قيس بن أممية بن مالك بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث، أبو الرداء الأنصاري، وهو مشهور بكنيته، من الصحابة تأخر إسلامه، فلم يشهد بدرًا، شهد أحدًا وما بعدها من المشاهد مع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، توفي في خلافة عثمان. يُنظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير الجزري، تح: محمد إبراهيم البنا وآخرون: ١٨/٤-٢٠.

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/٢٦٢.

(٣) استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٣١٩.

ووردت تقنية تأنيب الذات في جمهرة خطب العرب بنسبة قليلة^(١) منها خطبة عثمان بن عفان^(٢) التي نزع فيها، وأعطى الناس من نفسه التوبة، بعد أن جاءه وفد أهل مصر؛ للاعتراض على طريقة حكمه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ((أما بعد أيها الناس: فوالله ما عاب من عاب منكم شيئاً أجهله، وما جئت شيئاً إلا وأنا أعرفه، ولكني مننتي نفسي وكذبتني، وضلّ عني رشدي، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: مَنْ زَلَّ فَلْيُثْبِتْ، وَمَنْ أَخْطَأَ فَلْيُثْبِتْ، وَلَا يَتِمَادَى فِي الْهَلَكَةِ، إِنَّ مَنْ تِمَادَى فِي الْجَوْرِ، كَانَ أَبْعَدَ مِنَ الطَّرِيقِ. فأنا أول من اتعظ، أستغفر الله مما فعلت، وأتوب إليه، فمثلي نزع وتاب، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم، فليُرُونِي رأيهم، فوالله لئن رَدَّنِي الحق عبداً لَأَسْتَتِنَ بسنة العبد، وَلَأَذِلَّنَ ذُلَّ العبد، وَلَأَكُونَنَّ كالمرفوق، إِنْ مُلِكَ صَبْرٌ، وَإِنْ عُتِقَ شُكْرٌ، وما عن الله مذهب إلا إليه، فلا يَعْجِزَنَّ عنكم خياركم أن يدنوا إِلَيَّ، لئن أبت يميني لتتابعني شمالي))^(٣).

ابتدأ عثمان بن عفان خطابه بالقسم في قوله: (فو الله ما عاب من عاب منكم شيئاً أجهله، وما جئت شيئاً إلا وأنا أعرفه)؛ ليطمئن المتلقي بأنه صادق بما يقول ولأجل هذا وظّف تقنية تأنيب الذات مصرحاً بالحال التي يعيش فيها وتأنيب ذاته عن خطيئته التي ارتكبتها^(٤) (ولكنني مننتي نفسي وكذبتني، وضلّ عني رشدي، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: مَنْ زَلَّ فَلْيُثْبِتْ، وَمَنْ أَخْطَأَ فَلْيُثْبِتْ، وَلَا يَتِمَادَى فِي الْهَلَكَةِ، إِنَّ مَنْ تِمَادَى فِي الْجَوْرِ، كَانَ أَبْعَدَ مِنَ الطَّرِيقِ). تضامن عثمان بن عفان بتأنيب ذاته مع المتلقي، فقد انتقص من نفسه بالشكوى من فعله، لكنه لم يفرط في تلك الشكاية؛ لأنّ العبرة من استعمال هذه الاستراتيجية إظهار التضامن مع المتلقي.

(١) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/٢١٨-٨٤، ٢/٥٨-٤٤، ٦٠-٤٦، ٢٢٤-٢١٠، ٣٣٦-٣٤٤، ٤٤٣-٤٢٢.

(٢) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي، من الخلفاء الراشدين، ولد في السنة السادسة بعد عام الفيل، أسلم قديماً وهاجر الهجرتين، ولم يشهد بدرًا وبيعة الرضوان، بُيع له بالخلافة سنة (٢٤هـ) بعد دفن عمر بن الخطاب، كانت مدة خلافته اثنتي عشر وقيل إحدى عشرة سنة، اعترض الناس على طريقة حكمه ونقموا عليه، وقُتل بالمدينة سنة (٣٥هـ). يُنظر: الطبقات الكبير: ٣/٥٢-٦٩، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، تح: د. بشار عوَّاد معروف: ١٩/٤٤٥-٤٥٨.

(٣) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/٢٧٤.

(*) خرج وفد من مصر، يريدون من عثمان أن يعدل عن طريقة حكمه التي اعترضوا عليها، وأن يُحاسب=

واستطرد عثمان بن عفان باستعمال تقنية تأنيب الذات (فأنا أول من اتعظ، أستغفر الله مما فعلت، وأتوب إليه، فمثلي نزع وتاب، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم، فليُروني رأيهم، فوالله لنن ردني الحق عبدا لأسنتن بسنة العبد، ولأدللن ذل العبد، ولأكونن كالمرفوق، إن ملك صبر، وإن عتي شكر، وما عن الله مذهب إلا إليه، فلا يعجزن عنكم خيائكم أن يدنوا إلي، لنن أبت يميني لتتابعني شمالي). تضامن عثمان بن عفان مع المتلقي؛ ليجعله قريباً منه، ما جعله يؤنب نفسه ويعلن لهم توبته وتضامنه معهم وأن الأمر الذي قام به خطيئة تستحق التوبة، و((في الاستراتيجية التضامنية لا يخاطب المرسل إليه بمنطق التوجيه أو التواصل العمودي، بل يحرص على الاقتراب منه بتأدب بقصد التأثير فيه أكثر...))^(١). والبعد التضامني في التخاطب حرص على أن يقترب من الناس الذين عابوا عليه اقترابه من آل أمية وطاعتهم فحاول أبعادهم عن قتلته، فأحدث فيهم ما يقربهم إليه بكسب تعاطفهم ويجسد هذا التضامن في موقف المتلقي برقة الناس لعثمان، ومنهم من بكى بعد سماع خطابه^(٢). وبهذا حقق المرسل هدفه من هذا التأنيب وأثر بالمتلقي بتضامنه معه في موقفه بإعلان التوبة من فعله، ما جعله يحقق مصلحته.

وخطب عتبة بن أبي سفيان^(٣) في علته التي مات فيها، فقال: ((يا أهل مصر لا غنى عن الرب، ولا مهزب من ذنب، إنه قد تقدمت مني إليكم عقوبات كنت أرجو يومئذ الأجر فيها، وأنا

= الذين رأوهم يخطئون وقد قبل عثمان ذلك، فكانت خطيئة عثمان أنه زاد الحمى، زاد عطاء أهل المدينة واقرباءه منهم مروان بن الحكم، واستعمل عمرو بن العاص على الخراج ثم عزله واستعمله على الصلاة، وزيادة عطاء مروان بن الحكم، واستشارته في أموره، قال له الوفد: نريد ألا يأخذ أهل المدينة عطاء، فإنما هذا المال لمن قاتل عليه، ولهؤلاء الشيوخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وعد عثمان وفد مصر بتعديل هذه الأمور والذهاب معه إلى المدينة؛ فاقبلوا معه، وهم راضون، لكن عند دخولهم المدينة مكر بهم إذ قال: خشيت من هذا الوفد من أهل مصر، ألا من كان له زرع فليلحق بزعره، ومن كان له ضرع فليحتلب؛ ألا إنه لا مال لكم عندنا... فغضب الناس، وقالوا: هذا مكر بني أمية. ثم نصحه الإمام علي (عليه السلام) بمخاطبة الناس والتوبة، ففعل ذلك. يُنظر: تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم: ٣٥٤/٤-٣٦٢.

(١) الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، أ. م. د: إدريس مقبول: (بحث) ٥٤٥.

(٢) يُنظر: تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك ٣٦٢/٤.

(٣) عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، أخو معاوية بن أبي سفيان لأبويه، وقد ولاه مصر سنة (٤٣هـ) بعد وفاة عمرو بن العاص، وبلغت ولايته على مصر سنة وشهراً، شهد عدة معار منها: صيفين مع أخيه معاوية، ويوم الدار مع عثمان بن عفان، وشهد موقعة الجمل مع عائشة، وذهبت عينه في هذه الموقعة، توفي سنة (٤٤هـ). يُنظر: ولاه مصر =

أخاف اليوم الوزر منها، فليتني لا أكون اخترت دنياي على معادي، فأصلحتكم بفسادي، وأنا أستغفر الله منكم، وأتوب إليه فيكم، فقد خفت ما كنت أرجو نفعاً عليه، ورجوت ما كنت أخاف اغتيالاً به، وقد شقي من هلك بين رحمة الله وعفوه، والسلام عليكم سلام من لا ترونه عائداً إليكم^(١).

أعلن عتبة بن أبي سفيان تضامنه مع المتلقي (أهل مصر) باستعمال تقنية تأنيب الذات، وشكى من أفعاله وأسلوبه في معاقبتهم، وأظهر ندمه على تلك العقوبات التي أراد أن يُوجر عليها؛ فأصبحت مما يُحاسب عليه ويخاف عقابه عند الله (ﷻ). وانتقاص عتبة بن أبي سفيان من نفسه لم يأت لولا اقتراب أجله، حتى إن تأنيب ذاته في هذا الخطاب لم يكن كما يستحقه المتلقي لما عاناه من أفعاله القاسية بالمعاملة، وهذا يعني أن يظل ((مدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل على أقدار منازلهم، وأن ثوابية آلائه، وتتصرف معه أدائته، ويكون في التهمة لنفسه معتدلاً، وفي حسن الظن بها مقتصدًا؛ فإنه إن تجاوز مقدار الحق في التهمة لنفسه ظلمها، فأودعها ذلة المظلومين، وإن تجاوز الحق في مقدار حسن الظن بها، آمنها فأودعها تهاؤن الآمنين^(٢)). أي إن عتبة أظهر تضامنه مع المتلقي بتأنيب ذاته فقط بالقدر الذي يحقق مصلحته.

٤: التصغير أو التقليل:

تعد تقنية التصغير، أو التقليل من الاستراتيجيات التضامنية، وإن وظيفة التصغير الرئيسة تُستعمل بصورة متكررة؛ للتعبير عن الألفة ونبذ الرسمية والتودد^(٣). وتستعمل هذه الاستراتيجية في تقديم الهدايا، وعرض الدعوة للمشاركة في مهرجان وغيره، وكذلك إنجاز أفعال المناسبات -

=محمد بن يوسف الكندي، تح: د.حسين نصار: ٥٧، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن، تح: محمد البرهامي منصور وآخرون: ١/١٢٢-١٢٥.

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/٢٢٤.

(٢) البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون: ١/٩٣.

(٣) يُنظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٣٠٨.

بحسب تصنيف لينش -^(١)، التي تقرب المرسل من المتلقي بالتلفظ بها، مثل المشاركة في مناسبات الأفراح بإنجاز أفعال التهاني، والمشاركة في الأتراح^(٢).

وورثت تقنية التصغير أو التقليل في جمهرة خطب العرب في وصية عبدالله بن الحسن المثنى (عليه السلام) لابنه محمد أو إبراهيم، أوصاه فقال: ((أَيُّ بُنَيٍّ، إِنِّي مُؤَدِّ حَقِّ اللَّهِ فِي تَأْدِيكَ، فَأَدِّ إِلَيَّ حَقَّ اللَّهِ فِي الاستماع مني، أَيُّ بُنَيٍّ كُفَّ الْأَذَى، وَارْفُضْ الْبُذَا^(٣)، وَاسْتَعِنْ عَلَى الْكَلَامِ بطول الفكر في المواطن التي تدعوك فيها نفسك إلى الكلام، فَإِنَّ للقول ساعاتٍ يضر فيها الخطأ، وَلَا يَنْفَعُ فِيهَا الصَّوَابُ. واحذر مَشُورَةَ الْجَاهِلِ وَإِنْ كَانَ نَاصِحًا، كَمَا تَحْذَرُ مَشُورَةَ الْعَاقِلِ إِذَا كَانَ غَاشًّا؛ لِأَنَّهُ يُزِيدُكَ بِمَشُورَتِهِ. وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ رَأْيَكَ إِذَا احْتَجْتَ إِلَيْهِ وَجَدْتَهُ نَائِمًا، وَوَجَدْتَ هَوَاكَ يَقْظَانَ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَسْتَبِدَّ بِرَأْيِكَ؛ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ هَوَاكَ، وَلَا تَفْعَلْ فِعْلًا إِلَّا وَأَنْتَ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ عَاقِبَتَهُ لَا تُرِيدُكَ، وَأَنَّ نَتِيجَتَهُ لَا تَجْنِي عَلَيْكَ))^(٤).

استعمل عبد الله بن الحسن تقنية التصغير ثلاث مرات في خطابه بلفظة (بُنَيٍّ) في قوله: (أَيُّ بُنَيٍّ، إِنِّي مُؤَدِّ حَقِّ اللَّهِ فِي تَأْدِيكَ، ... أَيُّ بُنَيٍّ كُفَّ الْأَذَى، وَارْفُضْ الْبُذَا، ... وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ تَسْتَبِدَّ بِرَأْيِكَ؛ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ هَوَاكَ). وقصد بها التقرب منه، وقد أدى تصغير التقريب في هذا الخطاب وظيفة تداولية؛ لأنه يُخَفِّفُ ((من حدة الأفعال اللغوية خصوصاً^(٥) أفعال الطلب))^(٥)، والتي تلا عبد الله بها خطابه بعد كل لفظة (بُنَيٍّ) وهي الأمر: (أَدِّ، كُفَّ، ارفُضْ، اسْتَعِنْ، احْذَرِ)، والفعل اللغوي التحذير (إِيَّاكَ) والنهي (لَا تَفْعَلْ). وبهذا خففت تقنية التصغير حدة الأوامر والنواهي التي اعطاها عبد الله لابنه؛ لتقريبه إليه والتأثير به وتحقيق الغاية من الخطاب حتى يضمن طاعته له بطريقة التودد والتحبب، والعطف الأبوي. وتوكيد الخطاب بـ(إِنَّ) يُشْجِعُ المتلقي على أخذ ما أُمِرَ به والابتعاد عما نُهي عنه.

(١) يُنْظَرُ: مبادئ التداولية، جيوفري لينش، ترجمة: عبد القادر قنيني: ١٣٩.

(٢) يُنْظَرُ: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٣١٠.

(٣) الْبُذَىء: فاحش القول. يُنْظَرُ: لسان العرب: ٣٠/١ (بذأ).

(٤) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٣٩/٣.

(*) كَذَا، وَالصَّوَابُ: لاسيما.

(٥) استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٣٠٩.

ومن المواضع التي استُعْمِلت فيها تقنية التصغير أو التقليل مقال عبد الله بن عتبة^(١) يعزي المهدي ويهنئه: ((آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله، وبارك الله لأمر المؤمنين فيما خلفه له أمير المؤمنين بعده، فما مصيبة أعظم من فقد أمير المؤمنين، ولا عُقبى أفضل من وراثته مقام أمير المؤمنين، فاقبل يا أمير المؤمنين من الله أفضل العطية، واحتسب عند الله أفضل الرزية فما مصيبة أعظم من فقد أمير المؤمنين))^(٢).

ابتدأ ابن عتبة خطابه بإنجاز أفعال المناسبات بتقديم التعزية للمهدي بوفاة المنصور بقوله: ((آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله،... فما مصيبة أعظم من فقد أمير المؤمنين،... واحتسب عند الله أفضل الرزية فما مصيبة أعظم من فقد أمير المؤمنين)). شارك عبد الله بن عتبة المهدي في حزنه بإنجاز أفعال التعازي؛ لتقليل من وطأة المصيبة على المهدي. ثم تلا خطابه بتهنئته بالخلافة بعد أبيه بقوله: ((وبارك الله لأمر المؤمنين فيما خلفه له أمير المؤمنين بعده،... ولا عُقبى أفضل من وراثته مقام أمير المؤمنين، فاقبل يا أمير المؤمنين من الله أفضل العطية)). وقد أراد ابن عتبة هنا أن يتقرب من المهدي بمشاركته فرحة توليه الخلافة؛ وليؤسس علاقة مشتركة معه، وهذا يعني أنه ((لا تكمن وظيفة أدوات التصغير في تلطيف القيود، أو التخفيف منها فقط، بل تعبر عن رغبة المرسل في تأسيس الأرضية المشتركة، أو المحافظة عليها، والتضامن مع المرسل إليه))^(٣). تضامن عتبة مع المهدي وتقرب منه، وغرض الفعل الكلامي هنا يتطابق مع الغاية المجتمعية وهي تقديم التعزية والتهنئة، وهو خطاب يصب في مصلحة المرسل.

(١) عبد الله بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، وأمه أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي، أول من عزى المهدي بوفاة والده وبايعه على الخلافة. يُنظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ٢٦٧/١٥-٢٦٨.

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٧٧/٣.

(٣) استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٣١٠.

المبحث الثالث: استراتيجيات تتعلّق بالمتلقي

في بعض الأحيان نجد خطابات توحى بالعلاقة المتينة بين المرسل والمتلقي، التي يحرص المرسل فيها على كسب ثقة المتلقي وتقريبه إليه، ويسعى جاهدا لإيجاد شتى الطرق التي يُجسّد بها ذلك القرب، فيستعمل الوسائل التي تمكنه من تحقيق الاقتراب؛ ليتضامن معه، ومن أهم التقنيات التي يوظّفها؛ لتحقيق ذلك:

١- ذكر خصائص المتلقي:

ويُقصد بها أن يذكر المرسل في كلامه بعض المعلومات التي يجسد بها معرفته بالمتلقي، وتُتجَزّ بأفعال لغوية معينة مثل فعل الإخبار، والاستفهام نحو قولك: أأست قريـب فلان الذي يعمل في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية؟. ومنها تعمّد المرسل التركيز على سمة من السمات العامة للمتلقي^(١).

وبرزت تقنية ذكر خصائص المتلقي في جمهرة العرب في مواضع عدّة^(٢)، منها ردّ الحارث بن أبي شمر الغساني^(٣) على قيس بن رفاعه وقيل حسان بن ثابت^(٤) عندما قال له: يا ابن رفاعه، بلغني أنك تفضل النعمان بن المنذر عليّ؟ قال الحارث: ((وكيف أفضّله عليك أبيت اللعن؟ فوالله لفقّاك أحسن من وجهه، ولأُمّك أشرف من أبيه، ولأبوك أشرف من جميع قومه، ولشمالك أجود من يمينه، ولحزمالك أنفع من نذاه، ولقليلك أكثر من كثيره، ولثمادك^(٥) أغزر من غديره، ولكرسيك أرفع من سريريه، ولجدولك أغمر من بحوره، وليومك أفضل من شهوده،

(١) استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٣١٦.

(٢) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/٣٢-١٤، ٢/٣١-١٩، ٣١٠-٢٩٩، ٣١٦-٣٠٤، ٣/٢٤-١٧، ٢٥-١٩، ٣٩-٣٧.

(٣) الحارث بن أبي شمر الغساني، من ملوك اليمن الذين ملكوا الشام، بُعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في زمانه، وبعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إليه رسوله شجاع بن وهب في سنة (٦هـ) يدعو إلى الإسلام. يُنظر: تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك: ٢/٦٤٤-٦٤٥، ومراة الزمان في تواريخ الأعيان، سبط ابن الجوزي، تح: محمد بركات وآخرون: ٢/٣٢٦-٣٢٧.

(٤) يُنظر: مراة الزمان في تواريخ الأعيان: ٢/٣٢٦.

(٥) الثماد: الماء القليل الذي لا مادّ له أو يبقى في الجلد من الأرض قليلا. يُنظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تح: عبد السلام محمد هارون: ٧/٤٦٧-٤٦٨ (ثمّد).

ولشهرِك أمدٌ من حَوْلِه، ولحولك خير من حُقْبِه^(١)، ولزُنْدُكَ أوري من زنده، ولجندك أعزّ من جنده، وإِنَّكَ لمن غسان أرباب الملوك، وإِنَّه لمن لحم الكثير النُّوك^(٢)، فكيف أفضله عليك؟^(٣).

ابتدأ الحارث خطابه بإنجاز الفعل اللغوي الاستفهام (وكيف أفضله عليك أبيت اللعن؟)، وهو استفهام استنكاري أو تعجب لما قاله قيس بن رفاعه، ويوضح هذا الاستفهام أو التعجب تضامن الحارث مع قيس بن رفاعه أي كأنه يقول إني أعرفك، فكيف أفضله عليك وأنت قريبٌ مني، ويؤكد هذا القصد ما تلا الخطاب من تعدادٍ لخصائص قيس وتأكيدِه بالقسم قبل ذكرها (فو الله لَقَفَاكَ أحسنُ من وجهه، ولأُمُّكَ أشرفُ من أبيه، ولأبوك أشرف من جميع قومه...) وهذه المعلومات تؤكد معرفته بقيس ابن رفاعه وقربه منه، ولو لم يكن يعرف عنه هذه الخصائص لقال له : لا أفضله عليك، وسكت. وبهذه التقنية أطمئن المتلقي على مكانته عند الحارث.

ومن الخطابات التي ذُكرت باستعمال تقنية ذكر خصائص المتلقي رثاء خالد بن صفوان^(٤) لصديقه، عندما قيل له: مات صديقٌ لك، فقال: ((رحمة الله عليه، لقد كان يملأ العينَ جمالاً، والأذنَ بياناً، لقد كان يُرَجَى فلا يَخْشَى، وَيُعْشَى فلا يَغْشَى، وَيُعْطَى فلا يُعْطَى، قليلاً لدى الشرِّ حضوره، سليماً للصديق ضميره))^(٥).

استعمل خالد بن صفوان تقنية ذكر خصائص المتلقي بطريقة الإخبار؛ لأنّ المتلقي غير حاضر؛ ليجسد مدى قُربه من المتلقي، وبإمكان خالد بن صفوان أن يقول: رحمه الله. ويسكت. لكنّه أراد أن يبين مدى قُربه من صديقه وعلاقتهم التي تتصف بالقوة وذكر صفاته التي يتميز بها.

(١) الحُقْبُ والحُقْبُ: ثمانون سنة أو أكثر. يُنظر: لسان العرب: ١/٣٢٦ (حقب).

(٢) النُّوك بالضم: الحُمق. يُنظر: نفسه: ١٠/٥٠١ (نوك).

(٣) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/٣٢.

(٤) خالد بن صفوان بن عبدالله بن عمرو بن الأهم التميمي المنقري البصري، من فصحاء العرب المشهورين وخطبائها، ولد في البصرة ونشأ فيها، كان يجالس عمر بن عبد العزيز، وهشام بن عبد الملك، عاش إلى خلافة السفاح العباسي وحظي عنده، كان يُرمى بالبخل، وكف بصره وتوفي سنة (١٣٢هـ). يُنظر: المعارف، ابن قتيبة، تح: د. ثروت عكاشة: ٤٠٣-٤٠٤، وتاريخ مدينة دمشق: ١٦/٩٥-٩٧.

(٥) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٣/٢٥.

٢- تقنية الذيل:

للذيل وظيفة تداولية، وذكرها الدكتور أحمد المتوكل بقوله: ((يحمل الذيل المعلومة التي توضح معلومةً داخل الحمل أو تُعَدِّلُها أو تُصَحِّحُها))^(١). ومن الأمثلة على وظيفة الذيل: (أعجبت بخالد، علمه)، و(زارني خالد، بل عمر)^(٢).

والذيل تقنية توضح للمتلقي ما يقصده المرسل، وتأتي على النحو الآتي: (استراتيجية ذيل التوضيح، واستراتيجية ذيل التعديل، واستراتيجية ذيل التصحيح)^(٣).

وتتطابق هذه الاستراتيجيات الثلاث عمليات إنتاج خطاب مختلفة، وتظهر في بنيات مختلفة، على النحو الآتي^(٤):

١- تتطابق استراتيجية ذيل التوضيح عملية الخطاب الآتي: يعطي المرسل المعلومة، ثم يلاحظ أنها ليست واضحة الوضوح الكافي، فيضيف المعلومة إزالة للإبهام، مثل: أبوه مريض، زيد. تضاف المعلومة التي يحملها المكون الذيل (زيد)؛ لإزالة إبهام الضمير (الهاء) في أبوه.

٢- تتطابق استراتيجية ذيل التعديل عملية إنتاج الخطاب الآتية: يعطي المرسل المعلومة، ثم يلاحظ أنها ليست بالضبط المعلومة المقصود إعطاؤها، فيضيف المعلومة التي تعدلها. مثل: حررت الرسالة، نصفها. تضاف المعلومة التي يحملها المكون (نصفها)؛ لتعديل المعلومة التي يحملها المكون (الرسالة).

٣- تتطابق استراتيجية ذيل التصحيح العملية الخطابية الآتية: يعطي المرسل المعلومة، ثم ينتبه على أنها ليست المعلومة المقصود إعطاؤها، فيضيف المعلومة قصد تصحيحها بإحلال معلومة أخرى محلها، مثل: زرت اليوم زيداً، بل عمراً. تضاف المعلومة التي تحملها العبارة (عمراً)؛ لتصحيح المعلومة التي تحملها العبارة (زيداً).

(١) الوظائف التداولية في اللغة العربية، أحمد المتوكل: ١٤٧.

(٢) يُنظر: نفسه: ١٤٤.

(٣) يُنظر: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، أ. د يوسف تغزاوي: ١٦٦.

(٤) يُنظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية: ١٤٧-١٤٨، والوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي: ١٦٦.

وقد وردت تقنية الذيل في كتاب جمهرة خطب العرب في مواضع قليلة^(١)، جاءت بنوع استراتيجية ذيل التوضيح من دون الثانية والثالثة، منها قول الحجاج بن يوسف الثقفي^(٢) لأهل الشام: ((لَأَزْوَاجُكُمْ أَطْيَبُ مِنَ الْمَسْكِ، وَلَأَبْنَاؤُكُمْ آسَنُ بِالْقَلْبِ مِنَ الْوَلَدِ، وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي ذُبْيَانَ:

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنِّي

هُمْ [فهم] دِرْعِي الَّتِي اسْتَلَّامْتُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ النَّسَارِ، وَهُمْ مِجَنِّي^(٣)

ثم قال: بل أنتم يا أهل الشام كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ، وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٤) ((^(٥)).

استعمل الحجاج بن يوسف تقنية ذيل التوضيح؛ ليبين للمتلقي موقفه بالتضامن معه، وقد عمد إلى أن يفهمه بشكل واضح، في قوله: (بل أنتم يا أهل الشام...) كأن البيت الشعري كان غير كاف بالتعبير عن تضامنه وقربه من أهل الشام، جاء بالآية القرآنية؛ لأنها معبرة بشكل أكثر عما يُريده. وهو قول له تأثير في نفس المتلقي ويصب في مصلحته.

(١) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/٢٥-٢٧، ٥٠-١١/٢، ١٤٥-١٧٣، ٤٣١-٤٥٠.

(٢) الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي، أبو محمد، و أمه الفارعة، عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخرسان، تولى العراق عشرين سنة وعُرف بسياسته الشديدة وارتكابه غرائب الأمور، توفي (سنة ٩٥هـ) بمرض الأكلة في معدته، وعمره أربع وخمسون سنة ودفن بواسط. يُنظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، تح: د. إحسان عباس: ٥٣/٢، ومروج الذهب ومعادن الجواهر: ١٠٦/٣، والتاريخ المعتبر في أنباء من غبر، الحنبلي، تح: نور الدين طالب: ٣/٣٨٨-٣٩٠.

(٣) استلّام الرجل: لبس اللأمة، وهي الدرع، والنّسار: ماء لبني عامر له يوم، والمجن: الثُّرُس. يُنظر: مقاييس اللغة: ٥/٢٢٦ (لأم)، ولسان العرب: ٥/٢٠٥ (نسر)، و ١٣/٤٠٠ (مجن) على التوالي. ويُنظر البيت الشعري: ديوان النابغة الذبياني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم: ١٢٧.

(٤) الصافات: ١٧١.

(٥) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/٢٩٥.

الفصل الثاني

الاستراتيجية التوجيهية

المبحث الأول: الاستراتيجية التوجيهية .
المبحث الثاني: استراتيجية التوجيه بالفاظ المعجم .

توطئة:

يستند الدارسون في حديثهم عن الاستراتيجية التوجيهية على تعريف جون سيرل للأفعال التوجيهية التي عدّها جزءاً من الأفعال الكلامية المباشرة، بأنّها ((محاولة جعل المستمع يتصرّف بطريقة تجعل من تصرفه متلائماً مع المحتوى الخبري للتوجيه وتتوفر النماذج على التوجيهيات في الأوامر والنواهي والطلبات، واتجاه الملاءمة هو دائماً من العالم إلى الكلمة، وشرط الصدق النفسي المعبر عنه هو دائماً الرغبة. كل توجيه هو تعبير عن رغبة بأن يقوم المستمع بالفعل (الموجه به))^(١). وهناك مسوغات تُرجّح استعمال هذه الاستراتيجية^(٢) :

- ١- لا تشابه في عدد من السمات.
- ٢- لا اتصال مُتكرر بين المرسل والمتلقي، واقتصارهما على اللقاءات الرسمية من دون التعمق في المعرفة الشخصية.
- ٣- الشعور بالتفاوت في مستوى التفكير بين طرفي الخطاب، ما يؤثر على فهم كل منها للآخر، وقد يستعمل المرسل الاستراتيجية التضامنية، لمنع تأويل المتلقي لهذا الاستعمال على أنّه ضعف يجعل المرسل يلجأ إلى الاستراتيجية التوجيهية؛ لدرء هذه التأويلات ويجد فيها نتيجة مضمونة.
- ٤- تهميش الأثر العاطفي السلبي على المتلقي الذي يحدثه استعمال هذه الاستراتيجية، ويتجاهل المرسل التأثيرات النفسية على المتلقي.
- ٥- يستعمل المرسل هذه الاستراتيجية؛ لإعادة هيكلة علاقته بالمتلقي وتجسيدها، بل لتأكيد حضورها في ذهنه ولا يغفلها، حتّى لو استعمل استراتيجية التضامن في بعض السياقات.
- ٦- رغبة المرسل في الاستعلاء أو الارتفاع بمنزلته الذاتية.
- ٧- استعمال هذه الاستراتيجية يُعدّ احترازاً من سوء الفهم، أو التأويل الخاطئ.
- ٨- إبراز الموقع السلطوي الذي يتمتع به المرسل للحد من تجاوز المتلقي في بعض الخطابات.
- ٩- اهتمام المرسل بتبليغ خطابه ومتابعته من دون الالتفات إلى مرتبة المتلقي الاجتماعية.

(١) العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي: ٢١٨.

(٢) يُنظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٣٢٨-٣٢٩.

المبحث الأول: الاستراتيجيات الطلبية

وتتضمن هذه التقنيات الأفعال الكلامية الدالة على الطلب^(١). والغرض منها ((حمل المخاطب بدرجات مختلفة على أداء عمل معين، أما اتجاه المطابقة فيكون من العالم إلى القول، أي أن العالم ينبغي أن يكون مطابقاً للقول أو يطلب مطابقتها للقول))^(٢)، ولكل من هذه التقنيات أدوات لغوية يوظفها المرسل؛ لتحقيق غرضه من الخطاب، ويُعدُّ التنغيم الأداة المشتركة بين هذه التقنيات. وهي:

أولاً: الأمر:

يُعرّف الأمر أنه: طلب الفعل من الأعلى إلى الأدنى بصيغة مخصوصة^(٣). يُستشف من هذا التعريف، دلالة الأمر على الاستعلاء والوجوب، ولأمر صيغ تستدعي فعلاً أدائياً إنجازياً مباشراً باستعلاء بصيغتي (افعل) للمخاطب، و(ليفعل) للغائب، فضلاً عن أسماء متداولة عند العرب تحمل دلالة الأمر، مثل: (صه ومه بمعنى اسكت أو أكفف، وعليك، ودونك، وعندك ونزال...) ^(٤).

والأمر بمنظور التداولين من الأفعال الكلامية الإنجازية المباشرة التي قال بها أوستين وتلميذه سيرل، ويمكن أن نلتمس ذلك في قول أوستين: ((إننا نستعمل عند اقتضاء قرائن الأحوال الصيغة (اذهب) لنجد على وجه مخصوص ما يمكن إنجازه بالعبارة (آمر أن تذهب)، وحينما يقع لنا أن نصف فيما بعد ما أنجز من عمل، ونقول في كلتا الحالتين، وبكل اطمئنان (إنني أمرت أن تذهب)) ^(٥). وهذا ما يحدده سياق الحال والقرائن النصية. و جعل جون سيرل الأمر جزءاً

(١) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٠٥، والأفعال الكلامية في مُستدرك نهج البلاغة، منارس طالب كاظم: (رسالة ماجستير) ٣٧.

(٢) الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية، خالد ميلاد: ٥٠٦.

(٣) يُنظر: شرح المفصل، ابن يعيش، تح: د. إميل يعقوب: ٢٨٩/٤٠.

(٤) يُنظر: كتاب سيبويه: ٢٤١/١-٢٥٠، والمقتضب، المبرد، تح: محمد عبد الخالق عزيمة: ٤٤٣-٤٤٤، و

٢٠٢/٣-٢٠٥، والطرارز المتضمن لأسرار البلاغة، يحيى بن حمزة العلوي، تح: د. عبد الحميد الهنداوي: ١٥٥-١٥٦.

(٥) نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام: ٤٥ .

من الأفعال التوجيهية، والغاية المتضمنة فيها حمل المُتلقّي على أن يكون سلوكه يُضاهي المحتوى القضوي للتوجيه، وكلّ توجيه تعبير عن رغبة في تنفيذ المُتلقّي ما يوجهه إليه المرسل، والأوامر تكون مُطاعة من المُتلقّي أو مَعْصية، ومستجابةً ومسلّمة أو مرفوضة^(١).

ويمكن أن نلتزم دلالة التوجيه في الأمر في قول جورج يول أيضاً: ((الموجهات directives هي أنواع أفعال الكلام تلك التي يستعملها المتكلمون لجعلوا شخصاً آخر يقوم بشيء ما. وهي تعبر عما يُريده المتكلم، وتتخذ أشكال أوامر وتعليمات وطلبات ونواهٍ ومقترحات، ويمكن لها أن تكون إيجابية أو سلبية))^(٢). ويرى سيرل أن ((التوجيهيات من طراز الأوامر والطلبات لا يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة، لكن يمكن أن تطاع أو تهمل، أو يخضع لها أو تستنكر...))^(٣).

وبرزت تقنية التوجيه بالأمر؛ لغرض توجيه المُتلقّي والتأثير فيه في كتاب جمهرة خطب العرب، بنسبة كبيرة^(٤) قياساً بالنهي وغيره من أفعال التوجيه، ومن هذه الخطابات وصية الإمام علي(عليه السلام) لقيس بن سعد^(٥)، حين ولّاه مصر في عام (٣٦هـ): ((سر إلى مصر فقد وليتها،

(١) يُنظر: القصديّة بحث في فلسفة العقل، جون سيرل، ترجمة: أحمد الأنصاري: ٢٨، والتحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق: ٢٣٣، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٧٩.

(٢) التداولية، جورج يول، تح: د. قصي العنّابي: ٩٠.

(٣) العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي: ٢١٨.

(٤) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/١٠-١، ٤-١٢، ٦-١٧، ٧-١٨، ٢١-٣٨، ٢٣-٣٩، ٤٦-٧٣، ٤٨-٧٥، ٦٥-١٠١، ٧٦-١٢٢، ٧٧-١٢٣، ٧٨-١٢٤، ٨٠-١٢٦، ٨٢-١٢٩، ٨٣-١٣٠، ٨٦-١٣٥، ٨٧-١٣٦، ٩٠-١٣٩، ٩١-١٤٠، ٩٢-١٤١، ٩٣-١٤٢، ٩٤-١٤٣، ٩٥-١٤٤، ٩٦-١٤٥، ٩٧-١٤٦، ٩٨-١٤٧، ٩٩-١٤٨، ١٠٠-١٤٩، ١٠١-١٥٠، ١٠٢-١٥١، ١٠٣-١٥٢، ١٠٤-١٥٣، ١٠٥-١٥٤، ١٠٦-١٥٥، ١٠٧-١٥٦، ١٠٨-١٥٧، ١٠٩-١٥٨، ١١٠-١٥٩، ١١١-١٦٠، ١١٢-١٦١، ١١٣-١٦٢، ١١٤-١٦٣، ١١٥-١٦٤، ١١٦-١٦٥، ١١٧-١٦٦، ١١٨-١٦٧، ١١٩-١٦٨، ١٢٠-١٦٩، ١٢١-١٧٠، ١٢٢-١٧١، ١٢٣-١٧٢، ١٢٤-١٧٣، ١٢٥-١٧٤، ١٢٦-١٧٥، ١٢٧-١٧٦، ١٢٨-١٧٧، ١٢٩-١٧٨، ١٣٠-١٧٩، ١٣١-١٨٠، ١٣٢-١٨١، ١٣٣-١٨٢، ١٣٤-١٨٣، ١٣٥-١٨٤، ١٣٦-١٨٥، ١٣٧-١٨٦، ١٣٨-١٨٧، ١٣٩-١٨٨، ١٤٠-١٨٩، ١٤١-١٩٠، ١٤٢-١٩١، ١٤٣-١٩٢، ١٤٤-١٩٣، ١٤٥-١٩٤، ١٤٦-١٩٥، ١٤٧-١٩٦، ١٤٨-١٩٧، ١٤٩-١٩٨، ١٥٠-١٩٩، ١٥١-٢٠٠، ١٥٢-٢٠١، ١٥٣-٢٠٢، ١٥٤-٢٠٣، ١٥٥-٢٠٤، ١٥٦-٢٠٥، ١٥٧-٢٠٦، ١٥٨-٢٠٧، ١٥٩-٢٠٨، ١٦٠-٢٠٩، ١٦١-٢١٠، ١٦٢-٢١١، ١٦٣-٢١٢، ١٦٤-٢١٣، ١٦٥-٢١٤، ١٦٦-٢١٥، ١٦٧-٢١٦، ١٦٨-٢١٧، ١٦٩-٢١٨، ١٧٠-٢١٩، ١٧١-٢٢٠، ١٧٢-٢٢١، ١٧٣-٢٢٢، ١٧٤-٢٢٣، ١٧٥-٢٢٤، ١٧٦-٢٢٥، ١٧٧-٢٢٦، ١٧٨-٢٢٧، ١٧٩-٢٢٨، ١٨٠-٢٢٩، ١٨١-٢٣٠، ١٨٢-٢٣١، ١٨٣-٢٣٢، ١٨٤-٢٣٣، ١٨٥-٢٣٤، ١٨٦-٢٣٥، ١٨٧-٢٣٦، ١٨٨-٢٣٧، ١٨٩-٢٣٨، ١٩٠-٢٣٩، ١٩١-٢٤٠، ١٩٢-٢٤١، ١٩٣-٢٤٢، ١٩٤-٢٤٣، ١٩٥-٢٤٤، ١٩٦-٢٤٥، ١٩٧-٢٤٦، ١٩٨-٢٤٧، ١٩٩-٢٤٨، ٢٠٠-٢٤٩، ٢٠١-٢٥٠، ٢٠٢-٢٥١، ٢٠٣-٢٥٢، ٢٠٤-٢٥٣، ٢٠٥-٢٥٤، ٢٠٦-٢٥٥، ٢٠٧-٢٥٦، ٢٠٨-٢٥٧، ٢٠٩-٢٥٨، ٢١٠-٢٥٩، ٢١١-٢٦٠، ٢١٢-٢٦١، ٢١٣-٢٦٢، ٢١٤-٢٦٣، ٢١٥-٢٦٤، ٢١٦-٢٦٥، ٢١٧-٢٦٦، ٢١٨-٢٦٧، ٢١٩-٢٦٨، ٢٢٠-٢٦٩، ٢٢١-٢٧٠، ٢٢٢-٢٧١، ٢٢٣-٢٧٢، ٢٢٤-٢٧٣، ٢٢٥-٢٧٤، ٢٢٦-٢٧٥، ٢٢٧-٢٧٦، ٢٢٨-٢٧٧، ٢٢٩-٢٧٨، ٢٣٠-٢٧٩، ٢٣١-٢٨٠، ٢٣٢-٢٨١، ٢٣٣-٢٨٢، ٢٣٤-٢٨٣، ٢٣٥-٢٨٤، ٢٣٦-٢٨٥، ٢٣٧-٢٨٦، ٢٣٨-٢٨٧، ٢٣٩-٢٨٨، ٢٤٠-٢٨٩، ٢٤١-٢٩٠، ٢٤٢-٢٩١، ٢٤٣-٢٩٢، ٢٤٤-٢٩٣، ٢٤٥-٢٩٤، ٢٤٦-٢٩٥، ٢٤٧-٢٩٦، ٢٤٨-٢٩٧، ٢٤٩-٢٩٨، ٢٥٠-٢٩٩، ٢٥١-٣٠٠، ٢٥٢-٣٠١، ٢٥٣-٣٠٢، ٢٥٤-٣٠٣، ٢٥٥-٣٠٤، ٢٥٦-٣٠٥، ٢٥٧-٣٠٦، ٢٥٨-٣٠٧، ٢٥٩-٣٠٨، ٢٦٠-٣٠٩، ٢٦١-٣١٠، ٢٦٢-٣١١، ٢٦٣-٣١٢، ٢٦٤-٣١٣، ٢٦٥-٣١٤، ٢٦٦-٣١٥، ٢٦٧-٣١٦، ٢٦٨-٣١٧، ٢٦٩-٣١٨، ٢٧٠-٣١٩، ٢٧١-٣٢٠، ٢٧٢-٣٢١، ٢٧٣-٣٢٢، ٢٧٤-٣٢٣، ٢٧٥-٣٢٤، ٢٧٦-٣٢٥، ٢٧٧-٣٢٦، ٢٧٨-٣٢٧، ٢٧٩-٣٢٨، ٢٨٠-٣٢٩، ٢٨١-٣٣٠، ٢٨٢-٣٣١، ٢٨٣-٣٣٢، ٢٨٤-٣٣٣، ٢٨٥-٣٣٤، ٢٨٦-٣٣٥، ٢٨٧-٣٣٦، ٢٨٨-٣٣٧، ٢٨٩-٣٣٨، ٢٩٠-٣٣٩، ٢٩١-٣٤٠، ٢٩٢-٣٤١، ٢٩٣-٣٤٢، ٢٩٤-٣٤٣، ٢٩٥-٣٤٤، ٢٩٦-٣٤٥، ٢٩٧-٣٤٦، ٢٩٨-٣٤٧، ٢٩٩-٣٤٨، ٣٠٠-٣٤٩، ٣٠١-٣٥٠، ٣٠٢-٣٥١، ٣٠٣-٣٥٢، ٣٠٤-٣٥٣، ٣٠٥-٣٥٤، ٣٠٦-٣٥٥، ٣٠٧-٣٥٦، ٣٠٨-٣٥٧، ٣٠٩-٣٥٨، ٣١٠-٣٥٩، ٣١١-٣٦٠، ٣١٢-٣٦١، ٣١٣-٣٦٢، ٣١٤-٣٦٣، ٣١٥-٣٦٤، ٣١٦-٣٦٥، ٣١٧-٣٦٦، ٣١٨-٣٦٧، ٣١٩-٣٦٨، ٣٢٠-٣٦٩، ٣٢١-٣٧٠، ٣٢٢-٣٧١، ٣٢٣-٣٧٢، ٣٢٤-٣٧٣، ٣٢٥-٣٧٤، ٣٢٦-٣٧٥، ٣٢٧-٣٧٦، ٣٢٨-٣٧٧، ٣٢٩-٣٧٨، ٣٣٠-٣٧٩، ٣٣١-٣٨٠، ٣٣٢-٣٨١، ٣٣٣-٣٨٢، ٣٣٤-٣٨٣، ٣٣٥-٣٨٤، ٣٣٦-٣٨٥، ٣٣٧-٣٨٦، ٣٣٨-٣٨٧، ٣٣٩-٣٨٨، ٣٤٠-٣٨٩، ٣٤١-٣٩٠، ٣٤٢-٣٩١، ٣٤٣-٣٩٢، ٣٤٤-٣٩٣، ٣٤٥-٣٩٤، ٣٤٦-٣٩٥، ٣٤٧-٣٩٦، ٣٤٨-٣٩٧، ٣٤٩-٣٩٨، ٣٥٠-٣٩٩، ٣٥١-٤٠٠، ٣٥٢-٤٠١، ٣٥٣-٤٠٢، ٣٥٤-٤٠٣، ٣٥٥-٤٠٤، ٣٥٦-٤٠٥، ٣٥٧-٤٠٦، ٣٥٨-٤٠٧، ٣٥٩-٤٠٨، ٣٦٠-٤٠٩، ٣٦١-٤١٠، ٣٦٢-٤١١، ٣٦٣-٤١٢، ٣٦٤-٤١٣، ٣٦٥-٤١٤، ٣٦٦-٤١٥، ٣٦٧-٤١٦، ٣٦٨-٤١٧، ٣٦٩-٤١٨، ٣٧٠-٤١٩، ٣٧١-٤٢٠، ٣٧٢-٤٢١، ٣٧٣-٤٢٢، ٣٧٤-٤٢٣، ٣٧٥-٤٢٤، ٣٧٦-٤٢٥، ٣٧٧-٤٢٦، ٣٧٨-٤٢٧، ٣٧٩-٤٢٨، ٣٨٠-٤٢٩، ٣٨١-٤٣٠، ٣٨٢-٤٣١، ٣٨٣-٤٣٢، ٣٨٤-٤٣٣، ٣٨٥-٤٣٤، ٣٨٦-٤٣٥، ٣٨٧-٤٣٦، ٣٨٨-٤٣٧، ٣٨٩-٤٣٨، ٣٩٠-٤٣٩، ٣٩١-٤٤٠، ٣٩٢-٤٤١، ٣٩٣-٤٤٢، ٣٩٤-٤٤٣، ٣٩٥-٤٤٤، ٣٩٦-٤٤٥، ٣٩٧-٤٤٦، ٣٩٨-٤٤٧، ٣٩٩-٤٤٨، ٤٠٠-٤٤٩، ٤٠١-٤٥٠، ٤٠٢-٤٥١، ٤٠٣-٤٥٢، ٤٠٤-٤٥٣، ٤٠٥-٤٥٤، ٤٠٦-٤٥٥، ٤٠٧-٤٥٦، ٤٠٨-٤٥٧، ٤٠٩-٤٥٨، ٤١٠-٤٥٩، ٤١١-٤٦٠، ٤١٢-٤٦١، ٤١٣-٤٦٢، ٤١٤-٤٦٣، ٤١٥-٤٦٤، ٤١٦-٤٦٥، ٤١٧-٤٦٦، ٤١٨-٤٦٧، ٤١٩-٤٦٨، ٤٢٠-٤٦٩، ٤٢١-٤٧٠، ٤٢٢-٤٧١، ٤٢٣-٤٧٢، ٤٢٤-٤٧٣، ٤٢٥-٤٧٤، ٤٢٦-٤٧٥، ٤٢٧-٤٧٦، ٤٢٨-٤٧٧، ٤٢٩-٤٧٨، ٤٣٠-٤٧٩، ٤٣١-٤٨٠، ٤٣٢-٤٨١، ٤٣٣-٤٨٢، ٤٣٤-٤٨٣، ٤٣٥-٤٨٤، ٤٣٦-٤٨٥، ٤٣٧-٤٨٦، ٤٣٨-٤٨٧، ٤٣٩-٤٨٨، ٤٤٠-٤٨٩، ٤٤١-٤٩٠، ٤٤٢-٤٩١، ٤٤٣-٤٩٢، ٤٤٤-٤٩٣، ٤٤٥-٤٩٤، ٤٤٦-٤٩٥، ٤٤٧-٤٩٦، ٤٤٨-٤٩٧، ٤٤٩-٤٩٨، ٤٥٠-٤٩٩، ٤٥١-٥٠٠، ٤٥٢-٥٠١، ٤٥٣-٥٠٢، ٤٥٤-٥٠٣، ٤٥٥-٥٠٤، ٤٥٦-٥٠٥، ٤٥٧-٥٠٦، ٤٥٨-٥٠٧، ٤٥٩-٥٠٨، ٤٦٠-٥٠٩، ٤٦١-٥١٠، ٤٦٢-٥١١، ٤٦٣-٥١٢، ٤٦٤-٥١٣، ٤٦٥-٥١٤، ٤٦٦-٥١٥، ٤٦٧-٥١٦، ٤٦٨-٥١٧، ٤٦٩-٥١٨، ٤٧٠-٥١٩، ٤٧١-٥٢٠، ٤٧٢-٥٢١، ٤٧٣-٥٢٢، ٤٧٤-٥٢٣، ٤٧٥-٥٢٤، ٤٧٦-٥٢٥، ٤٧٧-٥٢٦، ٤٧٨-٥٢٧، ٤٧٩-٥٢٨، ٤٨٠-٥٢٩، ٤٨١-٥٣٠، ٤٨٢-٥٣١، ٤٨٣-٥٣٢، ٤٨٤-٥٣٣، ٤٨٥-٥٣٤، ٤٨٦-٥٣٥، ٤٨٧-٥٣٦، ٤٨٨-٥٣٧، ٤٨٩-٥٣٨، ٤٩٠-٥٣٩، ٤٩١-٥٤٠، ٤٩٢-٥٤١، ٤٩٣-٥٤٢، ٤٩٤-٥٤٣، ٤٩٥-٥٤٤، ٤٩٦-٥٤٥، ٤٩٧-٥٤٦، ٤٩٨-٥٤٧، ٤٩٩-٥٤٨، ٥٠٠-٥٤٩، ٥٠١-٥٥٠، ٥٠٢-٥٥١، ٥٠٣-٥٥٢، ٥٠٤-٥٥٣، ٥٠٥-٥٥٤، ٥٠٦-٥٥٥، ٥٠٧-٥٥٦، ٥٠٨-٥٥٧، ٥٠٩-٥٥٨، ٥١٠-٥٥٩، ٥١١-٥٦٠، ٥١٢-٥٦١، ٥١٣-٥٦٢، ٥١٤-٥٦٣، ٥١٥-٥٦٤، ٥١٦-٥٦٥، ٥١٧-٥٦٦، ٥١٨-٥٦٧، ٥١٩-٥٦٨، ٥٢٠-٥٦٩، ٥٢١-٥٧٠، ٥٢٢-٥٧١، ٥٢٣-٥٧٢، ٥٢٤-٥٧٣، ٥٢٥-٥٧٤، ٥٢٦-٥٧٥، ٥٢٧-٥٧٦، ٥٢٨-٥٧٧، ٥٢٩-٥٧٨، ٥٣٠-٥٧٩، ٥٣١-٥٨٠، ٥٣٢-٥٨١، ٥٣٣-٥٨٢، ٥٣٤-٥٨٣، ٥٣٥-٥٨٤، ٥٣٦-٥٨٥، ٥٣٧-٥٨٦، ٥٣٨-٥٨٧، ٥٣٩-٥٨٨، ٥٤٠-٥٨٩، ٥٤١-٥٩٠، ٥٤٢-٥٩١، ٥٤٣-٥٩٢، ٥٤٤-٥٩٣، ٥٤٥-٥٩٤، ٥٤٦-٥٩٥، ٥٤٧-٥٩٦، ٥٤٨-٥٩٧، ٥٤٩-٥٩٨، ٥٥٠-٥٩٩، ٥٥١-٦٠٠، ٥٥٢-٦٠١، ٥٥٣-٦٠٢، ٥٥٤-٦٠٣، ٥٥٥-٦٠٤، ٥٥٦-٦٠٥، ٥٥٧-٦٠٦، ٥٥٨-٦٠٧، ٥٥٩-٦٠٨، ٥٦٠-٦٠٩، ٥٦١-٦١٠، ٥٦٢-٦١١، ٥٦٣-٦١٢، ٥٦٤-٦١٣، ٥٦٥-٦١٤، ٥٦٦-٦١٥، ٥٦٧-٦١٦، ٥٦٨-٦١٧، ٥٦٩-٦١٨، ٥٧٠-٦١٩، ٥٧١-٦٢٠، ٥٧٢-٦٢١، ٥٧٣-٦٢٢، ٥٧٤-٦٢٣، ٥٧٥-٦٢٤، ٥٧٦-٦٢٥، ٥٧٧-٦٢٦، ٥٧٨-٦٢٧، ٥٧٩-٦٢٨، ٥٨٠-٦٢٩، ٥٨١-٦٣٠، ٥٨٢-٦٣١، ٥٨٣-٦٣٢، ٥٨٤-٦٣٣، ٥٨٥-٦٣٤، ٥٨٦-٦٣٥، ٥٨٧-٦٣٦، ٥٨٨-٦٣٧، ٥٨٩-٦٣٨، ٥٩٠-٦٣٩، ٥٩١-٦٤٠، ٥٩٢-٦٤١، ٥٩٣-٦٤٢، ٥٩٤-٦٤٣، ٥٩٥-٦٤٤، ٥٩٦-٦٤٥، ٥٩٧-٦٤٦، ٥٩٨-٦٤٧، ٥٩٩-٦٤٨، ٦٠٠-٦٤٩، ٦٠١-٦٥٠، ٦٠٢-٦٥١، ٦٠٣-٦٥٢، ٦٠٤-٦٥٣، ٦٠٥-٦٥٤، ٦٠٦-٦٥٥، ٦٠٧-٦٥٦، ٦٠٨-٦٥٧، ٦٠٩-٦٥٨، ٦١٠-٦٥٩، ٦١١-٦٦٠، ٦١٢-٦٦١، ٦١٣-٦٦٢، ٦١٤-٦٦٣، ٦١٥-٦٦٤، ٦١٦-٦٦٥، ٦١٧-٦٦٦، ٦١٨-٦٦٧، ٦١٩-٦٦٨، ٦٢٠-٦٦٩، ٦٢١-٦٧٠، ٦٢٢-٦٧١، ٦٢٣-٦٧٢، ٦٢٤-٦٧٣، ٦٢٥-٦٧٤، ٦٢٦-٦٧٥، ٦٢٧-٦٧٦، ٦٢٨-٦٧٧، ٦٢٩-٦٧٨، ٦٣٠-٦٧٩، ٦٣١-٦٨٠، ٦٣٢-٦٨١، ٦٣٣-٦٨٢، ٦٣٤-٦٨٣، ٦٣٥-٦٨٤، ٦٣٦-٦٨٥، ٦٣٧-٦٨٦، ٦٣٨-٦٨٧، ٦٣٩-٦٨٨، ٦٤٠-٦٨٩، ٦٤١-٦٩٠، ٦٤٢-٦٩١، ٦٤٣-٦٩٢، ٦٤٤-٦٩٣، ٦٤٥-٦٩٤، ٦٤٦-٦٩٥، ٦٤٧-٦٩٦، ٦٤٨-٦٩٧، ٦٤٩-٦٩٨، ٦٥٠-٦٩٩، ٦٥١-٧٠٠، ٦٥٢-٧٠١، ٦٥٣-٧٠٢، ٦٥٤-٧٠٣، ٦٥٥-٧٠٤، ٦٥٦-٧٠٥، ٦٥٧-٧٠٦، ٦٥٨-٧٠٧، ٦٥٩-٧٠٨، ٦٦٠-٧٠٩، ٦٦١-٧١٠، ٦٦٢-٧١١، ٦٦٣-٧١٢، ٦٦٤-٧١٣، ٦٦٥-٧١٤، ٦٦٦-٧١٥، ٦٦٧-٧١٦، ٦٦٨-٧١٧، ٦٦٩-٧١٨، ٦٧٠-٧١٩، ٦٧١-٧٢٠، ٦٧٢-٧٢١، ٦٧٣-٧٢٢، ٦٧٤-٧٢٣، ٦٧٥-٧٢٤، ٦٧٦-٧٢٥، ٦٧٧-٧٢٦، ٦٧٨-٧٢٧، ٦٧٩-٧٢٨، ٦٨٠-٧٢٩، ٦٨١-٧٣٠، ٦٨٢-٧٣١، ٦٨٣-٧٣٢، ٦٨٤-٧٣٣، ٦٨٥-٧٣٤، ٦٨٦-٧٣٥، ٦٨٧-٧٣٦، ٦٨٨-٧٣٧، ٦٨٩-٧٣٨، ٦٩٠-٧٣٩، ٦٩١-٧٤٠، ٦٩٢-٧٤١، ٦٩٣-٧٤٢، ٦٩٤-٧٤٣، ٦٩٥-٧٤٤، ٦٩٦-٧٤٥، ٦٩٧-٧٤٦، ٦٩٨-٧٤٧، ٦٩٩-٧٤٨، ٧٠٠-٧٤٩، ٧٠١-٧٥٠، ٧٠٢-٧٥١، ٧٠٣-٧٥٢، ٧٠٤-٧٥٣، ٧٠٥-٧٥٤، ٧٠٦-٧٥٥، ٧٠٧-٧٥٦، ٧٠٨-٧٥٧، ٧٠٩-٧٥٨، ٧١٠-٧٥٩، ٧١١-٧٦٠، ٧١٢-٧٦١، ٧١٣-٧٦٢، ٧١٤-٧٦٣، ٧١٥-٧٦٤، ٧١٦-٧٦٥، ٧١٧-٧٦٦، ٧١٨-٧٦٧، ٧١٩-٧٦٨، ٧٢٠-٧٦٩، ٧٢١-٧٧٠، ٧٢٢-٧٧١، ٧٢٣-٧٧٢، ٧٢٤-٧٧٣، ٧٢٥-٧٧٤، ٧٢٦-٧٧٥، ٧٢٧-٧٧٦، ٧٢٨-٧٧٧، ٧٢٩-٧٧٨، ٧٣٠-٧٧٩، ٧٣١-٧٨٠، ٧٣٢-٧٨١، ٧٣٣-٧٨٢، ٧٣٤-٧٨٣، ٧٣٥-٧٨٤، ٧٣٦-٧٨٥، ٧٣٧-٧٨٦، ٧٣٨-٧٨٧، ٧٣٩-٧٨٨، ٧٤٠-٧٨٩، ٧٤١-٧٩٠، ٧٤٢-٧٩١، ٧٤٣-٧٩٢، ٧٤٤-٧٩٣، ٧٤٥-٧٩٤، ٧٤٦-٧٩٥، ٧٤٧-٧٩٦، ٧٤٨-٧٩٧، ٧٤٩-٧٩٨، ٧٥٠-٧٩٩، ٧٥١-٨٠٠، ٧٥٢-٨٠١، ٧٥٣-٨٠٢، ٧٥٤-٨٠٣، ٧٥٥-٨٠٤، ٧٥٦-٨٠٥، ٧٥٧-٨٠٦، ٧٥٨-٨٠٧، ٧٥٩-٨٠٨، ٧٦٠-٨٠٩، ٧٦١-٨١٠، ٧٦٢-٨١١، ٧٦٣-٨١٢، ٧٦٤-٨١٣، ٧٦٥-٨١٤، ٧٦٦-٨١٥، ٧٦٧-٨١٦، ٧٦٨-٨١٧، ٧٦٩-٨١٨، ٧٧٠-٨١٩، ٧٧١-٨٢٠، ٧٧٢-٨٢١، ٧٧٣-٨٢٢، ٧٧٤-٨٢٣، ٧٧٥-٨٢٤، ٧٧٦-٨٢٥، ٧٧٧-٨٢٦، ٧٧٨-٨٢٧، ٧٧٩-٨٢٨، ٧٨٠-٨٢٩، ٧٨١-٨٣٠، ٧٨٢-٨٣١، ٧٨٣-٨٣٢، ٧٨٤-٨٣٣، ٧٨٥-٨٣٤، ٧٨٦-٨٣٥، ٧٨٧-٨٣٦، ٧٨٨-٨٣٧، ٧٨٩-٨٣٨، ٧٩٠-٨٣٩، ٧٩١-٨٤٠، ٧٩٢-٨٤١، ٧٩٣-٨٤٢، ٧٩٤-٨٤٣، ٧٩٥-٨٤٤، ٧٩٦-٨٤٥، ٧٩٧-٨٤٦، ٧٩٨-٨٤٧، ٧٩٩-٨٤٨، ٨٠٠-٨٤٩، ٨٠١-٨٥٠، ٨٠٢-٨٥١، ٨٠٣-٨٥٢، ٨٠٤-٨٥٣، ٨٠٥-٨٥٤، ٨٠٦-٨٥٥، ٨٠٧-٨٥٦، ٨٠٨-٨٥٧، ٨٠٩-٨٥٨، ٨١٠-٨٥٩، ٨١١-٨٦٠، ٨١٢-٨٦١، ٨١٣-٨٦٢، ٨١٤-٨٦٣، ٨١٥-٨٦٤، ٨١٦-٨٦٥، ٨١٧-٨٦٦، ٨١٨-٨٦٧، ٨١٩-٨٦٨، ٨٢٠-٨٦٩، ٨٢١-٨٧٠، ٨٢٢-٨٧١، ٨٢٣-٨٧٢، ٨٢٤-٨٧٣، ٨٢٥-٨٧٤، ٨٢٦-٨٧٥، ٨٢٧-٨٧٦، ٨٢٨-٨٧٧، ٨٢٩-٨٧٨، ٨٣٠-٨٧٩، ٨٣١-٨٨٠، ٨٣٢-٨٨١، ٨٣٣-٨٨٢، ٨٣٤-٨٨٣، ٨٣٥-٨٨٤، ٨٣٦-٨٨٥، ٨٣٧-٨٨٦، ٨٣٨-٨٨٧، ٨٣٩-٨٨٨، ٨٤٠-٨٨٩، ٨٤١-٨٩٠، ٨٤٢-٨٩١، ٨٤٣-٨٩٢، ٨٤٤-٨٩٣، ٨٤٥-٨٩٤، ٨٤٦-٨٩٥، ٨٤٧-٨٩٦، ٨٤٨-٨٩٧، ٨٤٩-٨٩٨، ٨٥٠-٨

واخرج إلى رخلك، واجمع إليك ثقاتك، ومن أحببت أن يصحبك، حتى تأتيها ومعك جُندك، فإنّ ذلك أَرعب لعدوك، وأَعزّ لوليك، فإذا أنتَ قدِمْتَها إنّ شاء الله فأحسن إلى المُحسن، واشتد على المُريب وارفق بالعامّة والخاصّة فإنّ الرّفق يُمنّ^(١).

تنقسم توجيهات الإمام علي(عليه السلام) في هذا الخطاب على محورين:

الأول: كيفية استلام السلطة وولاية مصر، فقد وجهه

١- اخرج إلى رخلك.

٢- اجمع إليك ثقاتك، ومن أحببت أن يصحبك.

٣- حتى تأتيها ومعك جُندك. ← والنتيجة : فإنّ ذلك أَرعب لعدوك، وأَعزّ لوليك.

والتوجيه الآخر: كيفية ممارسة السلطة

١- أحسن إلى المُحسن.

٢- واشتد على المُريب.

٣- وارفق بالعامّة والخاصّة(المساواة). لأنّ الرّفق يُمنّ.

نلاحظ أنّ الخطاب تضمن تعليمات مهمة جدًّا ونجد في نهايتها مبررات لهذه التوجيهات.

إنّ الإمام علي(عليه السلام) استعمل تقنية الأمر بالصيغة اللُّغوية(افعلْ)؛ لأنّ: ((من أرجح معاني الأمر كونه يجعل من التلفظ بالصيغة دلالة على الوجوب))^(٢)، واقترن الاستعلاء بوجوب التَّنفيذ، إذ ((لا شبهة في أن طلب المُتصور، على سبيل الاستعلاء، يورث إيجاب الإتيان على المطلوب منه، ثم إذا كان الاستعلاء ممن هو أعلى رتبة من المأمور استتبع إيجابه وجوب الفعل بحسب جهات مختلفة، وإلّا لم يستتبعه، فإذا صادفت هذه أصل الاستعمال بالشرط المذكور أفادت الوجوب، وإلّا لم تفد غير الطلب))^(٣). والمُتلقي (قيس بن سعد) تقبّل هذه التوجيهات؛ لأنّها

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة: ٢٨٥/١.

(٢) نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام: ٩١.

(٣) مفتاح العلوم: ٣١٨-٣١٩.

تصبّ في مصلحته، بدليل عند دخوله مصر وقعت الفرقة بين الناس^(١). وخطب فيهم: ((أيها الناس إنّنا قد بايعنا خير من نعلم بعد محمد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، فقوموا أيها الناس فبايعوا على كتاب الله عزّ وجلّ وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن نحن لم نعمل لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم))^(٢)، قام الناس وبايعوه.

واستعمل الحجاج بن يوسف الثقفي تقنية التوجيه بصيغ الأمر؛ بوصفها أفعالاً كلامية إنجازية مباشرة حين تولّى العراق سنة (٧٥هـ)، وابتدأها بقوله: [البحر الوافر]

((أنا ابنُ جَلّ وَطَلّاعُ الثّنايا متى أضعِ العِمَامَةَ تَعْرِفُونِي^(٣)... أما والله لَتَسْتَقِيمَنَّ على طريق الحقّ، أو لَأَدْعَنَ لَكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ شُغْلًا في جسده، وإنّ أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أُعْطِيَاتِكُمْ، وأنّ أوجهكم لمُحَارَبَةِ عدوكم مع المُهَلَّبِ بن أبي صُفْرة، وإنّي أقسم بالله لا أجد رجلاً تَخَلَّفَ بعد أخذ عطائه بثلاثة أيّام إلّا سَفَكْتُ دمه، وأنّهبت ماله، وهدمت منزله))^(٤).

وجّه الحجاج المُتلقّي (أهل العراق) باستعمال تقنية الأمر في الخطاب، بصيغة (لَتَسْتَقِيمَنَّ) في قوله: (أما والله لَتَسْتَقِيمَنَّ على طريق الحقّ)، بدأ الفعل بـ (لام) التوكيد، وختمه بنون التوكيد. مع أنّ الخطاب موجه للمُخاطَب وليس للغائب، والغاية من ذلك - على ما يبدو - توكيد وجوب الاستقامة التي سبقها القسم بالله (سُبْحَانَكَ). وهذه التقنية في الخطاب تدلّ على تسلّطه وسياسته الشديدة التي عُرِفَ بها، ودليل ذلك فاتحة خُطْبته التي بدأت ببيت شعري تنصّره إشارية الذات:

أنا ابنُ جَلّ وَطَلّاعُ الثّنايا متى أضعِ العِمَامَةَ تَعْرِفُونِي
وضمير المتكلم (أنا) أعطى للخطاب قوة جسّدت قوة سُلطة الحجاج وشدته، و يدل عليها أيضا ما تلا هذا التوجيه من ألفاظ وعبارات وجمل: (أمير المؤمنين أمرني... أوجهكم، وإنّي أقسم بالله...). وفضلاً عن التسلط والشدة استعمل الحجاج الفعل الصريح (أمرني)؛ ليحسم الأمر

(١) يُنظر: تاريخ الطبري تاريخ الرُّسل والملوك: ٤/٤٤٢.

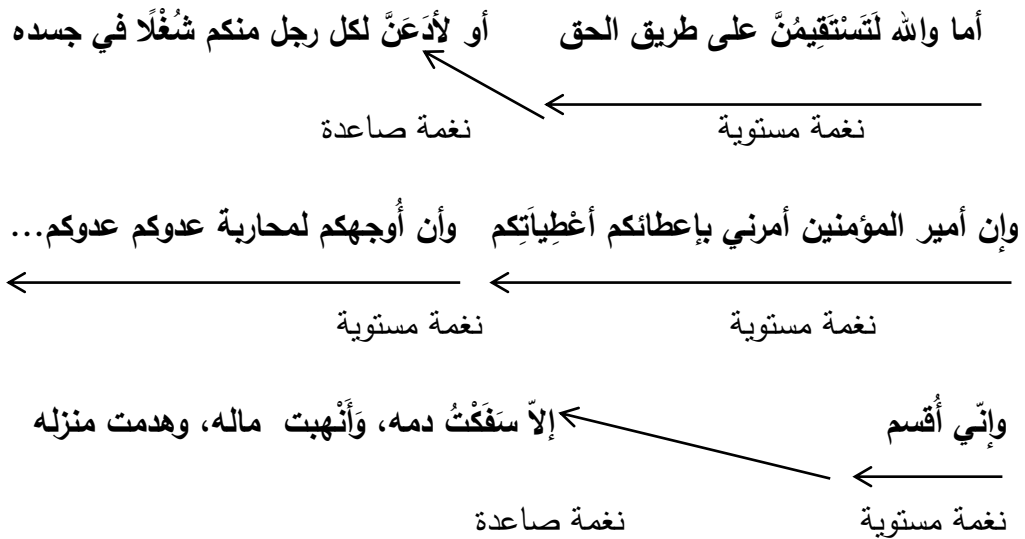
(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/٢٨٥.

(٣) شعر سحيم بن وثيل الرياحي: ٧١.

(٤) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/٢٨٨-٢٩١.

بوجوب تنفيذ الفعل الذي تلقاه من أميره، وهو مفترض الطاعة له ولأوامره، وصرح بالفعل للمتلقي، وهو أمر لا مفرّ منه، ولهذا التّوجيه أثره في نفس المتلقي، إذ باستعمال الحجاج للفعل الصريح أدرك المتلقي أنّ الأمر محسوم وما عليه إلّا تنفيذ هذه الأوامر. بدلالة قسمه (أقسم بالله)، وهدد أنّ من لا ينفذ أوامره (توجيهاته)، ويتخلف عن مُحاربة العدو- بعد ثلاثة أيام من أخذ العطايا- سيؤول به الأمر إلى ثلاثة نتائج: (سَفَكْتُ دمه، وَأَنْهَيْتُ ماله، وهدمت منزله).

وما يُعزّد التّوجيه بصيغ الأمر في هذه الخطبة، تجانس التّغيم؛ بوصفه من العلامات المُصاحبة للخطاب مع صيغ الأمر (لَتَفْعَلْ + مادة أمر)، وهو ما سمّاه دكتور إبراهيم أنيس موسيقى الكلام، التي تُعطي للجملة معاني بحسب توالي درجات الصوت^(١). ويبرز التّغيم في قوله:



إذ افتتح الحجاج خطابه بمقدمة شعرية موسيقية^(٢). ثم يُلحظ صعود التّغيم في المقطع التالي؛ لدلالته على انفعال الحجاج وغضبه، واتخذه عاملاً مساعداً؛ ليكشف غرض التّهديد والترهيب الذي يمارسه على المتلقي، ونوع السّياق في هذا الخطاب هو السّياق المقامي الذي

(١) يُنظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: ١٧٥.

(٢) يُنظر: البيان في خطب الحجاج بن يوسف التّقفي، فطيمة بلخير: (رسالة ماجستير) ٢٦.

جسد حال المرسل وأثره على المتلقي بخضوعه لما يُريده منه^(١). وأنجز الحجاج بن يوسف الثقفي خطابه بتقنية الأمر، باستعمال صيغ الأمر (لِفْعَل + مادة الأمر) + (التنْغيم)، وساعدته معرفته المُسبقة بالمتلقي وموقفه منه على إنتاج خطابه بهذه الاستراتيجية؛ ليمارس مزيداً من الضغط بترهيب المتلقي للتأثير فيه، وليصل إلى قصده وغايته بالتسلط على رقاب الرعية، وتثبيت حكمه واستمراره، بوصفه صاحب سلطة يجب إطاعتها، وقد نجح الحجاج بهذا فقد أدخل الرعب في قلوب من كانوا حاضرين بالمسجد، وحال المتلقي خاضع ومُسَلَّم لهذه الأحكام^(٢).

ثانياً: النَّهْي:

يُعرّف النَّهْي بأنه ((طلب الكف عن فعل))^(٣). والنهي كالأمر بوصفه طلباً، ف((النهي بمنزلة من الأمر، يجري على لفظه كما جرى على لفظ الأمر))^(٤). أي إنّ النهي يشترك مع الأمر بالسلطة، وأشار السكاكي (ت ٦٢٦هـ) إلى ذلك بقوله: ((للنهي حرف واحد وهو لا الجازم في قولك: لا تفعل؛ والنهي محذو به حذو الأمر في أن أصل استعمال: لا تفعل، أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور، فإن صادف ذلك أفاد الوجوب، وإلا أفاد طلب الترك فحسب...))^(٥). أي يقترن شرط الاستعلاء بوجوب التنفيذ كالأمر، لكن المعنى مختلف، فالمعنى الحقيقي للنهي، هو الكف.

وهو يقع ضمن الأفعال الكلامية ويندرج تحت أفعال الموجهات، وهو من الجمل الطلبية التي تدل على رغبة المرسل في التأثير على الأفعال المستقبلية^(٦).

(١) يُنظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر: ٣٦٨-٣٦٦، والدلالة الصوتية في اللغة العربية، صالح سليم عبد القادر الفاخري: ٢٠٣.

(٢) يُنظر: البيان في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي: ٩.

(٣) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، تح: شعيب الأرنؤوط: ٥٨٢.

(٤) المقتضب: ١٣٣/٢.

(٥) مفتاح العلوم: ٣٢٠.

(٦) يُنظر: العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي: ٢١٨، والتداولية: ٩٠، ومقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، محمد محمد يونس: ٣٦.

وبرزت تقنية النهي في جمهرة خطب العرب بنسبة كبيرة^(١) منها وصية مُسلم بن قُتيبة الباهلي^(٢) لابنه وقيل لأبي عمر المدائني^(٣)، إذ قال: ((لا تَطْلُبَنَّ حاجتك إلى واحد من ثلاثة: لا تَطْلُبْهَا إِلَى الْكَذَّابِ، فَإِنَّهُ يُقَرِّبُهَا وَهِيَ بَعِيدَةٌ، وَيُبْعِدُهَا وَهِيَ قَرِيبَةٌ؛ وَلَا تَطْلُبْهَا إِلَى الْأَحْمَقِ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ وَهُوَ يَضُرُّكَ؛ وَلَا تَطْلُبْهَا إِلَى رَجُلٍ لَهُ عِنْدَ قَوْمٍ مَأْكَلَةٌ، فَإِنَّهُ يَجْعَلُ حاجتك وِقَاءً لِحاجته))^(٤).

وجه مُسلم بن قُتيبة المُتلقّي بلفظة ((لا تَطْلُبَنَّ)) في قوله: ((لا تَطْلُبَنَّ حاجتك إلى واحد من ثلاثة)) وهو ملفوظٌ إنجازيٌ توجيهيٌ صريحٌ، رافقه زيادة نون التوكيد الثقيلة؛ ليُحقق قَصديته من الخطاب، وزيادة النون؛ لزيادة قوة تأكيد مُسلم بن قُتيبة وجوب ترك ما سيذكره، وأضفت زيادتها دلالة تداولية؛ لأنّ النهي المؤكد أكثر تأثيرًا من النهي بالصيغة المُجرّدة بلفظة ((لا تَطْلُبْهَا)) في قوله: ((لا تَطْلُبْهَا إِلَى الْكَذَّابِ... لا تَطْلُبْهَا إِلَى الْأَحْمَقِ... لا تَطْلُبْهَا إِلَى رَجُلٍ لَهُ عِنْدَ قَوْمٍ مَأْكَلَةٌ))، ومُسلم بن قُتيبة تدرّج بذكر النواهي، وابتدأ الخطاب بـ ((لا الناهية+ الفعل المضارع+ نون التوكيد))؛ لأنّ النهي ((طبقات بناءً على السياق التداولي وذلك بمعرفة خصائص المرسل إليه من الضعف والقوة، وكذلك أهمية الأمر المنهى عنه، ويمكن أن يُنظر إلى النهي بوصفه درجات أو طبقات، كما يُنظر إلى طبقات التداول في التوكيد مثلاً، وذلك باستعمال أداة [من] دون أخرى بناءً على

(١) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/١١-٣، ٧٣-٤٦، ١٢٠-٧٤، ١٢١-٧٥، ١٢٣-٧٧، ١٢٤-٧٨، ١٢٩-٨٢، ١٣٠-٨٣، ١٣٤-٨٥، ١٤١-٨٨، ١٤٥-٩٠، ١٥٢-٧١، ١٥٥-١٣، ١٥٩-١٥، ١٦٦-٢١، ١٨٧-٤٤، ١٨٨-٤٥، ١٩٧-٥٩، ٢٠٣-٦٧، ٢٤٤-١١٦، ٢٥٧-١٢٧، ٢٦٠-١٣٢، ٢٦٣-١٣٧، ٢٧٤-١٥٠، ٢٧٦-١٥٣، ٣٠٥-١٨٦، ٣١٦-٢٠١، ٢/١٩، ٣٩-٢٥، ٤٠-٢٦، ٥٢-٦٢، ٤٠-٤٩، ٧٠-٥٩، ٧٢-٦٢، ٨٣-٧٦، ٨٤-٧٨، ١٠٤-٩٨، ١٢٩-١٢٠، ١٣٠-١٢١، ١٨٠-١٥٢، ١٩٣-١٦٨، ١٩٤-١٦٩، ٢٠٤-١٨٢، ٢٠٨-١٩٢، ٣١٦-٣٠٣، ٣٢٠-٣٠٦، ٣٤٩-٣٣٩، ٣٥٨-٣٥١، ٢٨-٢٤، ٣٢، ٢٨-٣٢، ٥٤-٥٣، ٦٠-٥٧، ٨٥-٧٨، ١١٠-١٠١.

(٢) مُسلم بن قُتيبة بن مُسلم بن عمرو بن حصين الباهلي، أمير خراسان، كان أبوه والي خراسان أيام الحجاج وتولاها هو أيام هشام بن عبد الملك، ثم سكن البصرة، وقد مات سنة تسع وأربعين ومائة. يُنظر: الأنساب، السمعي، تح: الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني: ٧٠-٧١، وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون، تح: خليل شحادة: ٢٤٥-٢٤٦.

(٣) يُنظر: المُنتخب من وصايا الآباء للأبناء، وائل حافظ خلف: ١٣٠، وصايا الأدياء والخلفاء والحكماء في العصر العباسي دراسة فنيّة، روناك توفيق علي النورسي: ١٧٠.

(٤) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٣/٥٤-٥٥.

درجة الإنكار في ذهن المرسل إليه^(١). ثم جاء بالصيغة المجردة؛ للتخفيف من حدة النواهي على المُتلقّي، وهي صيغة واحدة للنهي، وهذا ما يفرّقها عن الأمر، وقال المبرد: ((فأما حرف التّهي فهو (لا). وهو يقع على فعلِ الشاهد والغائب، وذلك قولك: لا يقيم زيد، ولا تقم يا رجل، ولا تقومي يا امرأة. فالفعل بعده مجزوم به))^(٢). أي سواء أكان المُتلقّي مخاطبًا، أم غائبًا، أم متكلّمًا^(٣). وللتأثير بالمُتلقّي عمّد مُسلم بن قُتيبة إلى تكرار (لا تَطْلُبْهَا إِلَى) ثلاث مرات، ويمكن أن يقول: ((لا تَطْلُبَنَّ حاجتك إلى واحدٍ من ثلاثة: الكذاب، فإنّه يُقَرِّبُهَا وهي بعيدة، ويُبْعِدُهَا وهي قريبة، الأحمق، فإنّه يُريد أن يَنْفَعَكَ وهو يَضُرُّكَ، رجلٌ له عند قوم مأكلة، فإنّه يَجْعَلُ حاجتك وِقَاءً لحاجته)). مع ذكر السبب في كلّ واحدة، لا تطلبها إلى الكذاب فإنّه (يُقَرِّبُهَا وهي بعيدة، ويُبْعِدُهَا وهي قريبة)، ولا تطلبها من الأحمق؛ فإنّه (يُريد أن يَنْفَعَكَ وهو يَضُرُّكَ)، ولا تطلبها من رَجُلٍ له مأكلة عند قوم؛ فإنّه (يَجْعَلُ حاجتك وِقَاءً لحاجته).

وبهذا الأسلوب التّوجيهي يستطيع المرسل تحقيق غايته من الخطاب والسياق المقامي يساعد المرسل في إنجاز خطابه بتقنية النهي، وعلى المُتلقّي تقبّل ترك ما نهى عنه المرسل؛ لأنّه ذكر الأسباب التي تصبّ في مصلحته، وجهه إلى ترك ما يضره.

ومن الخطابات المُنجزّة بتقنية النهي، وصية دُوَيْدَ^(٤) بن زيد لبنيه، لما حضرته الوفاة، إذ قال لهم: ((أوصيكم بالناسِ شراً، لا تَرْحَمُوا لهم عِبرَةً، ولا تُقِيلُوهم عَثْرَةً، قَصَرُوا الأَعْتَةَ، وَ طَوَّلُوا الأَسِنَّةَ، واطعنوا شُرَرًا، واضربوا هَبْرًا، وإذا أردتم المحاجة، فقبل المناجزة، والمرء يعجز لا المحالة، بالجد لا بالكُد، التجلّد ولا التبدّل، والمنية ولا الدنية، ولا تأسوا على فانت وإن عزّ فقده، ولا تحنوا إلى ظاعن وإن ألف قُربه، ولا تطمعوا فتطبّعوا، ولا تهنؤا فتخرعوا، ولا يكوننّ

(١) استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٣٥١.

(٢) المُقتضب: ١٣٢/٢.

(٣) يُنظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري، تح: محمّد محي الدّين عبد الحميد: ٢٧٣/١.

(٤) دُوَيْد بن زيد بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة بن مالك بن مرة بن مالك بن حمير، أحد المعمرين، مات بعد أن أوصى بنيه بهذه الوصية. يُنظر: أمالي المرتضى، الشريف المرتضى، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم: ١٣٧/١-١٣٨.

لکم المثل السوء (إنّ الموصّين بنو سهوان) إذا مُتْ فَأَرْحَبُوا خَطَّ مَضْجَعِي، وَلَا تَضْنُوا عَلَيَّ بِرَحْبِ الْأَرْضِ، وما ذلك بمؤدِّ إِلَيَّ رَوْحًا، ولكن حاجة نفس خامرها الإشفاقُ))^(١).

أنجز دويد بن زيد خطابه باستعمال النهي (لا تَرَحَّمُوا) و(لا تُقِيلُوهم)، و(لا تَأْسُوا)، و(لا تَحْنُوا)، و(لا تَطْمَعُوا)، و(لا تَهْنُوا)، و(لا يَكُونَنَّ)، و(لا تَضْنُوا). وجه دويد أبناءه في هذا الخطاب بجملة من التوجيهات، بنهيمهم عن بعض الأفعال، وأنجز هذه الملفوظات بصيغة النهي بوصفه والدهم وله سلطة عليهم، لكن ما يُلحظ أنّ دويد بن زيد خرج عن عادة الآباء في وصاياهم لأبنائهم التي تُمثل الخير والصلاح، ويدل عليه مطلع خطبته (أوصيكم بالناسِ شراً) وما تلا هذا المقطع من ملفوظات إنجازية بصيغة النهي تؤكد الابتعاد عن أفعال هي خير لهم إن أمرهم باتباعها بدلا من نهيمهم عنها، في قوله: (لا تَرَحَّمُوا لَهُمْ عِبْرَةً، وَلَا تُقِيلُوهم عَثْرَةً...، التَّجَلُّدُ وَلَا التَّبَلُّدُ... وَلَا تَأْسُوا عَلَى فَائِتٍ وَإِنْ عَزَّ فَقَدِهِ، وَلَا تَحْنُوا إِلَى ظَاعِنٍ وَإِنْ أَلَفَ قُرْبِهِ...). وبهذه الملفوظات نهاهم عن الاتصاف بالرحمة والرأفة في معاملة الناس، و عن معاملتهم باللين وأمرهم باستعمال الشدة أي تجلّدوا ولا تتبلّدوا، حتى وإن كان قريباً عليهم.

نلاحظ أنّ دويداً استعمل تقنية النهي بأسلوب تشاؤمي يُجسّد سوء الظن والحذر من الناس، ونهى أولاده عن رحمتهم والرأفة بهم، ومحاربتهم، وما لهذا الأمر من تأثير سلبي ينعكس على المجتمع بالفرقة بين أبنائه والاكتفاء بالذات من دون مساعدة الآخر، وما يُلحظ أنّ دويداً لم يعمد إلى ذكر أسباب هذه التوجيهات، ما يؤكد أنّه حسم لهم الأمر بوجوب الأخذ بما قاله من دون ذكر أسباب ونتائج هذه النواهي، ويبدو أنّ السياق المقامي والسيّاق النفسي والسيّاق الوجودي - مرت الإشارة إليها في التمهيد - كان لها الأثر الواضح في دفع دويد لقول هذه الوصية السلبية في مضمونها.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الغالب على التوجيه بتقنية النهي في جمهرة خطب العرب الجانب

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزاهرة: ١٢٤-١٢٥، ويُنظر المثل في: مجمع الأمثال، الميداني، تح: مُحَمَّدُ مُحِي الدّين عبد الحميد: ٩/١. تخبط أكثر الناس في تفسير هذا المثل، قال بعضهم: إنما يحتاج إلى الوصية من يسهو ويغفل، فأما أنت فغير محتاج إليها؛ لأنك لا تسهو، وقال بعضهم: يُريد بقوله بنو سهوان جميع الناس؛ لأنّ كلهم يسهو، والأصوب في معناه أن يقال: إنّ الذين يُوصَوْنَ بالشّيء يستولى عليهم السهو حتّى كأنّه مُوكَّل بهم؛ يُضرب لمن يسهو عن طلب شيء أمر به، والسهوان: السهو، ويجوز أن يكون صفة أي بنو رجلٍ سهوان، وهو آدم(عليه السلام) حين عُهِدَ إليه فسها ونسى، لا بدّع أن يسهوها لأنهم بنو آدم(عليه السلام).

الإيجابي أما الجانب السلبي فمثلته وصية دُويد هذه فقط، وعمدتُ إلى الإشارة إليها؛ لبيان أنَّ التوجيه باستراتيجية النَّهي يمكن أن يكون سلبيًا، ولا يقتصر على الإيجاب دومًا، وهذا ما لمسناه في استراتيجية الأمر أيضًا. وليس كل ما يؤمر به أو يُنهى عنه إيجابيًا، بل يختلف باختلاف الذوات وقصدياتهم، ومن هذا نلاحظ أنَّ للقصدية أثرًا فاعلاً في توجيه التقنية الطلبية، والقصدية تكون تعبيرًا عن حالات نفسية ومقامات خاصة.

ثالثًا: النداء:

يُعرّف النداء بأنه: ((تنبيه المدعو ليُقبل عليك))^(١). أي هناك مُنادي (مرسل) يطلب الإقبال من المُنادى (المتلقي) باستعمال حروف مخصوصة للنداء^(٢)، هي (يا، وأيا، وهيا، وأي، والهمزة، و وا)^(٣).

وهو من الأفعال التوجيهية التي يعتمد إليها المرسل؛ لتوجيه المتلقي لفعل شيء في المستقبل^(٤).

وبرزت تقنية النداء في جمهرة خطب العرب بشكلٍ جليٍّ وواضح^(٥)، فغالبًا ما تُستهل الخطب

(١) الأصول في النحو، ابن السرج، تح: محمد عثمان: ٢٩٧/١.

(٢) يُنظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، السبكي، تح: د. عبد الحميد هنداوي: ٣٣٣/٢.

(٣) يُنظر: المقتضب: ٢٣٣/٤، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، تح: محمد كامل بركات، التعليقة على المقرب، ابن النحاس، تح: د. جميل عبد الله عويضة: ٢٧٢.

(٤) يُنظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة: ٦٦.

(٥) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/٣٧-١٨، ٤٨-٧٥، ٢٤-١٦٩، ٣٠-١٧٥، ٦٧-٢٠٣، ٧٩-٢١٣، ١٠٢-٢٣١، ١٢٨-٢٥٨، ١٣٠-٢٥٩، ١٣٥-٢٦٢، ١٣٧-٢٦٣، ١٤٨-٢٧٢، ١٦٣-٢٨٧، ٢١٧-٣٢٧، ٢٢٩-٣٣٩، ٢٧٣-٣٨٢، ٢٨٦-٣٩٠، ٣١٨-٤١٩، ٥-١١/٢، ٧-١٢، ٨-١٤، ٨١-٨٨، ١٤-٢١، ١٦-٢٢، ٢٠-٣٥، ٢٦-٤٠، ٢٩-٤٥، ٣٨-٥١، ٤٣-٥٦، ٥٣-٦٦، ٧٢-٨٠، ٧٤-٨٢، ٨١-٨٨، ١٠٩-١١١، ١١٨-١٢٥، ١٢٨-١٤٥، ١٥٦-١٨٣، ١٦٧-١٩٢، ٢٠٦-٢٢١، ٢٦٩-٢٨٠، ٢٨٠-٢٩٥، ٣٢٦-٣٣٧، ٤١٠-٤٣٤، ٤١٣-٤٣٧، ٢-٨/٣، ٥-١٢، ٩-١٥، ١٣-١٨، ٢٢-٢٧، ٢٤-٢٨، ٢٥-٢٨، ٢٧-٣١، ٢٨-٣٢، ٣٢-٣٥، ٣٥-٣٨، ٣٨-٤٠، ٥١-٥٣، ٥٥-٥٨، ٥٦-٥٩، ٥٧-٦٠، ٥٨-٦٢، ٦٦-٧٤، ٧٨-٨٥، ٩٥-١٠٤، ١٠٤-١١٣، ١٠٧-١١٥، ١٠٩-١١٨، ١٢١-١٣٠، ١٣٢-١٢٥.

بالنداء؛ بوصفه مدخلاً لموضوع الخطاب وغالبًا ما يأتي بعدها أمر أو استفهام أو نهى^(١). ومن هذه الخطابات خطبة الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) يوم عاشوراء، إذ نادى بأعلى صوته: ((أيها الناس: اسمعوا قولي، ولا تُعجلوني، حتى أعظكم، بما لحق لكم عليّ، وحتى أعذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبّلتُم عذري، وصدّقتُم قولي، وأعطيتُموني النصف، كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر، ولم تعطوا النصف من أنفسكم. فأجمِعُوا أَمْرَكُمْ وشُرَكَاءَكُمْ، ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً، ثُمَّ أَفْضُوا إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُونَ^(٢) - إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ^(٣))).^(٤)

وجه الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) المتلقي بتقنية النداء التي استهل بها خطابه بقوله: ((أيها الناس))، والمنادى قريب عليه وأوجز الإمام الحسين (عليه السلام) الكلام بذكر المنادى فقط، عندما وقف الإمام (عليه السلام) بين معسكره وجيش عمر بن سعد، ناداهم بها لمساواة الناس جميعا في القيمة الإنسانية المشتركة، ولم يُفضل أحدهم بنداءٍ خاص، بل جعله عاما موجها إلى كل قادتهم وجُنْدِهِم الذين عسكروا بالجهة المقابلة لمعسكره (عليه السلام). استعمل الإمام (عليه السلام) التوجيه باستراتيجية النداء؛ لأنّ النداء يحفز المتلقي لردة فعل تجاه المرسل، لما يُريد ذكره بعد هذا النداء، وتلاه (عليه السلام) بذكر الملفوظات الإنجازية بالأمر والنهي في قوله: (اسمعوا قولي، ولا تُعجلوني... فأجمِعُوا أَمْرَكُمْ وشُرَكَاءَكُمْ، ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً، ثُمَّ أَفْضُوا إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُونَ...)

ونلاحظ أنّ الإمام (عليه السلام) بتقنية النداء وجه المتلقين؛ لأنّه (عليه السلام) بحكم مسؤوليته الشرعية - بوصفه إمام العصر ومن أهل بيت النبوة - رأى أن ينبه القوم لما يقدمون عليه ويوجههم بالابتعاد عن الفعل الذي يقدمون عليه، وهم جميعا مسلمون وإخوة في الدين، وقصد الإمام الحسين (عليه السلام) بخطابه هذا الابتعاد عن إراقة الدماء؛ لحرصه الشديد (عليه السلام) على مصيرهم حتى لا يخسروا الدنيا والآخرة بمخالفة وصية رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بأهل بيته. وألقى الإمام (عليه السلام) الحُجّة عليهم، ثم ختم خطابه بآية من الذكر الحكيم؛ ليبين لهم أنّه لا يحتاج إلى نصرتهم،

(١) يُنظر: المقتضب: ٢٩٨/٣، والنداء في اللغة والقرآن، د. أحمد محمد فارس: ١٦٨.

(٢) يونس: ٧١.

(٣) الأعراف: ١٩٦.

(٤) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٥٢/٢.

فإن الله (ﷺ) ناصره ومعينه عليهم، لكن في قوله صلاح للأمة والله (ﷺ) يتولى من صلح عمله. وأنجز الإمام الحسين (عليه السلام) خطابه؛ بوصفه يمتلك مقومات السلطة، والمقصود بالسلطة هنا ليست بمفهومها الضيق، بل المقصود سلطة العلم والمعرفة، والسلطة الدينية كذلك بوصفه إمام، وقوة الحجة وبلاغة العبارة التي اتصف بها (عليه السلام)، فجاء خطابه بأسلوب توجيهي بليغ مؤثر؛ ليوثق المتلقين من غفلتهم، لئلا يخسروا الدارين، وخطابه يصب في مصلحتهم؛ لأن قتله يغضب الله (ﷺ)، وجده الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لمخالفتهم وصيته بأهل بيته (عليهم السلام).

أنجز الإمام الحسين (عليه السلام) خطابه بتقنية النداء، بـ(يا) المحذوفة، إذ إن معرفته السابقة بالمتلقي الخاضع لقادته من دون تفكر بما سيؤول إليه إقدامهم على قتاله أوجز كلامه، ونوع السياق هنا السياق المقامي بزحف الجيوش الاعداء وعسكرتهم أمام أصحابه استدعى منه (عليه السلام) إنتاج خطابه بهذا الأسلوب التوجيهي المؤثر، الذي تخشع له القلوب ويستحوذ على الأذهان؛ ليوثقهم من غفلتهم وغايته تصب في مصلحة المتلقي التي تنعكس على المجتمع الإسلامي لحقن الدماء البريئة.

ومن الخطابات المنجزة باستعمال تقنية النداء، خطبة عبيد الله بن زياد^(١) ((يا حُصَيْنُ بن نَمِير، ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ إِنَّ صَاحَ بابِ سِكَّةٍ من سَكِّ الكوفة، أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به، وقد سَلَّطْتُكَ على دُورِ أهل الكوفة، فابعث مُرَاصِدَةً على أفواه السكك، وَأَصْبِحْ غداً وَاسْتَبِرِّ الدُّورَ، وَجُسْ خِلَالَهَا، حَتَّى تَأْتِيَنِي بهذا الرجل))^(٢).

وجّه عبيد الله بن زياد نداءه إلى حُصَيْنَ خاصة بحرف النداء(يا) في قوله: (يا حُصَيْنُ بن نَمِير)، ومع إن حُصَيْنَ بن نَمِير قريب منه، إلّا أنّه ناداه بحرف النداء(يا) الدالة على البعد؛ لأنّه جعل القريب بمنزلة البعيد الذي يقتضي علو الصوت؛ لغفلة وسهوه^(٣)، وأنجز خطابه مُستَهلاً

(١) عبيد الله بن زياد بن عبيد، أبو حفص، المعروف بابن زياد ويُقال عبيد الله بن مرجانة وهي أمه، استعمله معاوية على خراسان بعد موت أبيه، ثم تولى البصرة والكوفة، قتل الإمام الحسين (عليه السلام) وكان عمره ثمانية وعشرين سنة يوم عاشوراء، وقد قتله إبراهيم الأشتر سنة ست وستين مع حُصَيْنَ بن نَمِير وآخرون. يُنظر: البداية والنهاية: ٩/١٢-٥٧، والكامل في التاريخ: ٣/٩٢-٩٣.

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/٤٠.

(٣) يُنظر: مفتاح العلوم: ١٠١.

بحرف النداء (يا) ثم ذكر التوجيه بالأمر في لفظة (ابعث)، و (أصبح)، و (استبّر)، و (جس). هي ملفوظات إنجازية طلبية مباشرة الغرض التأثيري منها الأمر، والغاية منها (حتى تأتيني بهذا الرجل). وغاية عبيد الله بن زياد من استعمال تقنية النداء غاية صريحة قصد إيضاها وإبلاغها إلى حصين بن نمير، وهي السير لإحضار مسلم بن عقيل (عليه السلام)، وخولته سلطته بوصفه والي الأمويين على الكوفة إنجاز خطابه بهذا الأسلوب.

والنداء أول فعل كلامي طلبي قام به عبيد الله بن زياد؛ ليتمكن من تحديد مقاصده باستعمال أداة النداء إذ استعمل (يا) التي ((يُنَادِي بِهَا الْقَرِيبَ توكيدا))^(١). وما يلحظ في هذا الخطاب التسلط على المتلقي بتهديده، والدليل قوله: (تَكَلِّتْكَ أُمِّكَ إِنْ صَاحَ بَابَ سَكَّةٍ مِنْ سَكِّ الْكُوفَةِ، أَوْ خَرَجَ هَذَا الرَّجُلُ وَلَمْ تَأْتِنِي بِهِ)، وأنجز هذه الملفوظات للتأثير بالمتلقي (تَكَلِّتْكَ)^(٢) أي سيكون مصيرك الموت، و (إِنْ صَاحَ)^(٣) إذا فُتِحَ له طريق وهرب. أي حياتك يا حصين متعلقة بالعثور على مسلم بن عقيل (عليه السلام).

وفي تقنية النداء هذه فضل عبيد الله بن زياد مصلحته على مصلحة المتلقي؛ لأنّ النداء غايته تنبيه وتوجيه المتلقي، إذ إن ((حَقُّ الْنَدَاءِ أَنْ تَعْطِفَ بِهِ الْمَخَاطَبَ عَلَيْكَ، ثُمَّ تَخْبِرَهُ، أَوْ تَأْمُرَهُ، أَوْ تَسْأَلَهُ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا تُوقِعُهُ إِلَيْهِ، فَهُوَ مَخْتَصٌّ مِنْ غَيْرِهِ))^(٤). واختص عبيد الله بن زياد في هذا الخطاب بـ حصين من دون غيره، بوصفه من شرطته لكنّه لم يعمد إلى استمالته وكسب تعاطفه، بل استعمل الشدة وحسم الأمر بوجوب التنفيذ. أما حال المتلقي خاضع لما أراده المرسل إذ استطاع حصين بن نمير في اليوم التالي معرفة مكان مسلم بن عقيل، وأحضره ابن الأشعث إلى عبيد الله بن زياد وقتله^(٥).

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٤٢٩/٢.

(٢) النُّكْل: فَقَدْ الْوُلْدَ كَأَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ لِسُوءِ فَعْلِهِ أَوْ قَوْلِهِ أَوْ هَدَدَهُ بِهِ، أَوْ أَذًا كُنْتَ هَكَذَا فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَكَ لئلا تزداد سوءا. يُنْظَرُ: لسان العرب: ٨٩/١١ (نكل).

(٣) صَاحَ يَصُوحُهُ فَاَنْصَاحٌ: يَعْنِي شَفَقَتَهُ فَانْشَقَّ وَتَصَوَّحَ تَشَفَّقَ. يُنْظَرُ: المصدر نفسه: ٥٢٠/٢.

(٤) المقتضب: ٢٩٨/٣.

(٥) يُنْظَرُ: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٤٠/٢-٤١.

رابعًا: التّحذير:

يُعرّف التّحذير بأنّه: ((تنبيه المُخاطَب على أمرٍ مكروه، ليتجنّبه))^(١). يُستشف من هذا التعريف أنّ أسلوب التّحذير يشتمل على ثلاثة أركان هي:

- المُحذّر، وهو المرسل الذي يُوجه التنبيه إلى المُتلقي.

- المُحذّر، وهو المُتلقي الذي يتجه إليه التنبيه.

- المُحذّر منه، وهو الأمر المكروه الذي يُصدر بسببه التنبيه^(٢).

والأصل أن تكون هذه الأركان مُجمّعة في الخطاب، لكن قد يُعدّل عن أحدها، ويشتمل التّحذير على خمس صور^(٣):

- الصورة الأولى: تشتمل هذه الصورة على ذكر المُحذّر ضميرًا منصوبًا للمخاطب، هو: إِيَّاكَ وفروعه، ويأتي بعد الضمير المُحذّر منه، اسما مسبوقا بالواو نحو: إِيَّاكَ وَالْأَسَدَ. أي احذر الأسد، أو غير مسبوق بالواو.

- الصورة الثانية: تقتصر على ذكر المُحذّر منه اسمًا ظاهرًا، نحو: الأسد. والتقدير: احذر الأسد أو اتقِ الأسد، حذفت الفعل أو أظهرت.

- الصورة الثالثة: تشتمل على اسم ظاهر مختوم بكاف خطاب للمُحذّر، وعُطِفَ عليه بالواو من المُحذّر منه، نحو: رَأْسُكَ وَالْحَائِطُ، خَلَّ أَوْ دَعِ رَأْسُكَ وَالْحَائِطُ، حُذِفَ الفعل؛ لكثرته في كلام العرب واستغناءً بما يرون من الحال.

- الصورة الرابعة: تشتمل هذه الصورة على ذكر اسم ظاهر مختوم بكاف الخطاب للمُحذّر، نحو: نَفْسُكَ، أي: احفظ نفسك، أو رَأْسُكَ أي: اتقِ رأسك. وكان إظهار الفعل جائزًا.

(١) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، تح: طه عبد الرؤوف سعد: ٢٧٨/٣، والأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام محمد هارون: ١٥٢.

(٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: ٢٧٨/٣.

(٣) يُنظر: كتاب سيبويه ١/٢٧٣-٢٧٦، وحاشية الصبان على شرح الأشموني: ٢٨٠-٢٨١، وشرح المفصل: ٣٩٨/١.

- الصورة الخامسة: تشتمل على ذكر المحذّر منه اسمًا ظاهرًا مكرّرًا نحو: الحذّر الحذّر، أي الزم الحذّر، والنّجاء النّجاء والتقدير: عليك النجاء. وحذفوا الفعل؛ لأنّه بمنزلة فعل فلم يجز إظهاره وقيح.

وهو من الأفعال الكلامية التي تهدف إلى التأثير بالمُتلقي، وحمله على أداء فعلٍ ما، ويُعبّر به المرسل عن رغبته؛ ليجنبه أمرًا مكروهًا^(١).

ووردت تقنية التحذير في جمهرة خطب العرب بنسبة قليلة^(٢) مقارنة بالتقنيات السابقة، إذ اقتصر التحذير على صورتين فقط من الصور الخمسة المذكورة آنفاً، أولهما الصورة الأولى: بذكر المحذر ضميراً (إياك، إياكم...) وذكر المحذّر منه مسبقاً بواو، ونجد ذلك في وصية قيس بن عاصم المُنقري^(٣) لبنيه لما حضرته الوفاة: ((يا بُني، خُذوا عني، فلا أحد أصلح لكم مني، إذا دفنتموني فانصرفوا إلى رجالكم^(*)، فسودّوا أكبركم، فإن القوم إذا سودّوا أكبرهم خَلَفُوا آبَاهُمْ، وإذا سودّوا أصغرهم، أَرَى ذلك في أكفائهم، وإياكم ومغصية الله، وقطيعة الرّحم، وتمسّكوا بطاعة أمرائكم، فإنهم من رفعوا ارتفع، ومن وضعوا اتّضع، وعليكم بهذا المال فأصلحوه فإنه منبّهة للكرام، وجنة لعرض اللّئيم، وإياكم والمسألة، فإنها آخر كَسْب الرجل، وإنّ أحداً لم يسأل إلا ترك الكسب، وإياكم والنياحة، فإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله [وسلم] ينهى عنها، وادفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها وأصوم، ولا يعلم بكر بن وائل بمدفني، فقد كانت بيني وبينهم مشاحنات في الجاهلية والإسلام، وأخاف أن يُدخلوا عليكم بي عاراً، وخُذوا عني ثلاث خصال: إياكم وكلّ عِرْق لئيم أن تلبسوه فإنه إن يسُرركم اليوم، يسُوكم غداً، واكضموا الغيظ، واحذروا بني أعداء آبائكم، فإنهم على منهاج آبائهم، ثم قال [البحر البسيط]:

(١) التداولية عند العلماء العرب: ٢١٣.

(٢) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/١٥٤-١٢، ٧٩-١٢٦، ٨٠-١٢٦، ٨٤-١٣٣، ٢٦-١٧١، ٢٧-١٧١، ١٢٤-٢٥٥، ١٤٢-٢٦٨، ٢٥٧-٣٦٨، ٢٠٤-٢٢٠/٢، ٢٠٨-٢٢٢، ٢٠٩-٢٢٣، ٢٥٩-٢٧٠، ٣٣٠-٣٤٠، ٤٥٩-٤٨٥، ٤٦٨-٤٩٢، ٣٤-٣٦/٣، ٧٦-٨١، ١٠١-١١٠، ١٠٣-١١٢.

(٣) قيس بن عاصم بن سنان بن خالد ابن منقّر بن عبّيد بن مُقاعس التّميمي، أبو علي، ويُقال: أبو قبيصة، صحابي جليل ومن سادات العرب، يُضرب به المثل في الحلم والسماحة والجود، وهو الذي قدّم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سنة (٩هـ) في وفد بني تميم فأكرمه وقال له: (هذا سيد أهل الوبر). يُنظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ٥٨/٢٤.

(*) كذا، والصواب: رجالكم؛ لأنّ رجالكم لا تتسجم مع مضمون النص.

أحيا الضغائن آباءً لنا سلفوا فلن تبيد ولآباءٍ أبناء^(١) ((^(٢))

وجّه قيس بن عاصم في هذا الخطاب أبناءه باستعمال تقنية التحذير بالضمير (إياكم + حرف العطف)، في قوله: (إياكم ومعصية الله، وقطيعة الرّحم)، و (إياكم والمسألة)، و (إياكم والنّياحة)، و (إياكم وكلّ عرق لئيم أن تلبسوه). واشتملت بنية هذا الخطاب على أركان التحذير الثلاث، فالمُحذّر والمُحذّر ثابت، أمّا الأمر المُحذّر منه، هو المُتغير في كلّ قول، إذ في قوله: (إياكم ومعصية الله، وقطيعة الرّحم).

وأنجز قيس بن عاصم هذا الخطاب بالتحذير؛ بوصفه صاحب السُّلطة، ومن واجب الأبناء طاعة الأب، وخاصة أن الأمر يصبُّ في مصلحتهم، وبحكم هذه السُّلطة حذرهم من أمورٍ عواقبها وخيمة إذا لم يجتنبوها.

ويُلاحظ في الخطاب حذف الفعل واستعمال الضمير بدلاً عنه، والبنية الأصلية للخطاب هي: (أُحذّركم من معصية الله، وأُحذّركم من قطيعة الرّحم... وأُحذّركم من المسألة... وأُحذّركم من النّياحة... وأُحذّركم من كلّ عرق لئيم أن تلبسوه). حذف قيس بن عاصم الفعل واستبدله بـ (إياكم) الدّالة على التحذير في خطابه؛ لكثرة استعماله في الكلام^(٣)، والمُتلقي على معرفة تامة بالفعل المحذوف كأنّه موجود لا حاجة لذكره. وللتأثير بالمُتلقي عمّد قيس إلى تكرار (إياكم) أربع مرات، فيمكن أن يقول: (إياكم ومعصية الله، وقطيعة الرّحم... والمسألة... والنّياحة... وكلّ عرق لئيم أن تلبسوه)، وفضلاً عن ذلك ذكر سبب التّحذير في ثلاثٍ مرات من الأربع، وسبب التّحذير من المسألة؛ لأنّها (آخر كَسْب الرّجل)، وسبب التحذير من النّياحة؛ (فإني سمعت رسول الله عليه وسلّم ينهى عنها) وسبب التحذير من ملابسة العرق اللئيم؛ لأنّه (إن يسزركم اليوم، يسؤوكم غدا). وفي قوله: (واحدروا بني أعداءِ آبائكم، فإنهم على منهاجِ آبائهم) تحذير صريح بصيغة الأمر (احدروا) من تقنيات ألفاظ المعجم - التي سيأتي بيانها في المبحث الثاني من هذا الفصل - .

(١) غيون الأخبار، مُسلم بن قُتيبة الدينوري: ١٠٧/٣، والشّكوى والعتاب وما وقع للخِلان والأصحاب، أبو منصور

الثعالبي، تح: قسم التحقيق بدار الصحابة: ٧٣. والبيت من دون نسبة.

(٢) جمهرة خُطب العرب في عصور العربية الزّاهرة: ١/١٧١-١٧٢.

(٣) يُنظر: كتاب سيبويه: ١/٢٧٤.

ومن الخطابات المُنجزة بتقنية التّحذير بذكر الضمير إياكم من دون العطف، خُطبة عُتْبة بن أبي سُفْيَان التي هدّد فيها أهل مصر: ((يا أهل مصر، إياكم أن تكونوا للسيف حَصِيدًا، فإن الله فيكم ذبيحًا لعثمان، أرجو أن يولّيني نُسكّه، إن الله جمعكم بأمير المؤمنين بعد الفرقة، فأعطى كل ذي حقّ حقه، وكان والله أذكركم إذا ذكّر بخطّة، وأصفحكم بعد المقدرة عن حقه، نعمة من الله فيكم، ونعمة منه عليكم، وقد بلغنا عنكم نجم قول، أظهره تقدّم عفو منا، فلا تصيروا إلى وحشة الباطل بعد أنس الحق، بإحياء الفتنة وإماتة السنن، فأطأكم الله وطأة، لا رَمَق معها، حتى تُكْرُوا مني ما كنتم تعرفون، وتستخشّنوا ما كنتم تستلينون، وأنا أشهد عليكم الذي يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور))^(١).

أنجز عُتْبة بن أبي سُفْيَان خطابه باستعمال تقنية التّحذير بالضمير (إياكم) من دون العطف، في قوله: (إياكم أن تكونوا للسيف حَصِيدًا). إذ اشتمل هذا القول على:

– المُحذّر: وهو المرسل عُتْبة بن أبي سُفْيَان.

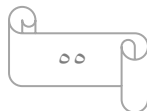
– المُحذّر: وهو المُتلقّي أهل مصر.

– المُحذّر منه: السيف.

وناب عن فعل التّحذير (أحذركم) الضمير إياكم، أي الأصل هو: (أحذركم أن تكونوا للسيف حَصِيدًا)، وحذّر عُتْبة المُتلقّي وتوعّده بهذا الخطاب؛ بوصفه صاحب السُلطة والحُكم عائد إليه، والملفوظات التي أنجزها دلّت على مدى شدته في كلّ من يعترضه بفعل أو قول، وحذّره من سيفه، وتوحي كلمة (حَصِيدًا) بهذا التسلط، إذ جعل أهل مصر الزرع، واعتراضهم على حُكمه ومناهضته، سيؤول إلى قطع رؤوسهم بالسيف الذي يدل استخدامه على تسلط عُتْبة بن أبي سُفْيَان على رعيته وشدّته في التعامل معهم^(٢). وعمد عُتْبة إلى الكشف عن سبب التّحذير بقوله: (قد بلغنا عنكم نجم قول)، أي إنّ قولكم قد ظهر لنا، وإنّ أي فعل أو قول هو على علم به ويقظة وحذر، وهو لهم بالمرصاد لردّ كلّ من يعترضه؛ لجعل خطابه أكثر رعبًا و مصدر قلق للمُتلقّي، وبهذا السبب أضفى مزيدا من الترهيب والتّهديد على خطابه. أمّا حال المُتلقّي خاضع

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/٢٢٠.

(٢) يُنظر: شعرية اللّغة في نشر العصر الأموي، ناديا جبر: (بحث) ٥١.



لهذه الأحكام ويتجنب مواجهة المرسل، وجاء تهديده بناءً على ما سمعه من كلام أغضبه. وخطاب عتبة لا يخلو من التّغيم الذي يؤكد غضبه وانفعاله من موقفهم، والسياق المقامي استدعى إنجاز الملفوظات باستعمال استراتيجية التّحذير.

وغاية عتبة بن أبي سفيان من إنجاز خطابه بتقنية التحذير، باستعمال الضمير (إياكم) من دون العطف؛ لتهديد المتلقي محذرا إياه من الاعتراض على حكمه، وهو تحذير لا يصبّ في مصلحة المتلقي، بل يريد منه الخضوع واستمرار هذا الموقف الخانع؛ ليستمر حكمه المتسلّط. والأخرى: الصورة الخامسة منها خطبة عمرو بن سعيد الأشدق^(١) في مكة: ((يا أهل مكة: أنفسكم أنفسكم، وسفهاءكم سفهاءكم، فإنّ معي سوطاً نكالا، وسيفاً وبالا، وكلّ منصوب على أهله))^(٢).

أنجز عمرو الأشدق خطابه باستعمال تقنية التحذير، بطريقة تكرار المحذّر منه، في قوله: ((أنفسكم أنفسكم، وسفهاءكم سفهاءكم)). أي احذروا أنفسكم، واحذروا سفهاءكم، وبنية الخطاب تتألف من:

- المحذّر: عمرو بن سعيد الأشدق.

- المحذّر: أهل مكة.

- المحذّر منه: النفس. في القول الأول، والسفهاء في القول الثاني.

وعمرّو الأشدق دعا أهل مكة إلى فعل لا يصبّ في مصلحته بحكم سلطته بوصفه الحاكم عليهم، وكانت غايته أن يستجيب المتلقي لدعوته. وللتأثير فيه عمد إلى تكرار المحذّر منه مرتين، وهذا يؤكد تسلّطه بوجوب الأخذ بما وجههم إليه بتجنب الاعتراض على أحكامه. والدليل على تسلّطه ما تلا تقنية التحذير من ملفوظات، في قوله: ((فإنّ معي سوطاً نكالا، وسيفاً وبالا،

(١) عمرو بن سعيد بن العاص بن أميّة بن عبد شمس الأموي، أبو أمية المعروف بالأشدق. أمير مكة في زمن معاوية وابنه يزيد، وتولى المدينة بعد عزل الوليد عنها، أستولى على دمشق ودعا إلى نفسه بالخلافة، لطفه عبد الملك أنّ الخلافة ستكون له وطمأنه، لكنه قيل أنّ عبد الملك قتله سنة تسع وستين. يُنظر: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تقي الدين، محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي، تح: فؤاد سيد: ٣٨٩/٦-٣٩٤، والإصابة في تمييز الصحابة: ٢٢٥/٥.

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزاهرة: ٢/٢٣٠.

وَكُلُّ مَنْصُوبٍ عَلَى أَهْلِهِ). إِنَّ اسْتِعْمَالَ لَفْظَتِي (السَّوْطِ وَالسَّيْفِ) دَلَا عَلَى سِيَاسَتِهِ الشَّدِيدَةِ. وتوجيههم بتجنب الاعتراض على أحكامه والذي دعاه إلى ذلك إنهم لم يحضروا عند قدومه إلى مكة ولم يستقبلوه، لما عُرِفَ عنه من التكبر والغرور^(١). فضلاً عن ذلك؛ فإنّ لغة الخطبة يُلمس فيها التنعيم الذي يؤكد غضب المرسل وتهديده للمتلقي، وهذا يؤكد أنّ التحذير لا يكون في دعوة إلى اجتناب الأمور المحمودّة فحسب، بل اجتناب الأمور المكروهة أيضاً؛ لأنّها لا تصبّ في مصلحة المرسل. وعلى المتلقي تقبّل ما وجهه المرسل إليه؛ للمحافظة على نفسه.

خامساً: الإغراء:

يُعرّف الإغراء بأنّه: ((تنبيه المخاطب على أمر محمودٍ ليلزمه))^(٢). يُستشف من هذا التعريف ثلاثة أركان يقوم عليها الإغراء:

- المُغري: وهو المرسل.

- المُغرى: وهو المتلقي.

- المُغرى به: وهو الأمر المحبوب.

ويشتمل الإغراء على ثلاثة أساليب^(٣):

١- أسلوب التكرار، نحو قول الشاعر: [البحر الطويل]

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَا لَهُ كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بَغَيْرِ سِلَاحٍ^(٤).

والتقدير: الزم أخاك.

٢- أسلوب العطف، نحو: المروءة والنجدة.

٣- أسلوب الأفراد، نحو: الصلاة جامعةً. والتقدير: احضروا الصلاة.

(١) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢٢٩/٢.

(٢) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام النحوي، تح: محمد أبو فضل عاشور: ١٢٠، وحاشية الصبان على شرح الأشموني: ١٩٥/٣.

(٣) يُنظر: كتاب سيبويه: ٢٥٦/١، وشرح شذور الذهب: ١٢٠-١٢١، وشرح المفصل: ٣٨٩/١.

(٤) ديوان مسكين الدارمي، تح: عبد الله الجبوري، و خليل إبراهيم العطية: ٢٩.

وهو من الأفعال الكلامية، كالتّحذير فكلاهما دعوة المُتلقّي لفعلٍ مُعين للتأثير به، أمّا الفرق الجوهرى بينهما، إنّ الإغراء دعوة إلى لزوم الفعل، والتّحذير دعوة إلى تركه^(١).

ووردت تقنية الإغراء في جمهرة خطب العرب بنسبة قليلة^(٢)، ومن تلك الخطابات التي أنجزت بتقنية الإغراء، خطبة الحسن البصري^(٣)، إذ قال: ((رحم الله رجلاً خلّاً بكتاب الله، فعرض عليه نفسه، فإن وافقه حمّد ربّه، وسأله الزيادة من فضله، وإن خالفه اعتب وأتاب، وراجع من قريب، رحم الله رجلاً وعظ أخاه وأهله فقال: يا أهلي: صلاتكم صلاتكم، زكاتكم زكاتكم، جيرانكم جيرانكم، إخوانكم إخوانكم، مساكينكم مساكينكم، لعل الله يرحمكم، فإن الله تبارك وتعالى أثنى على عبد من عباده، فقال: ((وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة، وكان عند ربّه مرضياً))^(٤). يا بن آدم: كيف تكون مسلماً ولم يسلم منك جارك، وكيف تكون مؤمناً ولم يأمنك الناس؟^(٥).

وجّه الحسن البصري المُتلقّي باستعمال تقنية الإغراء بأسلوب التكرار في قوله: (صلاتكم صلاتكم)، (زكاتكم زكاتكم)، (جيرانكم جيرانكم)، (إخوانكم إخوانكم)، (مساكينكم مساكينكم).

والتقدير في هذا الخطاب (الزم) وليس (احذر)؛ اتكاءً على المعرفة الثقافية وخاصة البُعد الديني، الذي جعل المُتلقّي يدرك أنّ قصد المرسل دعوته للأخذ بما يقول، فالتقدير (الزموا صلاتكم، والزموا زكاتكم، والزموا جيرانكم، والزموا إخوانكم، والزموا مساكينكم)، والحسن البصري يدعو الناس للأخذ بهذه الأمور المحببة؛ بوصفه صاحب سُلطة بالعلم والمعرفة والفصاحة التي اتصف بها؛ وهذا يجعل أسلوبه التوجيهي تهتز له القلوب، ويأسر النفوس. وللتأثير بالمُتلقّي عمَد

(١) يُنظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ٣٣٤/٢، والتداولية عند العلماء العرب: ٢١٣.

(٢) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٣٧-١٨١/١، ١٨٤-٤٠، ٩٣-٢٢٤، ٢١٧-٣٢٧، ٤٨٥-٤٨٨، ٤٦١-٤٨٨، ٩١-١٠٢/٣.

(٣) الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، من سادات التابعين، وإمام أهل البصرة، وحيّر زمانه، وأمه خيرة، نشأ وترعرع في حجر أم سلمة زوجة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان أكثر ولعاً بالإمام علي (عليه السلام) وتخلّق بأخلاقه من التقى والعبادة والفصاحة، عُرف بمواعظه التي تهتز لها القلوب، شهد يوم الدار، وكان من المُتصدين لتسلّط الحجاج على العراق، توفي في سنة (١١٠هـ)، عن عُمر يبلغ ثمانين عاماً. يُنظر: الطبقات الكبير: ١٥٧/٩، وصور من حياة التابعين، د. عبد الرحمن رأفت الباشا: ٩٦-١٠٠.

(٤) مريم: ٥٥.

(٥) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٤٨٨/٢.

الحسن البصري إلى تكرار أسلوب الإغراء خمس مرات بجمالٍ مختلفة، وفضلاً عن ذلك ذكر سبب توجيهه بتقنية الإغراء بقوله: (لَعَلَّ اللَّهَ يَرْحَمَكُمْ) فحرصه الشديد على مصلحة المُتلقّي جعله يستعمل أسلوب الإغراء، ثُمَّ ذكر نصّاً من القرآن الكريم؛ ليؤكد أنّ ما يدعوهم إليه هو ما جاء به الدّين الإسلامي، ونوع السّياق هو السّياق الفعلي لمعرفة المُتلقّي قصد المرسل والدليل أنّ التقدير في الخطاب يُدركه المُتلقّي بـ(الزم) وليس(احذر).

وقد كرر الحسن البصري المُعزّي به بتقنية الإغراء؛ لأنّه أراد بهذا الأسلوب التوجيهي تحقيق غايته من الخطاب، وعلى المُتلقّي تقبّل ما دعاه إليه؛ لأنّه ذكر السبب الذي يصبّ في مصلحته، ووجهه إلى الأخذ بهذه الأمور المحمودّة.

ومن الخطابات المنجزة بتقنية الإغراء خطبة أبي بكر^(١) بعد البيعة ((يا أيها الناس... الجِدِّ الجِدِّ^(٢)، وَالْوَحَا^(٣)، وَالنَّجَاء^(٤)، فَإِنْ وَرَأَكُمْ طَالِبًا حَثِيًّا، أَجَلًا مَرَّةً سَرِيعًا، احذروا الموت واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان، وَلَا تَغْبِطُوا الْأَحْيَاءَ إِلَّا بِمَا تَغْبِطُونَ بِهِ الْأَمْوَاتَ))^(٥).

وجّه أبو بكر المُتلقّي باستعمال تقنية الإغراء بأسلوب التكرار في قوله:(الجِدِّ الجِدِّ)، (الْوَحَا)،(النَّجَاء النَّجَاء).

والتقدير في هذا الخطاب جاء بما يُناسب المقام، التقدير في(الجِدِّ الجِدِّ) عليكم بالجِدِّ، وفي (الْوَحَا الْوَحَا) عليكم بالوَحَا، و(النَّجَاء النَّجَاء) عليكم بالنَّجَاء، والكفاءة التداولية للمُتلقّي جعلته يُدرك قصد أبي بكر اتكاءً على مخزون القلب المنطقي الذي يقتضي الاقتراب من الأمر

(١) عبدالله بن أبي قُحافة عُمَان بن عامر بن عَمْرُو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة بن كعب بن لُؤي التيمي، وأمه سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرّة، من الخلفاء الراشدين وصاحب النبي محمّد(صلّى الله عليه وآله وسلّم) في الغار، شَهِدَ معه(صلّى الله عليه وآله وسلّم) بدرًا وأُحُدًا والمشاهد كُلُّهَا، كانت مدة خلافته سنتين وقيل عشرين شهرًا، توفي سنة(١٣هـ). يُنظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ٢٨٢/١٥-٢٨٥.

(٢) الجِدِّ: الاجتهادُ في الأمر. يُنظر: تاج العروس من جواهر القاموس: ١٠٥/٣(جد).

(٣) الوَحَا: السُرعة، بالمد والقصر. يُنظر: لسان العرب: ٣٨٢/١٥(وحي).

(٤) النَّجَاء: السُرعةُ في السير، بالمد والقصر. يُنظر: نفسه: ٣٠٥/١٥(نجا).

(٥) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١٨١/١.

المحبوب، والتقدير (عليكم) بملازمة الاجتهاد والإسراع بالعمل وليس (احذروا). وأبو بكر وجّه الناس للأخذ بهذه الأفعال الحسنة في هذا المقام؛ بوصفه صاحب السلطة. وقد ذكر سبب توجيهه بتقنية الإغراء بقوله: (فإن وراءكم طالباً حثيثاً، أجلاً مرّه سريع)؛ للتأثير بالمتلقي وإدراك غايته بالجدّ والسرعة في إنجاز أعمالهم، وما تلا هذا القول من ملفوظات تؤكد ضرورة الالتزام بما وجههم إليه في قوله: (احذروا الموت واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان، ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات). والسياق الفعلي جعل المتلقي يدرك قصد المرسل. وحال المتلقي العمل بهذه الأفعال؛ لأنه يدرك أنّ وجوده في الدنيا مسألة وقتية ليست أبدية، وهذا ينعكس تأثيره على المجتمع الإسلامي؛ للقيام بالأعمال الصالحة حتى يحين أجلهم.

نلاحظ أنّ أبا بكر أنجز خطابه بتقنية الإغراء بتكرار المغرّى به؛ لأنّه سلّط الضوء على قضية الوجود في الدنيا، وبهذا الأسلوب التوجيهي استطاع تحقيق غايته من الخطاب، وعلى المتلقي تقبّل ما دعاه إليه؛ لأنّه يصبّ في مصلحته.

وما يُلاحظ في هذا الخطاب أنّ أبا بكر جمع بين تقنيتي الإغراء والتحذير بقوله: (احذروا الموت واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان، ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات). وهذا يؤكد أنّ ما دعاهم إليه يصب في مصلحتهم، فحذرهم من الموت بعد أن أغراهم بالجدّ والإسراع في العمل.

سادساً: الاستفهام:

يُعرّف الاستفهام بأنّه: ((مصدر استفهمت أي طلبت الفهم))^(١). وله أدوات يستعملها المرسل: (الهمزة، وهل، وأم، وما، ومن، وأي، وكم، وكيف، وأين، وأتى، ومتى، وأيان). وهذه الأدوات ثلاثة أنواع إحداها يختص طلب حضور التصور، وثانيها يختص طلب حصول التصديق، وثالثها لا يختص^(٢).

(١) شرح المفصل: ٩٩/٥.

(٢) يُنظر: كتاب سيبويه: ٤٠٨، ٣٩٨، ١٥٦، ١٨٩/٣، شرح المفصل: ٢٠/٥، ٢١، ١٠٣، ١٠٩، ١٢٦، ومفتاح العلوم: ٣٠٨.

ووردت تقنية الاستفهام بأقل نسبة^(١) من التقنيات السابقة في جمهرة خطب العرب منها خطبة محمد بن الحنفية عندما بلغه أن عبدالله بن الزبير نال من الإمام علي (عليه السلام)، فأقبل ووُضِعَ له كرسي قدامه، فعلاه وقال: ((يا معشر قريش، شاهت^(٢) الوجوه، أَيْتَقَصَّ عليّ وأنتم حُضور؟ إِنَّ عَلِيًّا كَانَ سَهْمًا صَادِقًا، أَحَدًا مَرَامِي اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِ، يَقْتُلُهُمْ لَكُفْرِهِمْ، وَيُهَوِّعُهُمْ^(٣) مَأْكِلَهُمْ، فَتَقْلَ عَلَيْهِمْ، فَرَمَوْهُ بِصَرْفَةِ الْأَبَاطِيلِ، وَإِنَّا مَعِشْرٌ لَهُ عَلَى نَهْجٍ مِنْ أَمْرِهِ بَنُو الْحِسْبَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِنْ تَكُنْ لَنَا الْأَيَّامُ دَوْلَةٌ نَنْشُرُ عِظَامَهُمْ، وَنَحْسِرُ عَنْ أَجْسَادِهِمْ، وَالْأَبْدَانُ يَوْمُئِذٍ بِالِيَّةِ: وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ^(٤))).^(٥) فعاد ابن الزبير إلى خطبته وقال: ((عَدَرْتُ بَنِي الْفَوَاطِمِ يَتَكَلَّمُونَ، فَمَا بَالُ بَنِي الْحَنْفِيَّةِ؟))^(٦) فقال مُحَمَّدٌ: ((يا بن أُمِّ رُومَانَ، وَمَالِي لَا أَتَكَلَّمُ؟ أَلَيْسَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ حَلِيلَةَ أَبِي وَأُمِّ إِخْوَتِي؟ أَوْ لَيْسَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ جَدَّتِي؟ أَوْ لَيْسَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَائِذٍ جَدَّةُ أَبِي؟ أَمَّا وَاللَّهِ لَوْلَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ مَا تَرَكْتُ فِي بَنِي أَسَدٍ عَظْمًا إِلَّا هَشَمْتَهُ، وَإِنْ نَالَتَنِي فِيهِ الْمَصَائِبُ صَبَرْتُ))^(٧).

وجّه محمد بن الحنفية المُتَلَقِّي باستعمال تقنية الاستفهام الإنكاري بأداة الاستفهام (الهمزة) في قوله: ((يا معشر قريش، شاهت الوجوه، أَيْتَقَصَّ عليّ وأنتم حُضور؟)). وهو سؤال توجيهي عام إلى أهل قريش أنكر فيه قبولهم بهذا الفعل، ويدل عليه لفظة (شاهت) أي قبحت وجوهكم التي قبلت بهذا الفعل، وقصده (عليه السلام) الإنكار مع التوبيخ، وما تلا هذا الخطاب من ملفوظات يُذكر المُتَلَقِّي (قريش) فيها بمناقب الإمام علي (عليه السلام) ونهجه، بقوله: ((إِنَّ عَلِيًّا كَانَ سَهْمًا صَادِقًا، أَحَدًا مَرَامِي اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِ، يَقْتُلُهُمْ لَكُفْرِهِمْ، وَيُهَوِّعُهُمْ مَأْكِلَهُمْ، فَتَقْلَ عَلَيْهِمْ، فَرَمَوْهُ بِصَرْفَةِ الْأَبَاطِيلِ، وَإِنَّا مَعِشْرٌ لَهُ عَلَى نَهْجٍ مِنْ أَمْرِهِ بَنُو الْحِسْبَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِنْ تَكُنْ لَنَا الْأَيَّامُ دَوْلَةٌ نَنْشُرُ عِظَامَهُمْ وَنَحْسِرُ عَنْ أَجْسَادِهِمْ، وَالْأَبْدَانُ يَوْمُئِذٍ بِالِيَّةِ)، وأراد بهذا الأسلوب منهم الرجوع

(١) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/٨١٨، ٣٩-٢٢، ٢/٥٢-٤١، ٩٠-٨٢، ٣/١٢٤-١١٦.

(٢) شاهت الوجوه تشوّه شوها: قُبِحَتْ. يُنظر: لسان العرب: ١٣/٥٠٨.

(٣) تهوّع: تكلف القيء، وهوّعه: قيأه ما أكل. يُنظر: نفسه: ٨/٣٧٧.

(٤) الشعراء: ٢٢٧.

(٥) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/٩٠-٩١.

(٦) نفسه: ٢/٩١.

(٧) نفسه، الجزء والصحيفة نفسهما.

إلى أنفسهم وسؤالها: ألا يعرفون من هو الإمام علي(عليه السلام)؟ ألا يستحق شخص يملك كلّ المقومات التي تجعل المُتلقّي ينتفض للدفاع عنه؟. وختم خطابه بآية من الذكر الحكيم يُذكرهم فيها بمصير من يظلم أهل بيت النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

ثمّ انتقل مُحمّد بن الحنفية(عليه السلام) إلى توجيه السؤال إلى ابن الزبير خاصة، فقد قال له بعد دفاعه عن علي أمير المؤمنين (عليه السلام): (عذرت بني الفواطم يتكلّمون، فما بال بني الحنفية؟). وجاء الرد من مُحمّد بن الحنفية(عليه السلام) ببدائه في بداية الخطاب: (يا بن أمّ رومان)، ثمّ وجه أسئلته التوجيهية بأسلوب الاستفهام (ومالي لا أتكلّم؟ أليست فاطمة بنت مُحمّد حليّة أبي وأمّ إخوتي؟ أو ليست فاطمة بنت أسد بن هاشم جدّتي؟ أو ليست فاطمة بنت عمرو بن عائذ جدّة أبي؟). والاستفهام إنكاري في هذا الخطاب، وظّفه مُحمّد بن الحنفية؛ لشدّ ذهن المُتلقّي وإلزامه التفكير والبحث عن إجابات مُحددة، وللتأثير بالمُتلقّي عمداً إلى تكرار السؤال باستعمال همزة الاستفهام أربع مرات بجملي مختلفة؛ لطلب التصور، وهو أمرٌ لا يحتاج لتصديق المُتلقّي؛ بل لتصوره، أي تذكيره بنسبه الشريف إلى الإمام علي(عليه السلام)، ومُحمّد بن الحنفية بوصفه يملك مقومات السّلطة من العلم والمعرفة وبلاغة الكلمة كأبيه(عليه السلام)، نبه على هذا الأمر؛ بضرورة الابتعاد عمّا يُغضب الله(تعالى)، ورسوله(صلى الله عليه وآله وسلم) بالابتعاد عن ظلم أهل بيته، لئلا يخسر الدنيا والآخرة.

ويُلاحظ في هذا الخطاب تراصف الاستفهام مع النداء ب(يا)؛ ليلقي مُحمّد بن الحنفية الحجة على المُتلقّي(أهل فُريش، وابن الزبير) ويوجههم ويعظهم بما هو عليه حقّ من نصيح؛ لأنّه جعله بحكم الغافل عن نسبه(عليه السلام) فابتدأ خطابه بالنداء ثمّ الاستفهام، والسيّاق مقامي نتج عنه الخطاب بانقصاص ابن الزبير من الإمام علي(عليه السلام).

محمد بن الحنفية أنجز خطابه بتقنية الاستفهام باستعمال حرف الاستفهام (الهمزة) للتأثير بالمُتلقّي وهو قسمان:

١- فُريش عامة بدلالة بداية الخطاب (يا معشر فُريش)، فهم المقصودون بالدرجة الأساس؛ ليعودوا إلى أنفسهم للتفكير بموقعهم بالتزام الصمت، والاستماع لكلامٍ ينتقص من إمامٍ يعرفونه

حقّ المعرفة.

٢- والقسم الثاني اختص بابين الزبير بدءاً من قوله: (يا بن أمّ رومان)؛ ليؤثر به ويجعله يفكر بفعل القول (عذرت بني الفواطم يتكلمون، فما بال بني الحنفية؟).

ومن الخطابات المنجزة بتقنية الاستفهام، خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي، بعد موقعة دير الجماجم: ((يا أهل العراق، إنّ الشيطان قد استبطنكم، فخالط اللحم والدم والعصب، والمسامع والأطراف، والأعضاء والشغاف... فكيف تنفعكم تجربة، أو تعظم وقعة، أو يحجزكم إسلام، أو ينفعكم بيان؟ أستم أصحابي بالأهواز؟... وأنا أرميكم بطرفي، وأنتم تتسلّلون لؤاداً، وتتهزمون سِرَاعاً؟ ثم يوم الزاوية، وما يوم الزاوية!... ثم يوم دير الجماجم، وما يوم دير الجماجم!... يا أهل العراق، والكفّرات بعد الفجرات، والغدرات بعد الخترات، والنزوات بعد النزوات... هل استخفكم ناكث، أو استغواكم غاوٍ، أو استنصركم ظالم، أو استعزّذكم خالع، إلّا تبعتموه وآويتموه، ونصرتموه وزكّيتموه؟ يا أهل العراق، هل شغب شاغب، أو نعب ناعب، أو زفر زافر إلّا كنتم أتباعه وأنصاره؟ يا أهل العراق: ألم تهكم المواعظ، ألم تزجركم الوقائع؟))^(١).

وجّه الحجاج المتلقي باستعمال تقنية الاستفهام، باستعمال (كيف، والهمزة، وهل). وكل أداة من هذه الأدوات أدت قصداً مختلفاً في استعمالها، فقد استعمل (كيف) في قوله: (كيف تنفعكم تجربة، أو تعظم وقعة، أو يحجزكم إسلام، أو ينفعكم بيان؟). وفي هذا الموضع استفهام إنكاري عن حال المتلقي والغرض منه التعجب، وجاء خطابه هنا بسؤالٍ توجيهي إلى أهل العراق يستنكر حالهم التي لم يتعظوا منها بما مرّت عليهم من وقائع وأحداثٍ دلّت عليها الملفوظات التي تلت الاستفهام في قوله: (تعظم وقعة) بتشبيه واقعة دير الجماجم بإمامٍ واعظٍ يُقدّم المواعظ والنصائح لأهل العراق، و(يحجزكم إسلام) وشبه الإسلام بحاجز مادي يمارس وظيفته بإيقاف الناس^(٢).

وتلا هذا الاستفهام، استفهاماً بـ(الهمزة) في قوله: (أستم أصحابي بالأهواز؟) فيها توبيخ، وتلا هذا استفهاماً بالتنعيم بقوله: (وأنا أرميكم بطرفي، وأنتم تتسلّلون لؤاداً، وتتهزمون سِرَاعاً؟) ويدل على

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢٩٣-٢٩٤.

(٢) يُنظر: البيان في خطب الحجاج: ٥٨.

تسلّطه استعمال الضمير (أنا)، وقوله: (أرميكم بطَرْفي) أي: أرميكم بطرف عيني؛ إشارة لدلالته على الغضب والنهي عن الفعل الذي قاموا به (التسلّل والانزهاض) وجاء سؤاله؛ لتذكير المُتلقّي بهروبهم من المعركة. واستطرد الحَجّاج بالأسئلة التوجيهية باستعمال (هل) مرتين في قوله: (هل) استخفكم ناكث، أو استغواكم غاوٍ، أو استصركم ظالم، أو استعصدكم خالع، إلّا تَبِعْتُمُوهُ وآوَيْتُمُوهُ، وَنَصَرْتُمُوهُ وَزَكَّيْتُمُوهُ؟). استعمال الحَجّاج الاستفهام، لتوبيخ المُتلقّي واستنكار أفعاله، ووظّفه بأداة الاستفهام (هل)؛ لاختصاصها بطلب التصديق كأنّه لشدة إنكاره فعلهم غير المُتوقع؛ طلب منهم الجواب، وجاء سؤاله إنكارياً توجيهياً على الرغم من معرفته بهم؛ لتوبيخهم وتذكيرهم بموقفهم المضطرب، وقصد تحالف أهل العراق مع ابن الأشعث لخلعه^(١) في موقعة دير الجماجم؛ للتخلص من حُكمه وسياسته.

والموضع الثاني لاستعمال (هل) قوله: (يا أهل العراق، هل شَغِبَ شاغِب، أو نَعِبَ ناعب، أو زَفَرَ زافر إلّا كنتم أتباعه وأنصاره؟) قصد الحَجّاج بالاستفهام أنّ خروج ابن الأشعث عليه إنّما هو شَغِبٌ لزعة أمن الدولة واستقرارها، وهو فعل انجازي توبيخي عن فعلهم باتّباع المُشاغبين والخارجين الذين وصفهم، . وختم الحَجّاج خطابه باستعمال (همزة) الاستفهام مرة أخرى بقوله: (يا أهل العراق: ألم تنهكم المواعظ، ألم تَرْجُرْكم الوقائع؟) ووجههم بالاستفهام عن (المواعظ) وثمّ توجيههم بالاستفهام عن (الوقائع) سؤال توجيهي يقصد به أن يكفّوا عن هذه الأفعال ويجعلوا الأحداث السابقة عبرة لهم، وأن يبتعدوا عن التحركات لخلعه؛ لأنّه لهم بالمرصاد، ونوع السياق هنا سياق مقامي بعد انتهاء المعركة لصالح الحَجّاج، ووجود المُتلقّي مع الطرف الآخر.

ويُلاحظ في الخطاب تراصف أسلوب الاستفهام مع النداء ب(يا)، وتكراره أربع مرات، إذ بدأ خطبته وختمها بالنداء (يا أهل العراق، إن الشيطان....، يا أهل العراق، وَالْكَفَرَاتِ بَعْدَ الْفَجَرَاتِ،...، يا أهل العراق، هل شَغِبَ شاغِب... يا أهل العراق: ألم تنهكم المواعظ...). لشد ذهن المُتلقّي، وإلقاء الحُجّة عليهم ويوجههم بالعودة إليه وترك الخروج على حُكمه؛ فجعلهم بمنزلة البعيدين عنه، إذ ألقى الحَجّاج خطبته بعد هزيمة ابن الأشعث؛ ليوبخهم ويهددهم وهذا يوحى به تنعيم الخطاب الذي يُعبّر عن غضب الحَجّاج من وقوفهم مع ابن الأشعث لخلعه. وبهذه التقنية

(١) يُنظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري، تح: أ. عبد المجيد ترحيني: ١٤٣/٢١.

التّوجيهية تمكن الحجاج من التأثير بالمتلقي، بتذكيره بالأحداث والوقائع وموقفهم فيها، ما جعلهم خاضعين له مرة أخرى؛ لمعرفتهم بسياسته الدموية، وجاء توظيفه لاستراتيجية الاستفهام لتحقيق غرضه بالتوبيخ والتحقير والتهديد؛ لفرض سيطرته عليهم وجعلهم خاضعين خائعين لإهاناته وحكمه المتسلط.

وبرزت تقنية ألفاظ المُعْجَم للدلالة على التَّوجِيهِ بنسبةٍ كبيرة^(٣) في جمهرة خُطب العرب، منها وصية قيس بن زهير^(٤) لبني النَّمِر بن قاسط عندما أراد الرحيل عنهم، إذ قال: ((يا مُعَشَرَ النَّمِر: إن لكم عليَّ حقًّا، وأنا أريد أن أُوصيكم، فأمرُكم بخصال، وأنهاكم عن خصال، عليكم بالأناة...، وعليكم بالوفاء... وأنهاكم عن الغدر، فإنّه عار الدهر، وعن الرّهان، فإنّي به ثكّلت مالكا أخي، وعن البغي، فإنّه قتل زُهَيْرًا أبي، وعن الإِعطاء في الفضول، فتعجّزوا عن الحقوق، وعن السّرّف في الدماء، فإنّ يوم الهَبَاءة أَلزمني العار، ومنع الحُرْم إلا من الأكفاء، فإن لم تصيبوا

(٤) قيسُ بن زهير بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي، من ملوك العرب، كان فارساً شاعراً داهية يُضرب به المثل، وصاحب داحس والغبراء وحفر الهبأة التي وقعت بين بني عبس وبني فزارة، ثم بعدها الصلح بينهما. يُنظر: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ابن نباتة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم: ١٣٥-١٤٠.

لهنَّ الأكفاء. فإنَّ خير مناكهنَّ القبور، (أو خير منازلها)، واعلموا أي كنت ظالمًا مظلومًا، ظلمني بنو بدر بقتلهم مالكا أخي، وظلمتهم بأن قتل من لا ذنب له))^(١).

أنجز قيس بن زهير خطابه بأسلوب توجيهي صريح، بالألفاظ المعجمية الدالة على الوصية، التي هي من الأفعال الإعلانية في لفظة (أوصيكم) التي تصدرت خطابه (يا معشر النمر: إن لكم عليَّ حقًا، وأنا أريد أن أوصيكم) ثم الألفاظ الدالة على النهي، وهذا يؤكد ما أثبتته بعض الدراسات أنَّ أسلوب النهي أكثر الأساليب ورودًا في الوصايا^(٢). واللفظ المعجمي (آمركم) في قوله: (فآمركم بخصال). وقد وردت (أنهاكم) في قوله: (وأنهاكم عن خصال)، وفي قوله: (أنهاكم عن الغدر)، التي تفرع عنها الخطاب، وجاء بصيغة الفعل المضارع الدال على الحال والاستقبال؛ لأنَّ قصيدة قيس بن زهير توجيه بني النمر بترك ما ينهاهم عنه في المستقبل ودوام الاستمرار بترك هذه النواهي، وسبب هذا التوجيه قوله: (فإنه عار الدهر). وهذا ما يسمى (بالتوجيه المركب)؛ لأنَّ الأمر بالشئ نهى عن ضده.

وما يلحظ في هذا المقطع الحذف في بنية الخطاب: (وعن الزَّهَّان) وتقديره على نية المحذوف (أنهاكم عن الزَّهَّان) حُذِفَ الملفوظ الإنجازي (أنهاكم)، واقتصر ذكره على أول الخطاب فقط. وهذا الحذف لا يؤثر في دلالة الإنجاز المباشرة، بل يزيد من قوته الإنجازية، ويؤكد الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) أهميته بقوله: ((إذا أنت مررت بموضع الحذف منها، ثم فليت النفس عما تجد، وألطف النظر فيما تحسُّ به، ثم تكلف أن تزدَّ ما حذَفَ الشاعر وأن تُخرجه إلى لفظك، وثوقه في سمعك، ... وأن رُبَّ حَذَفٍ هو قِلَادَةُ الجيد، وقاعدةُ التَّجويد))^(٣). وسبب توجيهه بالنهي عن الزَّهَّان قوله: (فإنِّي به ثكلت مالكا أخي) أي نهى المتلقي عن المراهنة التي أودت بحياة أخيه مالك بن زهير^(٤). وقوله: (عن البغي) ملفوظ آخر على نية تقدير المحذوف؛ لأهمية الأمر المنهى عنه (البغي)، وسببه (إنه قتل زهيرًا أبي)؛ لأنَّه اعتدى على امرأة^(٥). وقوله: (عن

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/١٢٨-١٢٩.

(٢) يُنظر: وصايا الأدباء والخلفاء والحُكَّاء في العصر العباسي دراسة فنية، د. روناك توفيق علي النورسي: ١٧٠.

(٣) دلائل الإعجاز: ١٥١.

(٤) يُنظر: أمالي المرتضى: ١/٢١٠.

(٥) يُنظر: المصدر نفسه: ١/٢١٢-٢١٣.

(الفضول) فيه حذف على نية تقدير المحذوف (أنهاكم) أيضًا، إذ نهى زهير بن قيس بني النمر عن إعطاء المال الزائد لأنه لا كرم فيه^(١)، وسبب هذا التوجيه قوله: **(تعجزوا عن الحقوق)**. وفي قوله: **(عن السرف في الدماء)** أنجز قيس بن زهير هذا الملفوظ بالحذف أيضًا؛ لتوجيه المتلقي بترك تجاوز الحد في القتل، والسبب هو: **(إن يوم الهبأة ألزمني العار)** وجههم بوجوب ترك هذا الفعل؛ لأنه ندم بعد أن أقدم على هذا الفعل في جفر الهبأة^(٢). وقد أنجز قيس بن زهير خطابه بهذا الأسلوب؛ لما للحذف من تأثير في المتلقي؛ لأنه يثير انتباه المتلقي فيجعله أكثر استقبالا لهذه النواهي، مع تأكيد خطابه بـ(إن+ ياء المتكلم) في كل سبب توجيهي؛ ليجعل نفسه أقرب مثال حتى يُفنعهم بالابتعاد عما نهاهم عنه، والمرسل ما نهاهم عن هذه الأفعال إلا لأنه مر بها وحصد نتائجها بالندم على أفعاله، وفي كل ملفوظ إنجازي يذكره يُعطي سببه من الأحداث التي مر بها في حياته؛ لتحقيق غايته من الخطاب.

وفي نهاية الخطاب صرح قيس بن زهير بنتائج تلك الأفعال التي وجههم بتركها، بقوله: **(واعلموا أنني كنت ظالماً مظلوماً، ظلمني بنو بدر بقتلهم مالكا أخي، وظلمتهم بأن قتلتم من لا ذنب له)**. فقد أظهر للمتلقي ندمه على تلك الأفعال بالإسراف بالقتل والنكاية، وبلغ من ندمه وتوبته أن يرثي من قتله؛ فكان أول من رثى مقتوله^(٣). وجاء تصريحه بهذه النتائج؛ لأن السياق المقامي يُشير إلى رحيله عن بني النمر.

وصرح المرسل بالوصية؛ لأنه أراد وعظهم، وصرح بالأمر والنهي؛ لتحقيق غايته بوجوب تنفيذ ما أمرهم به وترك هذه الأفعال المنهى عنها، وذكر النتائج التي ترتبت على تلك الأفعال؛ لتحقيق غايته في التأثير بالمتلقي لتجنب مثل هذه الأفعال، وهو توجيه يصب في مصلحة

(١) الفضول جمع الفضل ويعني الزيادة، فالفضول: فضلات المال الزائدة عن الحاجة. يُنظر: الزائد، جبران مسعود: ٦٠٣.

(٢) يُنظر: أمالي المرتضى: ١/٢١٤.

(٣) يُنظر: سرح العيون: ١٣٩.

الْمُتْلَقِي التي تنعكس نتائجها على المجتمع بتجنب الأفعال التي تؤدي إلى الفرقة والتفكك بين أبنائه.

ووردت تقنية ألفاظ المعجم في خطبة طاهر بن الحسين الخزاعي^(١) في بغداد بعد قتله الأمين، قال: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ مَالِكِ الْمَلِكِ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ، وَ يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ، وَلَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ...وَاحْذَرُوا مِصَارِعَ أَهْلِ الْخِلَافِ وَالْمَعْصِيَةِ، الَّذِينَ قَدَحُوا زِنَادَ الْفِتْنَةِ، وَصَدَعُوا شَعَبَ الْأُلْفَةِ، فَأَعْقَبَهُمُ اللَّهُ خَسَارَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ))^(٢).

وجّه طاهر بن الحسين خطابه بتقنية اللفظ المعجمي الصريح الدال على التحذير بقوله: ((احذروا)). ويُلاحظ في هذا الخطاب أنّ التحذير جاء بصيغة فعل الأمر (احذروا)؛ لأنّ قصديّة طاهر بن الحسين توجيه المُتْلَقِي (أهل بغداد) بوجوب اجتناب من يُريد الفرقة من أجل أن يحقق مصالحه ويثبت حكمه، وصدر خطابه بآية قرآنية تدل على زوال الملك ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ مَالِكِ الْمَلِكِ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ، وَ يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣). وقد ذكر النتيجة المترتبة على من اتبعوا طريق الفتن بقوله: ((فَأَعْقَبَهُمُ اللَّهُ خَسَارَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ))؛ للتأثير بالمتلقي وإقناعه باجتناب ما حذره منه، وحتى لا يُؤوّل خطابه تأويلاً آخر، فهو تحذير من فعلٍ مع الالتزام بوجوب اجتنابه. وبوصف طاهر بن الحسين صاحب السُلطة استدعى منه السياق المقامي المُتمثل بقتله لمحمّد الأمين وما ترتب على هذا الفعل من إخماد الفتنة وتهدئة الناس؛ ليعم الأمان على الجميع، وبهذا الأسلوب استطاع إنجاز خطابه بتقنية التحذير الصريحة.

ومن الخطابات المنجزة بتقنية ألفاظ المعجم، خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي حين أراد الحجّ، واستخلف محمّدا ولده على العراق: ((يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، إني أريد الحجّ،

(١) طاهر بن الحسين بن مُصعب بن زُرَيْق الأمير، أبو طلحة الخزاعي، كان قائدا في خلافة المأمون، ولّاه خُراسان وقتل محمّد الأمين وبعث رأسه إلى المأمون بعد خلعه عندما ندبه لحربه، ومات بمرض الحمّى سنة (٢٠٧هـ). يُنظر: الوزراء والكتّاب، محمّد بن عبدوس الجهشيارى، تح: مصطفى السقا وآخرون: ٣٠٤.

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١١٩/٣.

(٣) سورة آل عمران: ٢٧.

وقد استخلفت عليكم ابني محمداً هذا وما كنتم له بأهلٍ، وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأنصار، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى أن يُقبل من مُحْسِنِهِمْ، وأن يُتَجَاوَزَ عن مُسِيئِهِمْ، وإني أمرته ألا يقبل من محسنكم، ولا يتجاوز عن مسيئكم؛ ألا وإنكم ستقولون بعدي مقالة ما يمنعكم من إظهارها إلا مخافتي: ألا وإنكم ستقولون بعدي: لا أحسن الله له الصحابة، ألا وإني مُعَجِّلُ لكم الإجابة: لا أحسن الله الخلافة عليكم^(١).

أنجز الحجاج خطابه بالتوجيه بلفظ فعلٍ ماضٍ (أوصيته) في قوله: (أوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الأنصار...). و (أمرته)، في قوله: (إني أمرته ألا يقبل من محسنكم، ولا يتجاوز عن مسيئكم)؛ وأنجز الحجاج خطابه بهذه الصورة بناءً على موقعه السلطوي، ويلاحظ هذا الموقع بافتتاح الخطبة بقوله: (يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق)، ثم ذكر السبب الذي جعله يستخلف ابنه: (إني أريد الحج، وقد استخلفت عليكم ابني محمداً هذا وما كنتم له بأهلٍ). ومطلع الخطاب هذا يبين علاقة الحجاج بالمتلقي، وهي علاقة قائمة على الموقع السلطوي بدرجة كبيرة؛ لما عُرف عنه من سياسة شديدة وقسوة، والتوجيه بالفعل الصريح (أوصيته، أمرته) جاء متناسبا مع السياق، وأنجزه بزمان الفعل الماضي، وأسهم هذا الزمن بتأكيد ذلك الموقع السلطوي الذي يتمتع به الحجاج، وأخبرهم أن الأمر وقع و مضى، ولم يرد الحجاج وصف الحدث، وإنما أراد المعنى من زمن الفعل إذ إن ((أزمنة الأفعال لا تصف أحداثاً، فتلك هي وظيفة الأفعال))، إنها تُيسر تأويل الأقوال التي تظهر فيها ويمكنها بهذا المعنى... أن تُساهم في شرطية صدق القضايا التي تُعبر عنها الأقوال...، إذ تمكن من معرفة ما إذا كان الحدث الموصوف منقضيًا، أو غير منقض، أو بصدد الوقوع، أو ماضيًا^(٢).

يُلاحظ أن الحجاج أنجز فعل الأمر صراحة في هذا الخطاب؛ لتدني العلاقة العاطفية مع المتلقي. وللعلل الصريح تأثير في نفس المتلقي؛ لدلالته على الأمر بصورة حاسمة، ووجوب تنفيذ هذه الأوامر التي وجهها الحجاج لابنه في الخطاب، وتقنية الحجاج هذه جعلت المتلقي

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/٢٩٨-٢٩٩.

(٢) التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن رويول وجاك موشلار، ترجمة: د. سيف الدين دغفوس، و د.

محمد الشيباني: ١٧٤.

خاضعا، والدليل قوله: (ألا وإنكم ستقولون بعدي مَقَالَةً مَا يمنعكم من إظهارها إِلَّا مَخَافَتِي: ألا وإنكم ستقولون بعدي: لا أحسن الله له الصَّحَابَة، ألا وإني مُعَجَّل لكم الإجابة: لا أحسن الله الخِلافة عليكم)، وخوف المُتلقِي جعله خاضعا لسياسة الحَجَّاج الشَّديدة التي مارسها على أهل العراق، وكان يُصارحهم بالكراهية، وهو على عِلْم بموقفهم منه، والدليل قوله: (ألا وإنكم ستقولون بعدي: لا أحسن الله له الصَّحَابَة)؛ فعلاقة المرسل بالمتلقي يشوبها التوتر.

يُستشف من خطاب الحَجَّاج بتقنية الأمر، نَعَمْدَه خرق مبدأ اللِّبَاقَة^(١) في الخطاب من بدايته: (يا أهل العراق يا أهل الشَّقَاق والنَّفَاق... إلى نهايته: ألا وإني مُعَجَّل لكم الإجابة: لا أحسن الله الخِلافة عليكم). خَرَقَ الحَجَّاج هذا المبدأ؛ لما يعود عليه من فائدة في فرض سُلْطَته على الرِّعية من أجل استمرار سياسته الشَّديدة في فرض الأحكام والترهيب ((فالمفترض أن يتجه المرسل بخطابه إلى التَّكْثِير من فائدة المرسل إليه، بجعل خطابه أكثر تأدبا؛ ولن يتأتَّى هذا إِلَّا على حساب خسارة المرسل نفسه، وفقا لهذه القاعدة إنَّ المرسل قد يتعمد خرق هذا المبدأ، وذلك عندما يستعمل الاستراتيجية التَّوجِيهية في شكلها الأكثر مباشرة للدلالة على قصده، مثل استعمال النهي أو الأمر الصريحين. فيكون المرسل قد أكثر من فائدة الذات عند استعمالهما، وهو ما يتناسب طرديا مع خسارة المرسل إليه))^(٢). ونوع السِّياق هنا سياق وجودي.

نخلص من هذا الخطاب إلى أنَّ الحَجَّاج أنجز خطابه بتقنية ألفاظ المعجم، باستعمال صيغة الفعل اللِّغوي الصريح (أوصيته، أمرته)؛ لإخضاع المتلقي والتسلط عليه.

(١) قاعدة من قواعد التَّأْدَب الأقصى، الذي قال به جيوفري ليتش، وهو أحد أنواع حُسن التَّأْدَب والتَّخَلُّق، يستعمله المرسل في التعابير غير المباشرة، ويتدرج المرسل في استعمال اللِّبَاقَة، وهي القاعدة الرئيسة التي تتفرع عنها قواعد التَّخاطب الأخرى، وهي جميعها ذات صورتين إيجابية وسلبية: أ- قلل من خسارة الآخر، ب- أكثر من ربح الآخر. وهذا التصنيف يُنظر إليه من مصلحة المتلقي فالقيمة المناسبة تكون ربحا للمتلقى أكثر من الخسارة، أي يتجه المرسل إلى التَّكْثِير من فائدة المتلقي، بجعل الخطاب أكثر تأدبا؛ لأنَّ الغاية من الخطاب تكون في مصلحة المتلقي. ويقوم هذا المبدأ على سُلْم الاختيار المُستمد من (لاكوف)، وسُلْم السُّلْطَة وسُلْم التَّضَامن المستمد من (براون) و(ليفنس)، مُضيفا إليها سُلْم الرِّيح والخسارة من عنده. وربط ليتش هذا المبدأ بالأفعال الكلامية. يُنظر: مبادئ التداولية: ١٤٢، ١٤٦، ١٧٤، واللِّسان والميزان: ٢٢٦.

(٢) استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٣٣٣.



الفصل الثالث

الاستراتيجية التلميحية

- المبحث الأول: الاستراتيجيات اللغوية .
- المبحث الثاني: الاستراتيجيات اليبانية .
- المبحث الثالث: الاستراتيجيات النداولية .

توطئة:

لقد اتضح لنا أنّ المرسل يُعبّر عن قصده بالخطاب الظاهر الصريح بأسلوب الاستراتيجية المباشرة، لكن هذه الاستراتيجية قد لا تتوافق مع المقام وسياق الحال والظروف الاجتماعية فيعدل المرسل إلى التلميح في التعبير عن قصده، وهذه الآلية سميت بالاستراتيجية التلميحية، ولو تتبعناها تأريخياً نجد الباحثين العرب تناولوها وأعاروها اهتمامهم، وكانت البلاغة العربية ميدانها الواسع، وعقد ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) باباً في (مخالفة ظاهر اللفظ معناه) واستعرض بعض الأوجه التي يخالف فيها ظاهر اللفظ معناه، و ذكر لكل وجه مثلاً أو أكثر من القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر العربي من ذلك الدعاء على جهة الذم مثل قوله (ﷺ): «قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ»^(١) (٢). وأشار عبد القاهر الجرجاني إلى التلميح إذ قال: ((اعلم أن لهذا الضرب اتساعاً وتفناً لا إلى غاية، إلا أنه على اتساعه يدور في الأمر الأعمّ على شيئين: الكناية والمجاز))^(٣). وعرض السكاكي للتلميح في خروج بعض الأفعال الطلبية عن معناها الأصلي إلى معاني أخرى مثل الاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء، زيادة على حديثه عن الكناية والمجاز^(٤).

أمّا في البحث المعاصر فهناك أكثر من نظرية للباحثين الغربيين، منهم غرايس صاحب نظرية الاستلزام الحواري طبقاً لما يقتضيه مبدأ التعاون، ووسّع غرايس هذا المبدأ العام إلى أربعة مبادئ أو قواعد تخاطبية: مبدأ الكم، ومبدأ الكيف، ومبدأ المناسبة، ومبدأ الصيغة، وينتج عن خرق هذه القواعد الاستلزام الحواري^(٥).

وصاغ سبيريير وولسون نظرية العلاقة؛ لأنهما لاحظا أنّها تكفي لتتوب عن مجموع القواعد في الاستلزام الحواري، وتعويضها بقاعدة واحدة (قاعدة العلاقة) التي تُلزم أن يكون الحديث مناسباً

(١) سورة الذاريات: ١٠.

(٢) يُنظر: تأويل مُشكِـل القرآن، تح: السيد أحمد صقر: ٢٧٥-٢٨١.

(٣) دلائل الإعجاز: ٦٦.

(٤) يُنظر: مفتاح العلوم: ٣١٨-٣٦٤.

(٥) يُنظر: النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ترجمة: د. تَمّام حسان: ٤٩٥-٤٩٦، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٢-٣٤، والاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، العياشي أدراوي: ١٦-١٧.

وهذا يفترض أن يُقدّم المرسل كمية المعلومات المطلوبة من دون إرهاق المُتلقي بحشد من التفاصيل الزائدة، ويفترض الصدق بالقول والتكلم بوضوح ومن دون لبس^(١).

وعالج سيرل الاستراتيجية التلميحية ضمن دراسته للأفعال الكلامية عندما أضاف الأفعال الكلامية غير المباشرة ((التي يؤدي فيها المرء فعلاً كلامياً واحداً بصورة غير مباشرة من خلال أدائه فعلاً آخر مباشرة))^(٢). ويمكن تعريف الاستراتيجية التلميحية بأنها ((الاستراتيجية التي يعبر بها المرسل عن القصد، بما يغيّر معنى الخطاب الحرفي؛ لينجز بها أكثر مما يقوله، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثماً في ذلك عناصر السياق))^(٣).

ويمكن الإشارة إلى أهم المسوغات التي ترجّح استعمال الاستراتيجية التلميحية^(٤):

١- يُعد التأدّب في الخطاب من أهم أسباب استعمال هذه الاستراتيجية، إذ يستعملها المرسل مراعاة لما تقتضيه بعض الأبعاد، مثل البعد الشرعي وما يمليه من ضرورة أطراح فاحش القول. والبعد الاجتماعي بضرورة احترام أذواق الآخرين وأسماعهم. والبعد الذاتي وهو صيانة الذات عن التلفظ بما يسيء إليها، أو بما قد يعكس دناءة المرسل في أذهان الآخرين.

٢- رغبة المرسل بإعلاء ذاته على حساب الآخرين والتفوّق عليهم؛ بذكر معائبهم أو الانتقاص من أفكارهم.

٣- رغبة المرسل أحياناً في التملّص والتهرّب من مسؤولية الخطاب، وقد يحتمل الخطاب أكثر من تأويل، منها القريب ومنها البعيد، ويختار المتلقي من التأويلات الممكنة ما يعتقد أنّه الأنسب للسياق، مع استبقاء الفرصة لدى المرسل؛ لينكر وينفي القصد الذي قد يوقعه في ورطة لو أقرّ بإنجاز فعل كلامي معين بخطابه مثل إنكاره أنه لم يعمد إلى اتهام المتلقي أو أي طرف آخر.

(١) يُنظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٨١، ومبادئ التداولية: ١٢٥.

(٢) اللغة والمجتمع والعقل الفلسفة في العالم الواقعي: ٢٢١.

(٣) استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٣٧٠.

(٤) نفسه: ٣٧١-٣٧٣.

ويمكنه باستعمال التلميح أن ينفي هذا القصد عن خطابه، ويخرج الخطاب على أنه ذو قصد آخر.

٤- استجابةً للخوف؛ لذلك يستعمل المرسل هذه الاستراتيجية لئلا يتخذ المتلقي خطابه دليلاً عليه. ولذلك فقد يجيبه المتلقي بخطاب تلمحي يشوبه الحذر أيضاً، كي لا يتهمة عندها أنه يستطيط الرشوة ويطلبها من المرسل، فيصبح كلامه عرضة للمساومة.

٥- حفظ ماء وجه المتلقي وإعادة اعتباره عند مخاطبته، لذلك يلجأ المرسل إلى العدول عن محاولة إكراهه أو إحراجه إن كان لا يرغب في تنفيذ ما يريده منه، ويحدث هذا عندما يمتلك المرسل السلطة، ولكنه يراعي مشاعر الآخرين، وهذه الاستراتيجية يكثر استعمالها في النصح وتوجيه المتلقي إلى الفعل الأصح.

٦- رغبة المرسل في توفير الوقت والجهد في إنتاج الخطاب أو تأويله، فيستغني عن إنتاج عدد من الخطابات والاكتفاء بإنتاج خطاب واحد يؤدي معنيين: المعنى الحرفي والمعنى المستلزم في الوقت نفسه.

ولا يتلفظ المرسل بخطابه التلمحي بطريقة عشوائية، بل هناك خطوات يسلكها عند التلفظ وهذه الخطوات هي ^(١):

١- يدرك أن معنى الخطاب الحرفي لن يناسب السياق، ولن يُعبّر عن القصد المراد؛ فيختار التعبير على وفق الاستراتيجية التلميحية.

٢- يبحث عن آلية مناسبة ينتج بها خطابه؛ ليبلغ قصده.

٣- يختار الآلية التي تؤدي المعنى المستلزم من الخطاب، والمغاير للمعنى الحرفي.

(١) يُنظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٣٨٤.

المبحث الأول: الاستراتيجيات اللغوية

يستثمر المرسل كفاءته التداولية عند إنتاج خطابه باستعمال الاستراتيجية التلميحية، ويسلك طرقاً عدة؛ لتجسيد العلاقة بين ما يقوله وما يعنيه؛ ويوظف بعض الأدوات اللغوية التي يستلزم استعمالها قصدًا معينًا في الخطاب، ويكون لكل لفظة من الألفاظ معنى بحسب السياق الواردة فيه، وتكون الغاية منها التلميح من دون التصريح بما يرغب به المرسل، وهي على أنواع منها:

١: ألفاظ الكنايات (كذا، كيت):

تستعمل ألفاظ الكنايات لتلميح بالقصد، ونجد تقنية ألفاظ الكنايات في جمهرة خطب العرب بنسبة قليلة^(١)، منها حوار الإمام علي (عليه السلام) مع حُجْر بن عدي^(٢)، وعمرو بن الحمق عندما خرجوا وأظهروا البراءة من أهل الشام، فأرسل الإمام علي (عليه السلام) إليهما أن يكفا عما بلغه عنهما، وأتياه فقالا: ((يا أمير المؤمنين: ألسنا مُحَقِّقَيْن؟)) قال: بلى، قالا: ((أوليسوا مُبْطِلَيْن؟)) قال: بلى، قالا: ((فَلِمَ مَنَعْتَنَا من شتمهم؟)) قال: ((كَرِهْتُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا لِعَانِينَ شَتَّامِينَ، تَشْتَمُونَ وتبرعون، ولكن لو وصفتُم مساوئَ أعمالهم فقلتُم: من سيرتهم كذا وكذا، ومن أعمالهم كذا وكذا، كان أَصَوَّبَ في القول، وأبلغ في العُذْر، وقلتُم مكان لعنكم إياهم، وبراءتكم منهم: اللهم احقن دماءهم ودماعنا، وأصلح ذات بينهم وبيننا، واهدِهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحقَّ منهم مَنْ جَهْلُهُ، ويرعوي عن الغي والعدوان منهم مَنْ لَهَجَ به، لكان أَحَبَّ إِلَيَّ، وخيرًا لكم، فقالا: يا أمير المؤمنين، نقبل عظمتك، ونأدب بأدبك))^(٣).

استعمل الإمام علي (عليه السلام) استراتيجية ألفاظ المقاربة بلفظة (كذا) المكررة والمعطوفة بالواو،

(١) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/٣٢١-٢٠٩، ٤٢٥-٣٢٤، ٣٧٠/٢، ١٩٢-١٦٦، ٣٢١-٣٠٧، ٣٧٨-٣٦٨، ٣/٢٨-٢٥.

(٢) حُجْر بن عدي بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كنده الكندي الكوفي المعروف بحجر الخير، وحُجْر، وفد إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أخيه هانئ بن عدي، وهو من فضلاء الصحابة، وأحد أعلام الشيعة الموالين للإمام علي (عليه السلام) ولأهل البيت (عليهم السلام)، شَهِدَ كل المعارك التي خاضها الإمام علي (عليه السلام)، قتله معاوية سنة (١١) وخمسون). يُنظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة: ١/٤٦١-٤٦٢، والبداية والنهاية: ١١/٢٢٧-٢٣٦.

(٣) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/٣٢١.

وقد تكررت هذه الصورة في قوله: (لكن لو وصفتهم مساوئ أعمالهم فقلت: من سيرتهم كذا وكذا، ومن أعمالهم كذا وكذا كان أصوب في القول، وأبلغ في الغذر)، تكررت لفظة (كذا) المعطوفة بالواو مرتين وهي كناية عن وصف لفعل، وكنى الإمام علي (عليه السلام) بها ووجههم بوصف مساوئ سيرة أهل الشام وأعمالهم السيئة، وهذا من أدب المخاصمة، وهو (عليه السلام) صاحب الخلق الرفيع، وتربية القرآن الكريم.

وما يُلحظ في هذا الخطاب استعمال صيغة المبالغة (لَعَانِينَ شَتَّامِينَ) في قوله: (كَرِهْتُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا لَعَانِينَ شَتَّامِينَ، تَشْتِمُونَ وَتَبْرَعُونَ)، حتى لا يكون صفة ملازمة لهم (حُجْر بن عَدِي، وعمرو بن الحمق) لذا استعمل الإمام (عليه السلام) لفظتي (لَعَانِينَ وَشَتَّامِينَ) صيغة مبالغة، ولم يقل الوصف بوزن اسم الفاعل (الشَّتَّامِ): (كَرِهْتُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا لَعَانِينَ شَتَّامِينَ)؛ لأنَّ الإمام علي (عليه السلام) قصد التلميح بعدم الإفراط والمبالغة في اللعن والسب ويمكن أن يكون قصده الابتعاد عن لعن من يستحق ومن لا يستحق، وحتى المستحق على أن يكون النيل منه بذكر مساوئه لا بسبه ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١). واستعمل الإمام (عليه السلام) (كذا)؛ لأنه لم يحدد الأوصاف التي يقصدها (عليه السلام) بل جعلها مبهمة معتمداً على كفاءة المتلقي التداولية، ومن جانب آخر فإنه (عليه السلام) من باب التأدب والعفة بالكلام لم يذكر أوصاف أعمالهم ترفعا عن النطق بالكلام السيء.

وفي هذا الخطاب قدّم الإمام علي (عليه السلام) التوجيه والنصح للمتلقي بطريقة وعظية وبصورة متكاملة بعدما وجههم بالابتعاد عن اللعن والسب، أعطاهم البديل الأفضل منه بالدعاء لهم بقوله: (وقلتهم مكان لعنهم إياهم، وبراعتكم منهم: اللهم احقن دماءهم ودماعنا، وأصلح ذات بينهم وبيننا، واهدم من ضلالتهم) ثم ذكر نتيجة الالتزام بهذا الأمر (حتى يعرف الحق منهم مَنْ جَهْلُهُ، ويرعوى عن الغي والعدوان منهم مَنْ لَهَجَ بِهِ، لكان أحبَّ إليّ، وخيرا لكم) وذكر النتيجة له أثر في نفس المتلقي بوصف هذا الفعل محبوب لدى الإمام علي (عليه السلام) وعلى المتلقي القبول والطاعة بوصفه (عليه السلام) صاحب السلطة وخير مؤدّب، والدليل قول حُجْر بن عدي وعمرو بن الحمق: (يا أمير المؤمنين، نتقبل عظمتك، ونتأدب بأدبك) وفي الوقت نفسه صبّ القبول

(١) سورة الأنعام: ١٠٨.

والطاعة في مصلحة المتلقي بتجنب المجاهرة باللعن بغية الإصلاح؛ لتقريبهم (أهل الشام) لجادة الصواب، وينعكس هذا إيجاباً على المجتمع الإسلامي بتقديم النصح والابتعاد عن الألفاظ السيئة التي تؤثر على العلاقة بين أبناء المجتمع الواحد.

ومن الخطابات الواردة بتقنية ألفاظ الكنايات خطبة عبد الملك بن مروان^(١) بمكة ((أيها الناس: إني والله ما أنا بالخليفة المستضعف (يريد عثمان بن عفان) ولا بالخليفة المدهن^(٢) (يريد معاوية بن أبي سفيان) ولا بالخليفة المأفون^(٣) (يريد يزيد بن معاوية) فمن قال برأسه كذا، قلنا له بسيفنا كذا))^(٤).

استعمل عبد الملك بن مروان تقنية ألفاظ الكنايات؛ للتلميح باستعمال (كذا) مرتين. في قوله: (فمن قال برأسه كذا) يُلاحظ في هذا الموضع ترافق القول مع الحركة؛ فالرأس لا يقول ولكنه يتحرك، وجاء عبد الملك بن مروان بلفظ (كذا) كناية عن حركة الرأس التي تشير إلى أنه غير راضٍ عنه، والقصد الضمني التلميح لهذا الفعل. والموضع الثاني قوله: (قلنا له بسيفنا كذا) فهي كناية عن فعل القتل باستعمال السيف؛ ليجعله خاضعاً لسلطته، والسيف هنا رمز سياسة عبد الملك بن مروان باستعمال أشد العقوبات في القتل (قطع الرأس) في هذا القول، وجعل هذه الكناية مقابلة للقول السابق ورداً عليه فقول الرأس (حركة الاعتراض) يرد عليه قول السيف (قطع الرأس)^(٥). وما يؤكد هذا التسلط والمقصد الضمني هو تصدير الخطاب بإشارية الذات ((إني)، و(أنا) في قوله: ((إني والله ما أنا بالخليفة...)) وتعاضدها مع أسلوب القسم الذي ترك الأثر البالغ في نفس المتلقي حتى لا يُخالجه الشك بعصيان أوامره، وهذا يدل على تسلطه و أن رقابهم

(١) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو الوليد الأموي، أمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، بُيع له بالخلافة في حياة أبيه، تولى بعد أبيه الشام ومصر، وقتل مصعب بن الزبير، واستولى على العراق، كان من دُهاة الرجال، وكان الحجاج من ذنوبه فقد ولّاه على العراق، توفي سنة (ست وثمانين) وكان عمره ستين وقيل ثلاثاً وستين سنة. يُنظر: تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك: ١٥١-٢٠٢، والكامل في التاريخ: ٥٣١/٣-٥٣٤.

(٢) المدهن: المصانع. لسان العرب: ١٣/١٦٢ (دهن).

(٣) المأفون: ضعيفُ العقل والرأي. نفسه: ١٣/١٩ (أفن).

(٤) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١٩٢/٢.

(٥) يُنظر: شعرية اللغة في نثر العصر الأموي: (بحث) ٥٠.

تحت حدّ سيفه متى ما تحركت رؤوسهم قابلهما بحركة السيف، والتنغيم يُعَضِّدُ كُلَّ ذلك فهو معبر عن انفعال عبد الملك وغضبه منذ الوهلة الأولى لتوليهِ الخلافة.

ويلحظ في هذا الخطاب كنايات متدرجة باستعمال تقنية الكناية بقوله: (ما أنا بالخليفة المستضعف) (يريد عثمان بن عفان) ولا بالخليفة المدهن (يريد معاوية بن أبي سفيان) ولا بالخليفة المأفون (يريد يزيد بن معاوية) ثم توالى الكنايات في هذا الخطاب بأسلوب كلامي مؤثر حاول فيه عبد الملك شغل فكر المتلقي بالبحث عن المقصودين من هذه الكنايات واستنتاج القصد منها، والقصد التلميحى أنّه لا يؤثر عليه أحد في أحكامه وهي قطعية لا يستمع فيها لرأي أحد أي إنّهُ ليس ضعيفاً. ثمّ بعد ذلك ذكر الألفاظ الدالة على الكنايات.

وبهذه التقنية استطاع عبد الملك بن مروان إخضاع المتلقي لسلطته وما عليه إلّا القبول والطاعة؛ خوفاً على حياته التي وضعها عبد الملك تحت حدّ السيف، وبهذه التقنية ألقى عبد الملك الرعب في قلوب الرعية، وسيطر عليهم، وضمن خنوعهم، والنتيجة الطبيعية لهذا الخوف تنعكس على المجتمع بالسكوت عن الظلم والقبول بالإخضاع للسلطة الحاكمة بالقوة والبطش.

ومن ألفاظ الكنايات التي يستعملها المرسل للتلميح (كيت وكيت).

وبرزت (كيت وكيت) في خطبة الإمام علي (عليه السلام) عندما غار الضحّاك بن قيس^(١) على الحيرة، فقال الإمام (عليه السلام): ((أيها الناس المجتمعَةُ أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يُوهي الصَّمَّ الصَّلاب، وفعلكم يُطمعُ فيكم الأعداء، تقولون في المجالس كَيْتَ وَكَيْتَ، فإذا جاء القتال قُتِمَ حَيْدِي حَيَّادٍ^(٢)، ما عَزَّتْ دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، أعاليلُ بأضاليلٍ^(٣)،

(١) الضحّاك بن قيس بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيّان بن محارب بن فهر، قيل أنّه أدرك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسمع منه، كان على شرطة معاوية ثم وُلّاه الكوفة سنة (٥٥هـ) بعد عزل عبد الله بن خالد بن أسيد، دعا لخلافة عبد الله بن الزبير بعد وفاة يزيد بن معاوية فُقُتِلَ سنة (٦٤هـ) في معركة مرج راهط التي خاضها ضد مروان بن الحكم. يُنظر: تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك: ٥٣١/٥-٥٣٥، والطبقات الكبير: ٥٤٣/٦-٥٤٧، و٤١٣/٩-٤١٤.

(٢) حَيْدِي حَيَّادٍ أي ميلي كلمة يقولها الهارب الفار، وهي نظير قولهم: فيحي فياح أي اتسعي وفياح اسم لغارة. يُنظر: لسان العرب: ١٥٨/٣، ومجمع الأمثال: ٧٧-٧٨/٢، وشرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم: ١١١/٢-١١٢.

(٣) يتعللون بالأضاليل التي لا جدوى لها. شرح نهج البلاغة: ١١٢/٢.

دفاع ذي الدين المطول، هيهات لا يمنع الضيم الذليل، ولا يُدرك الحق إلا بالجد، أي دار بعد داركم تمنعون؟ ومع أي إمام بعدي تقاتلون؟ المغرور والله من غررتموه، ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسهم الأخيب^(١)، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل^(٢)، أصبحت والله لا أصدق قولكم، ولا أطمع في نصركم، ولا أوعِد العدو بكم، ما بالكم؟ ما دواؤكم؟ ما طبُّكم؟ القوم رجال أمثالكم! أقولاً بغير علم، وغفلة من غير ورع، وطمعاً في غير حق!!^(٣).

استعمل الإمام علي(عليه السلام) تقنية ألفاظ الكنايات (كيت وكيت) للتلميح إلى أن أهل الكوفة يقولون في المجالس ما لا يفعلون، ومن باب التأدب في الخطاب لم يُصرح الإمام علي(عليه السلام) بما كانوا يقولون عن شجاعتهم في الحروب والمواجهة، ويفهم المتلقي قصد الإمام(عليه السلام) من هذه الكناية في تلك المجالس. واحتوت خطبة الإمام(عليه السلام) على ذم أهل الكوفة عندما تقاعسوا عن القتال وهم يرون أموالهم تُنهب (فإذا جاء القتال قُتِم حَيدي حَياد، ما عَزَّتْ دعوهُ من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، أعاليلُ بأضاليل).

ومن الخطابات المنجزة بتقنية ألفاظ الكناية باستعمال (كيت وكيت) في خطبة خالد بن عبدالله القسري^(٤) بمكة ((يا أيها الناس، إنكم بأعظم بلاد الله حرمةً، وهي التي اختار الله من البلدان فوضع بها بيته، ثم كتب على عباده حجّه من استطاع إليه سبيلاً، أيها الناس: فعليكم بالطاعة، ولزوم الجماعة، وإياكم والشُّبهات، فإني والله ما أوتِي بأحد يَطْعَن على إمامه إلا صَلَبْتُهُ في الحرم، إن الله جعل الخلافة منه بالموضع الذي جعلها، فسَلِّمُوا وأطيعوا، ولا تقولوا كَيْتَ وَكَيْتَ،...))^(٥).

استعمل خالد بن عبد الله القسري تقنية ألفاظ الكنايات (كيت وكيت) في قوله: (سَلِّمُوا وأطيعوا،

(١) أصل المثل: مَنْ فَازَ بِقُلَانٍ فَقَدْ فَازَ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ، يضرب في خَيبة الرجل من مطلوبه. يُنظر: مجمع الأمثال: ٣٠٨/٢.

(٢) أفوق ناصل: سهم منكسر الفوق لا تُصل فيه. ينظر: لسان العرب: ١١/٦٦٣ (نصل).

(٣) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٤٢٥-٤٢٦.

(٤) خالد بن عبد الله القسري البجلي، قائد أموي ولّاه الوليد بن عبد الملك مكة سنة (٨٩هـ) إلى أن مات الوليد، وكان أمير العراقيين لهشام بن عبد الملك، قُتِل سنة (ست وعشرين ومئة). يُنظر: تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك: ٦/٤٤٠، والبداية والنهاية: ٩/٧٦-٧٧.

(٥) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/٣٢١.

ولا تقولوا كَيْتَ وَكَيْتَ) كناية عن كلامٍ لم يرد التصريح به ولمح إليه، لكنّه كان معلوماً عند المتلقي، والقصد الضمني لهذه الكناية: النهي عن الاعتراض على سياسة خليفتهم ووجوب تقديم فروض الطاعة له. واختار ترك الافصاح؛ لإخفاء ما يمكن أن يُقال بأسلوب التلميح.

٢- التعبير الاصطلاحي:

عرّف اللغويون القُدّامي التعبير الاصطلاحي، وكان يُستعمل في النص شاهداً يُعزز فكرة الكاتب، أو يروي قصّة، أو يُعبّر عن شعور، أو وجهة نظر ما، أو يذكرونه في نص معجمي وظيفته فيه تأكيد وجود مفردة من مفرداته المكوّنة له في اللغة فهو من الموروث الثقافي العربي، وأطلقوا عليه مصطلح: القول السائر، أو القول المأثور، أو الكلام المأثور أو العبارة المأثورة، ولم يعزلوه دلاليّاً أو تركيبياً، بل جعلوه مداخل معجمية^(١). وذكره الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ) على سبيل التمثيل في شرح مادة(حسك) ((الحَسَكُ: نَبَاتٌ لَهُ ثَمَرَةٌ خَشَنَةٌ تَتَعَلَّقُ بِأَصْوَافِ الْعَنَمِ...وحسك الصَّدْر: حَقْدُ الْعَدَاوَةِ، تَقُولُ: إِنَّهُ وَلَحَسَكُ الصَّدْر عَلِيٍّ))^(٢). فالتعبير الاصطلاحي هو(لحسك الصدر عليّ) أي يضمّر له الحقد والعداوة.

أمّا اللسانيات العربية الحديثة فقد عرفت بعد اطلاعها على نتاجات اللسانيات الغربية، ونقلها لمفهوماتها منها مفهوم idioms الذي تعددت مقابلاته العربية بتعدد الناقلين له من اللغات الغربية^(٣)، وذكره أحمد مختار عمر بقوله((أمّا الوحدات الدلالية الأكثر شمولية وهي المترتبة من وحدات على مستوى الكلمة، ونعني بها تلك العبارات التي لا يُفهم معناها الكلي بمجرد فهم معاني مفرداتها، وضم هذه المعاني بعضها إلى بعض. وفي هذه الحالة يُوصف المعنى بأنّه

(١) يُنظر: التعبيرات الاصطلاحية ودورها في إعداد المعجم اللغوي المعاصر، د. باننا بلال شباني:(بحث منشور) ٦٤٩.

(٢) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي: ٥٩/٣(حسك).

(٣) يُنظر: التعبيرات الاصطلاحية ودورها في إعداد المعجم اللغوي المعاصر: ٦٥٠.

تعبري(idiomatic))^(١). ويدخل تحت هذه الوحدة التعبير الاصطلاحي idiom مثل: (ضرب كفا بكف) أي تحير^(٢).

ويُعرّف التعبير الاصطلاحي بأنه: ((نمط تعبري خاص بلغة ما، يتميز بالثبات، ويتكون من كلمة أو أكثر، تحوّلت عن معناها الحرفي إلى معنى مغاير اصطلحت عليه الجماعة اللغوية))^(٣).

ويشمل التعبير الاصطلاحي كلام العرب وما ورد عنهم من الأقوال، والحكم، والأمثال، والشعر، زيادة على آيات القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة^(٤).

ومن التعبيرات الاصطلاحية في جمهرة خطب العرب خطبة معاوية بن أبي سفيان في طلب البيعة ليزيد، عندما أرسل إلى عبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير، فجلسوا عنده، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: ((يا عبدَ الله بنَ عمر: قد كنتَ تحدثنا أنك لا تحب أن تبيتَ ليلةً وليس في عُنقكَ بيعةُ جماعةٍ، وأنَّ لك الدنيا وما فيها. وإنِّي أحذرك أن تشقَّ عصا المسلمين، وتسعى في تفريق ملئهم، وأن تسفك دماءهم، وإنَّ أمرَ يزيد قد كان قضاءً من القضاء، وليس للعباد خيرة من أمرهم، وقد وكَّد الناسُ بيعتهم في أعناقهم. وأعطوا على ذلك عُهودهم ومواثيقهم))^(٥).

استعمل معاوية بن أبي سفيان تقنية التعبير الاصطلاحي (تشقَّ عصا المسلمين) في قوله: (وإنِّي أحذرك أن تشقَّ عصا المسلمين...). ومعناه: تفرّق الجماعة، واستعمل معاوية هذا التعبير في التحذير من الاعتراض على خلافة يزيد، واستثمر معاوية كفاءته التداولية؛ لأنّه متيقن من أنّ المتلقي يُرجّح هذا القصد ويفهمه بالتحديد من دون التفكير في المعنى الحرفي، أي إنّ الخطاب يتمحور على الكفاءة التداولية عند طرفيه.

(١) علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ٣٣.

(٢) يُنظر: نفسه، والصحيفة نفسها.

(٣) التعبيرات الاصطلاحية ودورها في إعداد المعجم اللغوي المعاصر: ٦٥٠.

(٤) التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة، د. محمد محمد داوود: ١٢.

(٥) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢٥٧/٢.

وقال خالد بن صفوان يمدح رجلاً: ((كان والله بديع المنطق، ذَلِقَ^(١) الجُرْأَة، جَزَل الألفاظ، عربيّ اللسان، ثابت الغُفْدَة، رقيق الحواشي، خفيف الشَّقَتَيْن، بَلِيل الريق، رَحْب الشرف، قليل الحركات، خفيّ الإشارات، حُلُو الشمائل، حَسَن الطلاوة^(٢)، حَيًّا جَرِيئًا، قَتُولًا صَمُوتًا، يَفْلُ الحَزَّ^(٣) ويُصِيب المفاصل، لم يكن بالمعذّر^(٤) في منطقهِ، ولا بالزَّمن^(٥) في مُرُوعته، ولا بالخرق^(٦) في خليفته، متبوعًا غير تابع، كأنّه عَلم في رأسه نار))^(٧).

استعمل خالد بن صفوان تقنية التعبير الاصطلاحي في قوله: (كأنّه عَلم في رأسه نار). ف(عَلم في رأسه نار) تعبير اصطلاحي يُلمَح به إلى المعنى أي : إنّه مشهور معروف بارز في قومه، وجرى مجرى المثل وشاع استعماله، إذ تجاوزت كلماته في معناها الأصل إلى معنى آخر، ووظفه المرسل؛ لتحقيق قصده، وهو تعبير يكتسب قوة مؤثرة في النفوس أكثر من القول: هو مشهورٌ معروف، ذكرته الخنساء في رثاء أخيها صخر، وصار مثلاً^(٨). فعبر خالد بن صفوان عن قصده بتقنية التلميح تعويلاً على معرفته بالنتيجة التي امتلكها بكثرة معاشرته اللغوية لأبناء لغته، أي إنّه يدرك أنّ المتلقي يفهم قصده.

(١) ذلق: خروج الشيء من مخرجه سريعاً، وذلق السيف خرج من غمده بسهولة. يُنظر: لسان العرب: ١٠/١٠٢ (ذلق).

(٢) الطَّلاوة بالفتح والضم: القبول. يُنظر: نفسه: ١٥/١٤ (طلي).

(٣) الحَزَّ: القَطْع. يُنظر: متن اللغة: ٢/٧٧ (حز).

(٤) عذّر في الأمر تعذيراً: قصر فيه ولم يجتهد. يُنظر: لسان العرب: ٤/٥٤٦ (عذر).

(٥) أي المُعِيب، والزَّمانَة: ما يُصِيب الإنسان فيُقْعده أي العاهة: يُنظر: مقاييس اللغة: ٣/٢٣ (زمن).

(٦) الخرق: الذي يجهل الأمور ولا يُحسن التصرف فيها. يُنظر: لسان العرب: ١٠/٧٥ (خرق).

(٧) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٣/٢٥.

(٨) البيت من [البسيط]:

وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمَّ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ

والقول: عَلمٌ في رأسه نار، فقديماً، ولكنَّ المحدثين المولّدين قد أولعوا به الآن، فصار مثلاً يُضرب به في ذبوع الشهرة، فيقال: وكأنَّ فلاناً عَلمٌ في رأسه نار. يُنظر: ديوان الخنساء، شرح: حَمْدُو طَمَّاس: ٤٦، ويُنظر: الأمثال المولدة، أبو بكر الخوارزمي: تح: محمد حسين الأعرجي: ٣٠٥-٣٠٦.

المبحث الثاني: الاستراتيجيات البيانية

البيان لغةً ((ما بُيِّنَ به الشيء من الدلالة وغيرها. وبأن الشيء بيَّاناً: انَّصَحَ فهو بيِّنٌ، وأبْنَتْهُ أنا أي أَوْضَحْتُهُ، واستَبَيَّنَ الشيء: ظَهَرَ،... والبيَّانُ: الفصاحة واللسن، وكلامٌ بيِّنٌ فصيح، والبيان الإفصاح مع ذكاء. والبيِّن من الرِّجال السَّمَح اللسان الفصيح الظريف العالي الكلام القليل الرتج))^(١).

أما اصطلاحاً فهو ((هو علمٌ يُعرَفُ به إيرادُ المعنى الواحد بطُرُقٍ مختلفة في وضوح الدلالة عليه))^(٢).

وتداول هذا التعريف بعد تطور مفهوم البيان عند البلاغيين، فقد عقد الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) باباً بعنوان (باب البيان)، وقال: ((والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عزَّ وجلَّ يمدحه، ويدعو إليه، ويحثُّ عليه. بذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت أصناف العجم))^(٣).

وأصبح البيان علماً مستقلاً عند السكاكي، وعزَّفه بقوله: ((وأما علم البيان: فهو معرفة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان؛ ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه))^(٤). ثمَّ عزَّفه الخطيب القزويني (ت ٧٣٤هـ) التعريف المذكور آنفاً^(٥).

وعلم البيان لا يقتصر على الموضوعات البلاغية فقط فيمكن تناوله تداولياً أيضاً، فالبلاغة لم ينته أثرها ولم تفقد كل دررها؛ فهي تمتلك قدرة ذاتية على التجدد والتكيف مع المعارف المعاصرة وحاجات العصر^(٦)، و ((أنَّ العصر الحديث صاغ بلاغة تختلف من حيث منهج البحث فيها وإجراءاته اختلافاً جذرياً عن البلاغة التقليدية. ومع ذلك تظلَّ مشدودة إليها مرتبطة

(١) لسان العرب: ٦٧/١٣-٦٨ (بين).

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تح: د. محمد عبد المنعم خفاجي: ٣٢٦/٢.

(٣) البيان والتبيين: ٧٥/١.

(٤) مفتاح العلوم: ١٦٢.

(٥) يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٢٦/٢.

(٦) التظاهرات التداولية في البلاغة العربية، د. رابع بن خوية: (بحث) ٢١.

بها من حيث التصوّر العام ومحاور البحث ومواطن الاهتمام، مما يشرّع للبحث عن أهم ميزات هذه البلاغة الجديدة^(١)، ويؤكد د. صلاح فضل في كتابه (بلاغة الخطاب وعلم النص) أنّ مناهج البحث الحديثة لم تخرج من إطار البلاغة العام إذ ((تكمن نقطة انطلاق البلاغة الجديدة في اهتمام الفلاسفة المحدثين بمشكلة اللغة وعلاقتها بالفكر مما وصل لنتائج هامة [مهمة] عند المناطقة الجدد. وبلغ ذروته لدى مجموعة أبحاث الأنثروبولوجيا الأدبية واللغوية والاجتماعية حيث أجمع الباحثون على أنّ البلاغة هي الأفق المنشود والملتقى الضروري للتداولية وعلم النص والسيميولوجيا ... فانتقال الاهتمام من الألسنية التي تتركز على اللغة إلى ألسنية الكلام وبروز ظواهر العلاقة بين المرسل والمتلقي في مجال التداولية قد حدا بكثير من علماء اللغة إلى العودة إلى البلاغة^(٢)). ف((تبدأ عملية التخاطب بالاستعمال الذي يقوم به المتكلم وتنتهي بالحمل الذي يعزى إلى المخاطب، ولا يتحقق التخاطب دون لجوء المتكلم إلى مسالك يحاول بها تحقيق غايته أو إيصال مقصوده لمخاطبه، وتتنوع هذه المسالك بتنوّع غاياتها، فثمة المسالك البيانية التي (ترتبط بمراد المتكلم من خطابه أهو البيان كما هو المعتاد أم التضليل كما في الإبهام والتورية؟) ويندرج تحتها المسالك التصريحية والتلميحية، ... ترتبط عملية التخاطب ارتباطاً شديداً بمبدأ البيان الذي يقتضي أن نفترض حرص المتكلم على صوغ كلامه على نحو يتوخى فيه الصدق والدقة ومناسبة المقام التخاطبي، وإذا كانت هذه الشروط ضرورية للإيفاء بمستلزمات المسلك التصريحي؛ فإن التلميح قد يكون خياراً مستحسنًا في كثير من المقامات التخاطبية^(٣)). والاستراتيجية التلميحية كان ميدانها البلاغة لا سيما علم البيان، فتميزت برصد آليات بعض هذه الاستراتيجية وتصنيفها مع التمثيل لها بوصفها موضع الدرس البلاغي، مثل المجاز بأنواعه، والتشبيه والكناية...^(٤). وعرض عبد القاهر الجرجاني للتلميح على مستوى معنى معنى الخطاب، وذلك عند التعبير بالمفهوم عن القصد إذ عقد فصلاً (في اللفظ يُطلق والمراد به غير ظاهره) قال فيه: ((اعلم أن لهذا الضرب اتساعاً وتفقُّناً لا غاية، إلّا أنه على اتساعه يدور

(١) النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، د. محمد الناصر العجيمي: ٥٨٦.

(٢) بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل: ٢٣٢.

(٣) تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٠٢-١٠٠.

(٤) استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٣٧٤.

في الأمر الأعمّ على شيئين الكناية والمجاز^(١). وهذا القول يعني أنّ الموضوعات البلاغية يمكن توظيفها تداولياً فـ(الموضوعات البلاغية: الكناية، الاستعارة، التعريض، التشبيه...) تدخل تحت مسمى (الآليات البلاغية) التي تُعد من الوسائل التي يتّوصل بها إلى الاستراتيجية التلميحية^(٢). ويمكن تسميتها بالتقنيات البيانية وهي:

١- التشبيه:

يُعرّف التشبيه بأنّه ((الدلالة على مشاركة أمرٍ لآخر في معنى))^(٣). ويستدعي التشبيه طرفان؛ لتحقيق القصد منه، هما: المُشبه، والمُشبه به تربط بينهما أداة تشبيه (الكاف، مثل، نحو)، وعلاقة تجمع بين الطرفين (وجه الشبه) أي اشتراكهما (المشبه والمُشبه به) في أوجه مُعينة والافتراق في أمورٍ أخرى؛ لأنّ ((تشبيه الشيء لا يكون إلّا وصفاً له بمُشاركته المُشبه به في أمر، والتي لا يتّصف بنفسه، كما أنّ عدم الاشتراك بين الشيئين في وجه من الوجوه يمنعك محاولة التشبيه بينهما))^(٤). والتشبيه المجمل الذي يغيب فيه وجه الشبه من الاستراتيجيات التي يُلَمَح بها المرسل بقصده من الخطاب، نحو قولك: كيف رأيت ابني في المعركة؟ ويكون الجواب: رأيته كالأسد. والقصد المُستلزم من الخطاب: ولدك شجاع. واستحضر المرسل في هذا الخطاب سمات المُشبه العامة، ثمّ اختار السمة الإضافية وهي الشجاع في هذا الخطاب^(٥).

وبرزت تقنية التشبيه في جمهرة خطب العرب بنسبة كبيرة^(٦)؛ لتحقيق قصد المرسل، من ذلك ذلك خطبة هاشم بن عبد مناف^(٧) في فُرُش وخزاعة حين تنافرا إليه، فخطب بهما بقوله: ((أيها

(١) دلائل الإعجاز: ٦٦.

(٢) يُنظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٣٨٥.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٢٨/٢.

(٤) مُفتاح العلوم: ٣٣٢.

(٥) يُنظر: نفسه: ٣٥٥، وشرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، جلال الدين السيوطي: ٨٨.

(٦) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/٣٢-٣٢، ٤٨-٧٥، ٥٢-٧٩، ٦٣-٩٨، ٨٧-١٣٦، ٢٣٥-٣٤٨، ١٧٥-٢٩٧، ١٥٨-٢٨١، ١٥٠-٢٧٤، ١٤٤-٢٧٠، ٧٥-٢١١، ٧٢-٢٠٦، ٨٩-١٤٢، ٨٧-١٣٦، ٣١٩-٤٢٠، ٣٤٤-٤٤٩، ١٢٣-١٣٤/٢، ٢٠٨-٢٢٢، ٢٥٧-٢٦٧، ٢٧٩-٢٩٣، ٢٩٠-٣٠٢، ٣٨٩-٤٠٤، ٩٩-١٠٨، ١٩-٢٥، ١٧-٢٤/٣، ٤٧٤-٤٩٩، ٤٠٧-٤٢٨.

(٧) هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة، من قریش، وهو جدّ النَّبي مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ولد بمكة (نحو ١٢٧ق.هـ)، انتهت إليه السيادة في الجاهلية، واسمه عمرو، وهاشم لقبه لأنّه أول من=

الناس، نحن آل إبراهيم، وذرية إسماعيل، وبنو النضر بن كنانة وبنو قصي بن كلاب، وأرباب مكة، وسكان الحرم، لنا ذروة الحسب، ومعدن المجد، ولكل في كل حلف^(١) يجب عليه نصرته، وإجابة دعوته، إلا ما دعا إلى عقوق عشيرة، وقطع رحم؛ يا بني قصي: أنتم كغصني شجرة أيهما كسر أوحش صاحبه، والسيف لا يسان إلا بغمده، ورامي العشيرة يصيبه سهمه، ومن أمحكه^(٢) اللجاج أخرجه إلى البغي...^(٣).

أنجز هاشم بن عبد مناف خطابه باستعمال تقنية التشبيه (كغصني شجرة)، في قوله: (يا بني قصي: أنتم كغصني شجرة أيهما كسر أوحش صاحبه). استعمل التشبيه بحرف الكاف؛ لأن غايته التلميح بقصده للمتلقي، وجاء هذا من باب التأدب في خطاب المتلقي، وغاية التشبيه التوجيه وإقناع المتلقي، ويلاحظ في الخطاب حضور طرفي التشبيه: المشبه (بني قصي)، والمشبه به (غصني شجرة) وأداته (الكاف). وغياب وجه الشبه الذي تكمن به الأبعاد التلميحية للتشبيه، إذ يُقصد به ((الصفة الجامعة بين الطرفين: المشبه والمشبه به، فإذا أراد المتكلم أن يعقد تشبيها بين أمرين كان عليه أن يحضر في ذهنه، ويحدد الصفة التي استرعت انتباهه في شيء آخر يكون مُشبهًا به، ويجب أن تكون هذه الصفة بارزة في المشبه به، ويتحتم على المتكلم أن يغض النظر عما في المشبه به من صفات أخرى غير هذه الصفة وعما بين الطرفين من تباين وتباعد^(٤)). أي إن غياب وجه الشبه يعنى الصفة المشتركة بين المشبه والمشبه به مُضمرة غير صريحة. والقصد الضمني في هذا الخطاب: إن القوة والصلابة تكون في اجتماع فُريش وخُزاعة مع بعضهم، وتشبيه هاشم بن عبد مناف بغصن الشجرة؛ لصلابته، بكيفية اجتماع فروعها معا، ويتخيل المتلقي صورة كسر أحد غصنيها يؤدي إلى تشويها؛ لأن الصفة الجامعة بين طرفي التشبيه (بني قصي وغصني الشجرة) هو الصلة القريبة بينهما، وهي القوة المُتمثلة بغصن الشجرة، واجتماع فُريش وخُزاعة يُعطيها قوة الغصن، وأيضا لما في التشبيه بالشجرة عامة من

=هشم الثريد لقومه بمكة في إحدى المجاعات. مات فيها شابا (نحو ١٠٢ق هـ - ٥٢٤م). يُنظر: الأعلام :

٨/ ٦٦، جُمَل من أنساب الأشراف، البلاذري، تح: أ. د. سهيل زكار، ود. رياض زركلي: ٧١/١-٧٣.

(١) الحلف: العقد بين القوم على أن لا يتخاذلوا ولا يغدروا بعضهم. يُنظر: لسان العرب: ٩/٥٤ (حلف).

(٢) المَحْكُ: التمادي في الكلام عند المساومة والغضب. يُنظر: نفسه: ١٠/٤٨٦ (محك).

(٣) جمهرة خُطب العرب في عُصور العربيّة الزاهرة: ٧٥/١.

(٤) عِلَم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان، د. بسيوني عبد الفتاح فيود: ٧١.

حكمة؛ لأنّها لا تكون شجرة إلّا بجذرٍ راسخ، وأصل قائم، وفرع عالٍ، وعرق بني قُصي ونسبهم، وبالعصن؛ لبيان صلة القرابة بين قريش وخزاعة والدليل والقرينة عليه (أيهما كُسِرَ أَوْحَشَ صاحبه). والسياق المقامي استدعى من هاشم بن عبد مناف أن يُلمَح إلى قصده باستعمال استراتيجية التشبيه.

وكانت غاية هاشم بن عبد مناف التأثير في المُتلقّي وتحقيق غاية المرسل من التلميح بتوجيه المُتلقّي وإقناعه بتجنبهم التفرقة، وحثّهم على الاجتماع، ويُعَضِّدُه ، ما تلا التشبيه من ملفوظات (السيفُ لا يُصان إلّا بِغَمْدِهِ، ورامي العشيرة يصيبه سهْمُهُ، ومن أمَحَكُهُ اللجأُ أخرجه إلى البغي). وهذه ملفوظات تُوحى بأهمية التحالف ونبذ الفرقة. والغاية من هذا التشبيه تعود بالنفع على المُتلقّي، وينعكس هذا النفع على المُجتمع بتلاحم أبنائه فيما بينهم، وقد أسر المرسل القلوب واستحوذ على الأذهان، وما يدل على تأثيره بالمُتلقّي موقف المُتلقّي بعد انتهاء الخطبة: (رضينا بك أبا نضلة)^(١) وهي كنيته^(٢).

ومن الخطابات المنجزة بتقنية التشبيه لغرض التلميح خطبة عمرو بن العاص في قضية التحكيم بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية، إذ حمد الله (ﷻ) وأثنى عليه ثم قال: ((...إن هذا قد قال ما سمعتم، وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبتت صاحبي معاوية، فإنه وليّ عثمان بن عفان رضي الله عنه، والطالب بدمه، وأحق الناس بمقامه)). فقال أبو موسى: ((مالك - لا وفقك الله - غدرت وفجرت! إنّما مثلكَ كمثْلُ الكلبِ إن تحمِلَ عليه يلهُثْ، أو تتركه يلهُثْ)) قال عمرو: ((إنّما مثلكَ كمثْلُ الحمارِ يحمِلُ أسْفاراً))^(٣).

أنجز عمرو بن العاص خطابه بتقنية التشبيه التي جاءت في نهايته بعد ردّ أبي موسى

(١) جمهرة خُطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٧٦/١.

(٢) يُنظر: جمل من أنساب الأشراف: ٧١/١.

(٣) جمهرة خُطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٣٩١/١.

الأشعري^(١) عليه بالتشبيه في قضية التحكيم^(٢)، وجاء ردّه مُقابلاً لما قال به الأشعري، الذي شبهه بالكلب بأداة التشبيه (الكاف) (كَمَثَلِ الْكَلْبِ)، في (إِنَّمَا مَثَلُكَ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ، أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ). وهو تشبيه اقتبسه من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣). وجاء بالمشبه به من القرآن الكريم وشبهه بالكلب (إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ، أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ) يفهم من ذلك:

١- إنّه ملازم لحال واحدة.

٢- إنّه بقى على موقفه قبل الاتفاق ولم يغيره

وتمثيل عمرو كان أدق إذ وصف أبو موسى بالحمّار لأنّ الحيلة انطلت عليه فخلع صاحبه في حين هو لم يخلع صاحبه.

وعمر بن العاص أدرك قصد الأشعري من تشبيهه بالكلب، فجاء تشبيهه من القرآن الكريم مُقابلاً لذلك التشبيه بأدواته وجنس المُشبه به، وأدواته (الكاف) في قوله: (كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفًا). اقتبسه من قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٤). وجاء بالمشبه به من القرآن الكريم، وقصده الضمني: إنّ أبا موسى الأشعري لم يعمل بما كُلف به وتخلّى عمّا أراده من خلافة الإمام علي (عليه السلام)، ولم ينتفع بما حدّره به ابن عباس، بل أصبح كالحمّار لا ينتفع بما يحمله على ظهره من الكتب التي تحمل العلوم النافعة، و لا يجني منها إلّا التعب،

(١) عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، من بني قحطان، ولّاه عُمر بن الخطاب على البصرة سنة (٢٠هـ)، وتولى الكوفة في خلافة عثمان بن عفان حتى قُتل عثمان، واختاره الإمام علي (عليه السلام) من حزبه بصفين في قضية التحكيم، وقد تخلّى عن خلافة الإمام علي (عليه السلام) عندما خدعه عمرو بن العاص بتخليه عن معاوية. يُنظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف عبد الله مُحمّد عبد البر، تح: مُحمّد علي البجاوي: ١٧٦٢/٣-١٧٦٤.

(٢) يُنظر: وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، تح: عبد السلام مُحمّد هارون: ٥٣٣/٢-٥٤٠، ومروج الذهب: ٢٧٦/٢.

(٣) الأعراف: ١٧٦.

(٤) الجمعة: ٥.

وأبو موسى الأشعري له علم ولم ينتفع بعلمه^(١). ويوحى هذا التشبيه بالخداع والحيلة التي استطاع بها عمرو بن العاص تثبيط حكم معاوية والتسليم بخلافته^(٢). وحال المُتلقّي القبول بهذا الأمر.

٢- التمثيل:

يُعدّ التمثيل من الفنون البيانية التي تترك أثراً أقوى من التشبيه في نفس المتلقي، وعلاقتها علاقة العموم والخصوص، وهذا ما قال به عبد القاهر الجرجاني: ((أَنَّ التشبيه عام، والتمثيل أخص منه، فكلّ تمثيل تشبيه، وليس كلّ تشبيه تمثيلاً))^(٣). حتى أنّ ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) لم يفرّق بين التشبيه والتمثيل، وجعلهما شيئاً واحداً، وصرّح بذلك قائلاً: ((وجدتُ علماء البيان قد فرّقوا بين التشبيه والتمثيل، وجعلوا لهذا باباً مُفَرِّداً؛ ولهذا باباً مُفَرِّداً؛ وهما شيءٌ واحدٌ لا فرق بينهما في أصل الوضع؛ يقال: شَبَّهْتُ هذا الشيءَ بهذا الشيءِ؛ كما يقال: مثَّلْتُه به))^(٤). وأثبتت بعض الدراسات ((أنّ ما رآه عبد القاهر الجرجاني أقرب إلى الدقة؛ لأنّ وجه الشبه في التمثيل لا يكون إلا عقلياً، يحتاج من المتلقي أن يجهد نفسه، ويفكر حتى يصل إليه، فالتمثيل لا يعني المشابهة بين طرفين كما يظنّ ابن الأثير، بل يعني المماثلة بين علاقيتين، تستدعي من المتلقي أن يميّط اللثام عن وجه الشبه المطوي في عناصر الصورة التمثيلية؛ لأنّ مضمونه يمثل معلومة جديدة يستخلصها المتلقي من تلك الصورة التمثيلية بتأملٍ وتأويلٍ عقلي))^(٥). ومن السياق يُمكن فهم قصد المرسل من استعمال التمثيل، ويمكن عدّه من الاستراتيجيات التلميحية التي يستعملها المرسل؛ للتأثير في المتلقي.

وتقنية التمثيل كانت أقلّ توظيفاً في جمهرة خطب العرب من التشبيه^(٦)، ومن أمثلتها خطبة

(١) يُنظر: الكشف عن حقائق التّزليل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، الرّمخشري، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمّد معوض: ١١١/٦.

(٢) يُنظر: وقعة صفين: ٥٤٦/٢.

(٣) أسرار البلاغة، الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر: ٩٥.

(٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تح: د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة: ١١٥/٢.

(٥) الججاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام)، أ.د. عايد جدّوع حنون: ١٧٠-١٧١.

(٦) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية: ١/٢٠٧-٧٣، ٢١١-٧٥، ٤٢٤-٣٢٢، ١٩٥/٢-١٧٠، ٢٩١-٢٧٧، ٣١٦-٣٠٤، ٣٧١-٣٦٣، ٩٦/٣-٨٥، ١٠٦-٩٧.

عبد الملك بن صالح^(١) بعد خروجه من السجن، ذكر فيها ما فعله هارون العباسي به، جاء فيها ((والله إن الملك لشيء ما نَوَيْتُهُ، ولا تَمَنَيْتُهُ، ولا نَصَبْتُ له ولا أَرَدْتُهُ، ولو أَرَدْتُهُ لَكَانَ إِلَيَّ أَسْرَعُ من الماء إلى الحَدُورِ^(٢)، ومن النار إلى يَبَسِ العَرَفَجِ^(٣)، وإني لمأخوذ بما لم أَجِنِ، ومسئول^(*) عما لا أعرف، ولكنه حين رآني للملك قَمِينًا^(٤)، وللخليفة خَطِيرًا^(٥)، ورأى لي يَدًا تنالها إذا مُدَّتْ، وتبلغها إذا بُسِطَتْ، ونفسا تكمل لخصالها، وتستحقها بفعالها، وإن كنت لم أَخْتَرِ تلك الخصال... وسواءً عليه عاقبني على جمالي، أم عاقبني على محبة الناس لي، ولو أَرَدْتَهَا لَأَعَجَلْتَهُ عن التفكير، وشَغَلْتَهُ عن التدبير، وَلَمَّا كان فيها من الخطب إلا اليسير))^(٦).

أنجز عبد الملك خطابه باستعمال تقنية التمثيل في قوله: (والله إن الملك لشيء ما نَوَيْتُهُ، ولا تَمَنَيْتُهُ، ولا نَصَبْتُ له ولا أَرَدْتُهُ، ولو أَرَدْتُهُ لَكَانَ إِلَيَّ أَسْرَعُ من الماء إلى الحَدُورِ، ومن النار إلى يَبَسِ العَرَفَجِ). مثَّل عبد الملك الخلافة بالنسبة إليه بصورتين تمثيليتين، الأولى (لو أَرَدْتُهُ لَكَانَ إِلَيَّ أَسْرَعُ من الماء إلى الحَدُورِ)، وشبه الخلافة بالماء الجاري إلى المكان الأسفل من الأرض من دون أن يُحدد وجه الشبه الذي يربط بين إرادته (إرادة الملك)، وسرعة الماء إلى الحَدُورِ بل تركه مطلقاً، والغاية من هذا الإطلاق دفع المتلقي إلى البحث عن العلاقة الرابطة بين

(١) عبد الملك بن صالح بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب، أبو عبد الرحمن الأمير، وأمّه أم ولد جارية لمروان بن محمد الحمار فشاها صالح بن علي، ولّاه هارون العباسي إمرة دمشق وبعدها مصر، وحبسه بعد أن وشي به الناس بفساد نيته له، ثم أطلقه ابنه المعروف بالأمين بعد أن أخذ منه عهداً بآلا يطيع المأمون مادام الأمين حياً، وولّاه إمارة الشام والجزيرة، وتوفي قبل قتل الأمين ودفن في دار الإمارة بالرقّة سنة (١٩٦هـ)، لما خرج المأمون يريد الروم أرسل إلى ابن عبد الملك: حَوِّلْ أَبَاكَ من داري، فنبتت عظامه وحُوِّلَتْ. يُنظر: فوات الوفيات والذيل عليها، محمد بن شاکر الكتبي، تح: د. إحسان عباس: ٣٩٨/٢-٤٠١، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٩٠/٢-٩٢.

(٢) الحَدُور: الهَبُوط، الموضع المُنْحَدِرُ: اسم مقدار الماء في انحدار صبيه. يُنظر: تاج العروس من جواهر القاموس، تح: علي هلالي: ٢٤٤/٢ (حدر).

(٣) العرفج: شجرٌ سريع الاشتعال بالنار، لهيبه شديد الحمرة، وهو من نبات الصيف. يُنظر: لسان العرب: ٣٢٣/٢ (عرفج).

(*) كذا، والصواب: مسؤول.

(٤) قمين: حَرِيٌّ وَخَلِيقٌ وَجَدِيرٌ. يُنظر: نفسه: ٣٤٧/١٣ (قمن).

(٥) الخَطَرُ: ارتفاعُ القَدَرِ، والمال، والمنزلة. وَرَجُلٌ خَطِيرٌ: له قَدَرٌ. يُنظر: متن اللغة: ٢٩٧/٢-٢٩٨ (خطر).

(٦) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٩٦/٣-٩٧.

العلاقتين، ويذهب به الخيال إلى المنحدرات في الجبال وغيرها، ويستحضر المنظر في ذهنه، ثم يبحث عن أوجه الشبه التي تربط بين إرادة المُلْك وسرعة الماء إلى المكان المنخفض.

والثانية: (ومن النار إلى يَبَس العَرْفَج). شبه عبد الملك الخلافة وسرعتها إليه بسرعة النار إلى شجر العرفج اليابس من دون أن يُحدد وجه الشبه الذي يربط بين إرادة الخلافة، وسرعة اشتعال النار في شجر العرفج، بل تركه مطلقاً، والغاية التلميحية من هذا الإطلاق دفع المتلقي إلى البحث عن العلاقة الرابطة بين العلاقتين، ويذهب به الخيال إلى شجر العرفج عند اشتعاله وسرعة لهيبه، ويستحضر الصورة في ذهنه، ثم يبحث عن أوجه الشبه التي تربط بين إرادة الخلافة وسرعة النار بشجر العرفج خاصة؛ لدقة فروعها ما يؤدي إلى سرعة لهيبها في النار.

٣- الاستعارة:

الاستعارة هي: ((أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعيًا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالا على ذلك بأثباتك للمشبه ما يخص المشبه به كما تقول: في الحمام: أسدٌ وأنت تريد به الشجاع، مدعيًا أنه من جنس الأسود، فتثبت للشجاع ما يخص المشبه به))^(١).

وهي تعني المعنى غير المباشر للفظ الظاهر وقد ((توصل سيرل إلى أن القول الحقيقي يكمن في وجوده في التطابق بين معنى الملفوظ وما يقصده المتكلم وما يفهم من السامع، والاستعارة على نقيض ذلك، فحرفية الملفوظ ليست مقصودة في ذاتها، بل المقصود ما يفضي به هذا المعنى الحرفي إلى معنى آخر بقرينة سياقية))^(٢).

وردت تقنية الاستعارة بنسبة قليلة^(٣) في جمهرة خطب العرب، منها ما جاء في جواب عبد الله بن عباس^(٤) على مقال معاوية عندما توعد بني هاشم: ((والله إن رمت ذلك يا معاوية لتُثِيرَنَّ

(١) مفتاح العلوم: ٣٦٩.

(٢) النظرية البراجماتية اللسانية التداولية دراسة في المفاهيم والنشأة والمبادئ، د. محمود عكاشة: ١٠٨.

(٣) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/١٣٠-٨٣، ٢٩٥-١٧٣، ٣٣٩-٢٢٩،

٢/٢٤٢-٢٢٩، ٢٨٨-٢٧٦، ٣٥٢-٣٤٢، ٣٥٣-٣٤٣، ٢٩٥-٢٨٠، ٣/٢٥-٢٠، ٢٨-٢٥، ٣١-٢٧، ١٢٠-١١١.

(٤) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب الهاشمي، أبو العباس، ابن ابن عم النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) العباس بن عبد المطلب، يُلقب بالبحر لسعة علمه، و بحبر

أُسْدًا مُخْدِرَةً، وَأَفَاعِي مُطْرِقَةً، لَا يَفْتَوُّهَا كَثْرَةُ السِّلَاحِ، وَلَا تَعَضُّهَا نَكَايَةُ الْجِرَاحِ، يَضَعُونَ
أَسْيَافَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ، يَضْرِبُونَ قُدَمًا قَدَمًا مِنْ نَاوَاهُمْ، يَهْوَنُ عَلَيْهِمْ نُبَاحُ الْكِلَابِ، وَعُجُوءُ
الذُّنَابِ، لَا يُفَاتُونَ بَوْتَرٍ، وَلَا يُسَبِّقُونَ إِلَى كَرِيمِ ذَكَرٍ، قَدْ وَطَّنُوا عَلَى الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ، وَسَمَتَ
بِهِمْ إِلَى الْعِلْيَاءِ هَمَمُهُمْ... فَلَتَكُونَنَّ مِنْهُمْ بَحِيثٌ أَعْدَدَتْ لَيْلَةَ الْهَرِيرِ لِلْهَرَبِ فَرَسُكَ، وَكَانَ أَكْبَرُ
هَمِّكَ سَلَامَةَ حُشَّاشَةِ نَفْسِكَ، وَلَوْلَا طَعَامٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَقَوْكَ بِأَنْفُسِهِمْ، وَبَذَلُوا دُونَكَ مُهْجَهُمْ،
حَتَّى إِذَا ذَاقُوا وَخَرَ الشَّفَّارِ، وَأَيَقَنُوا بِحُلُولِ الدَّمَارِ، رَفَعُوا الْمَصَاحِفَ مُسْتَجِيرِينَ بِهَا، وَعَائِذِينَ
بِعَصْمَتِهَا، لَكُنْتَ شَلُّوا مطروحا بالعراءِ، تَسْنِي عَلَيْكَ رِيَاخُهَا، وَيَعْتُورُكَ ذُنَابُهَا، وَمَا أَقُولُ هَذَا أُرِيدُ
صَرْفَكَ عَنْ عَزِيمَتِكَ، وَلَا إِزَالَتِكَ عَنْ مَعْقُودِ نَيْتِكَ، لَكِنِ الرَّحِمَ الَّتِي تَعْطِفُ عَلَيْكَ، وَالْأَوَاصِرَ الَّتِي
تَوْجِبُ صَرْفَ النَّصِيحَةِ إِلَيْكَ))^(١).

أنجز عبد الله بن عباس خطابه، باستعمال تقنية الاستعارة للتلميح إلى قصده، ومن
الاستعارات التي ذكرها: (أُسْدًا مُخْدِرَةً) في قوله: (والله إن رمّت ذلك يا معاوية لتُثِيرَنَّ أُسْدًا
مُخْدِرَةً، أَفَاعِي مُطْرِقَةً) والمعنى الضمني المفهوم من السياق لهذه الاستعارة: هو الصولة
الشجاعة، هي الصفة المشتركة بين طرفي الاستعارة، وأراد التلميح إلى سمة الشجاعة، واستعار
الأُسْدَ؛ لأنها السمة البارزة فيهم والقصد الضمني: أن يكفَّ معاوية عما نوى عليه ببني هاشم
بمحاربتهم وتهديدهم؛ لأنَّ هذا يؤدي إلى خروجهم لمواجهة والوقوف بوجهه بقوة لجرأتهم
وشجاعتهم التي يشبهون بها الأسد، ووجه الصلة بين الأسد والشجاع هو المُشَابَهَةُ.
و(أَفَاعِي مُطْرِقَةً) استعارة و الصفة المشتركة فيها: هي الشراسة في الدِّفَاعِ عن النفس، والقصد
الضمني لها: التَّحْذِيرُ مِنَ التَّعْدِي عَلَيْهِمْ؛ لأنَّهم يدافعون عن أنفسهم، ولهم قدرة بارعة في
الحروب والمواجهة، وقدرة على التضيق على العدو في حال شعروا بخطر يقترب منهم. وقد أراد

الأمة = وترجمان القرآن، وفقه العصر، ولد قبل عام الهجرة بثلاث سنين، دعا له النبي محمد(صلى الله عليه
 وآله وسلم) بالحكمة والتفقه بالدين والتأويل، وروي أكثر أحاديث النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، تُوفي
 سنة (٦٧ أو ٦٨ هـ وقيل ٧٠ أو ٧١ هـ). يُنظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة: ١٨٥/٣-١٨٦، والعقد الثمين في
 تاريخ البلد الأمين: ١٩٠/٥-١٩٢.

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١٠٩/٢-١١٠.

هنا الابتعاد عن الصفة السيئة (الخداع والحيلة) التي اتصفت بها الأفعى. وتضمن الكلام لهذه الاستعارات جعله أجود الكلام وأروع وذات تلميح شديد.

والملمح لهذه الاستعارات القرائن السياقية، واختار ابن عباس قرائن سياقية عدة تناسبت وحال المتلقي، وهذه القرائن: (لَا يَفْتُوها كَثْرَةُ السِّلَاحِ)، (لَا تَعْضُها نَكَايَةُ الجِرَاحِ)، (يَضْعُون أَسِيافَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ)، (يَضْرِبُونَ قَدُما قَدُما مِنْ نَواهِمِ)، (يَهْوَن عَلَيْهِمْ نُبَاحُ الكِلَابِ، وَغَوَاءُ الذَّنَابِ)، (لَا يُفَاتُونَ بِوَتَرٍ)، (لَا يُسَبِّقُونَ إِلَى كَرِيمِ ذَكَرٍ)، (قَدْ وَطَّنُوا عَلَى المَوْتِ أَنْفُسَهُمْ)، (سَمَتَ بِهِمْ إِلَى العِلْيَاءِ هَمَمُهُمْ)؛ لأنَّ الاستعارة ((ليست مجرد انحراف لفظي لكلمات معينة، إنما هي كذلك تفاعل بين السياقات المختلفة))^(١). وساعد السياق المقامي المتلقي في فهم قصد ابن عباس من هذه الاستعارات، وما قصده التلميح لمعاوية بتجنب ما نوى عليه من الأفعال إذ قال في حوار مع ابن عباس: ((إِنَّ فِي نَفْسِي مِنْكُمْ لَحَزَازَاتٍ يَا بَنِي هَاشِمٍ، وَإِنِّي لَخَلِيقٌ أَنْ أُدْرِكَ فِيكُمْ الثَّارَ، وَأَنْفِي العَارَ، فَإِنَّ دِمَاعَنَا قَبْلَكُمْ، وَظُلَامَتُنَا فِيكُمْ))^(٢). التي تؤدي إلى إثارة بني هاشم ومواجهتهم، لمعرفة بهم وشجاعتهم وحذره من هذا الأمر من باب النصيح، والدليل قوله: (وما أقول هذا أريد صَرْفَكَ عَنْ عَزِيمَتِكَ، وَلَا إِزَالَتَكَ عَنْ مَعْقُودِ نَيْتِكَ، لَكِنْ الرَّحِمَ الَّتِي تَعْطِفُ عَلَيْكَ، وَالْأَوَاصِرَ الَّتِي تَوْجِبُ صَرْفَ النَّصِيحَةِ إِلَيْكَ). واستعمل ابن عباس تقنية الاستعارة لأنَّ ((الفكرة التي تُعبّر عنها الاستعارة هي غالبا فكرة لا يُمكن للقائل التعبير عنها حرفيا بسبب شِدَّة تعقيدها))^(٣). ومعاوية صاحب السُّلطة وأراد ابن عباس أَنْ يُثْنِيه عَمَّا عَزَمَ عَلَيْهِ، فَأَوْصَلَ فِكْرَتَهُ بِتَقْنِيَةِ الاستعارة؛ لِأَنَّهَا تَتَمَيَّزُ بِالتَّصْوِيرِ وَالْإِثَارَةِ وَالْوُضُوحِ وَتَقْرِيبِ الفكرة بِشَكْلِ أَكْثَرِ مِنَ الْقَوْلِ الْحَقِيقِيِّ^(٤).

ومن الخطابات المنجزة بتقنية الاستعارة، خطبة أبي موسى الأشعري عندما كاتبه الإمام علي(عليه السلام) ليستنفر الناس لقتال عائشة ومن معها، فثبطهم وخطبهم، فقال: ((أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ صَحَبُوهُ فِي الْمَوَاطِنِ، أَعْلَمُ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ

(١) الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، الأبعاد المعرفية والجمالية، د. يوسف أبو العدوس: ١٠٧.

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١٠٩/٢.

(٣) التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ١٩٤.

(٤) يُنظر: النظرية البراجماتية اللسانية التداولية: ١٠٧.

وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ممن لم يصحبه، وإن لكم علينا حقاً، فأنا مؤدّيه إليكم، كان الرأي ألا تستخفوا بسلطان الله عز وجل، ولا تجترئوا على الله عز وجل، وكان الرأي الثاني أن تأخذوا من قدم عليكم من المدينة فتردوهم إليها، حتى يجتمعوا، وهم أعلم بمن تصلح له الإمامة منكم، ولا تكلفوا الدخول في هذا، فأما إذ كان ما كان، فإنها فتنة صماء، النائم فيها خير من اليقظان، واليقظان فيها خير من القاعد. والقاعد خير من القائم، والقائم خير من الراكب، فكونوا جرثومة من جراثيم العرب، فأغمدوا السيوف، وأنصلوا الأسنة، واقطعوا الأوتار، وآووا المظلوم والمضطهد، حتى يلتئم هذا الأمر، وتنجلي هذه الفتنة^(١).

أنجز أبو موسى الأشعري خطابه، بتقنية الاستعارة للتلميح إلى قصده، وقد وردت هذه الاستعارة في موضعين من هذا الخطاب، الأولى: (فتنة صماء) في قوله: (إنها فتنة صماء، النائم فيها خير من اليقظان،...) وهي استعارة مكنية شبه فيها الفتنة بالإنسان، وحذف المشبه به وذكر ما لزم منه (صماء)، وقال فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ): ((الاستعارة، ذكر الشيء باسم غيره، وإثبات ما لغيره له، لأجل المبالغة في التشبيه))^(٢). والقصد الضمني لقول أبي موسى الأشعري يتمثل في تثبيط المتلقي عن المشاركة في معركة الجمل؛ لأنه يرى أنها فتنة لا يميز فيها الحق من الباطل، ولا مخرج لهم منها؛ لأن طرفيها من المسلمين. وجاء بالاستعارة؛ لغرض المبالغة في تحقيق الشبه، وأراد أن يثبت أن عواقب هذه المعركة ليست محمودة. والملمح إليها القرائن اللفظية التي جاءت في هذا القول: (النائم فيها خير من اليقظان، واليقظان فيها خير من القاعد. والقاعد خير من القائم، والقائم خير من الراكب).

والاستعارة الثانية: (جرثومة^(٣) من جراثيم العرب) في قوله: (فكونوا جرثومة من جراثيم العرب،...). والقصد الضمني لهذه الاستعارة يتمثل في جعل المتلقي كحوض دافئ يأوي إليه كل ضعيف، وأبعادهم عن المشاركة في هذه المعركة، وأخذ موقف المشاهد.

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢٩٦/١.

(٢) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تح: د. نصر الله حاجي مفتي أوغلي: ١٣٣.

(٣) الجرثومة: الأصل، وجرثومة كل شيء أصله ومُجْتَمَعُه. يُنظر: لسان العرب: ٩٥/١٢ (جرثم).

٤- الكناية:

عرّفها الجرجاني بـ((أن يُريد المُتكلّم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللّغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ إليه ويَجعله دليلاً عليه))^(١). أي إنّ الكناية ترتبط بقصدية المرسل؛ لتحقيق غايته بالوصول الى المعنى الضمني المراد بالتلميح إليه وإخفاء وجه التصريح؛ لأنّ الكناية ((هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما تقول: فلان طويل النجاد، لينتقل منه إلى ما هو ملزومه، وهو طول القامة، وكما تقول: فلانة نؤوم الضّحي، لينتقل منه إلى ما هو ملزومه، وهو كونها مخدومة، غير محتاجة إلى السعي بنفسها في إصلاح المهمات، وذلك أن وقت الضّحي وقت سعي نساء العرب في أمر المعاش وكفاية أسبابه، وتحصيل ما تحتاج إليه في تهيئة المتناولات وتدبير إصلاحها، فلا تنام فيه من نسائهم إلّا من تكون لها خدم ينوبون عنها في السعي لذلك))^(٢).

وبرزت الكناية في جمهرة خطب العرب بنسبة كبيرة^(٣) من ذلك قول رجل من كلب عندما شبت الفتنة في جيش عبد الملك بن صالح ، فقام الرجل وقال: ((يا معشر كلب، إنها الراية السّوداء، والله ما ولّت ولا عدّلت، ولا ذلّ نصرها، ولا ضعف وليها، وإنكم لتعرفون مواقع سيوف أهل خراسان في رقابكم، وآثار أسنّتهم في صدوركم، اعتزلوا الشر قبل أن يعظم، وتخطّوه قبل أن يضطرم، شامكم، داركم داركم، الموت الفلّسطيني خير من العيش الجزريّ، ألا وأني راجع فمن أراد الانصراف فلينصرف معي))^(٤).

ابتدأ المرسل خطابه باستعمال أسلوب النداء؛ لما له من قوة تأثيرية في جذب انتباه المتلقي وإيقاظه من غفلته، ثم تأكيد الكلام الذي يليه بـ(إنّ)؛ لتحقيقه الموقف وتجسيده أمام عينيه بزحف

(١) دلائل الإعجاز: ٦٦.

(٢) مفتاح العلوم: ٤٠٢.

(٣) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/١٨-٧، ٢٥٢-١٢١، ٢٧١-١٤٥، ٢٧٨-١٥٦، ٢٩٦-١٧٤، ٤٢٧-٣٢٥، ٤٣٠-٣٢٧، ٤٣٦-٣٣٤، ٤٤٣-٣٤٢، ٧٩-٧٠، ٨٣-٧٦، ١٠٨-١٠٥، ١٠٩-١٠٨، ١٣٦-١٢٤، ١٧٧-١٤٨، ١٩٢-١٦٦، ٢٦٦-٢٥٦، ٢٩١-٢٧٧، ٤٠٧-٣٩٢، ٣ / ٣١-٢٧، ٤٦-٤٥، ١١٢-١٠٣، ١١٦-١٠٧، ١٣٠-١٢١، ١٤٤-١٣٢.

(٤) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٣/١١٢-١١٣.

الجيش حاملين الرايات السود، ثُمَّ قَالَ: ((إِنهَا الرَايَةُ السَّوْدَاءُ)) وفي هذا القول كناية عن الجنود الخرسانية التي تقاوم الأمويين في سبيل نشر الدعوة العباسية، وكانوا يحملون الرايات السود. والمقصد الضمني: إن عليكم الفرار قبل أن تقعوا تحت حدّ سيوف الجنود الخرسانية التي لا تخطأ في وقعها. وهذا يدل على بلاغة الخطاب بالكناية وما تضيفه على معانيه من قيمة جمالية وتزيدها قوة، ويؤكد هذا قول الجرجاني: ((قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح))^(١). وغايته تصبُّ في مصلحة المتلقي بدليل قوله: ((اعتزلوا الشر قبل أن يعظم، وتخطّوه قبل أن يضطرم، شامكم، داركم داركم، الموت الفلّسطيني خير من العيش الجزري، ألا وأني راجع فمن أراد الانصراف فلينصرف معي)). وحال المتلقي الطاعة والقبول بالانصراف عن المواجهة إذ سار الرجل وسار معه عامة أهل الشام^(٢).

ومن الخطابات المنجزة بتقنية الكناية خطبة يوسف بن عُمر النّقي^(٣) بأهل الكوفة بعد قتل زيد بن علي، صعد المنبر وقال: ((يا أهل المدرة الخبيثة: إني والله ما تقرن بي الصّعبة، ولا يقف لي بالشّنان، ولا أخوف بالذنب، هيهات! حبيث بالسّاعد الأشدّ. أبشّروا يا أهل الكوفة بالصّغار والهوان، لا عطاء لكم عندنا ولا رزق، ولقد هممت أن أخرب بلادكم ودوركم، وأحرمكم أموالكم، أما والله ما علوت منبري إلّا أسمعكم ما تكرهون عليه، فإنكم أهل بغي وخلاف، ما منكم إلّا من حارب الله ورسوله إلّا حكيم بن شريك المحاربي، ولقد سألت أمير المؤمنين أن يأذن لي فيكم، ولو أذن لقتلت مقاتلتكم وسبيت ذراريكم))^(٤).

استعمل يوسف بن عُمر النّقي في هذا الخطاب تقنية الكناية في أكثر من موضع، منها: ((المدرة الخبيثة)) والمعنى الضمني لهذه الكناية هو الأصل والخلق الخبيث لأهل الكوفة، لما

(١) دلائل الإعجاز: ٧٠.

(٢) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١١٣/٣.

(٣) يوسف بن عمر بن مُحمّد بن الحكم بن أبي عقيل النّقي، ابن عم الحجاج بن يوسف النّقي، وُلد هشام بن عبد الملك على اليمين سنة ١٠٦هـ، ثُمَّ وُلد العراق سنة ١٢٠هـ بعد عزل خالد بن عبد الله القسري، مات سنة (١٢٧هـ). يُنظر: جُمْل من أنساب الأشراف ٩/١٠٠-١٠٣، وُغُرر الخصائص الواضحة وُغُرر النقائض الواضحة، ابن الوطواط، تح: إبراهيم شمس الدّين: ٨٢.

(٤) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٣٢٥/٢.

عُرِف عنهم من الغدر والخداع - بحسب وصفه -، واستعمل يوسف بن عمر لفظ المَدْرَة^(١) في غير المعنى اللغوي الموضوع لهذا اللفظ، وبه حقق مُرادَه بالتلميح لقصده، فهو كنى عن أهل الكوفة (يا أهل المدرة الخبيثة) عن منازلهم المبنية من المدر بوصفها بالخبت بإرادة أهلها المسومين بصفة الغدر والخباثة.

والكناية الثانية (ما تَقَرَّنَ بي الصعبة) كناية عن صفة الغلبة والعزة التي هو عليها، ولا يستطيع أي أحد أن يذله أو يُخضعه له، وهو غالبٌ مُذَلٌّ لِمَن تعرَّض له بِشر، قاهرٌ خصمه. وهذه الكناية مقتبسة من المثل (لا تُقَرَّنُ بِه الصَّعْبَةُ)^(٢) أخفى بها يُوسف بن عمر وجه التصريح بقصده بالتلميح إليه وابتعد عن المعنى اللغوي المباشر المقصود من الصعبة، التي يعني بها الناقة التي لم تُروَّض، وتُقَرَّن مع البعير الذليل فتؤذيه بصعوبتها وشراستها وما أرادَه يُوسف بن عمر التقفي أن لا يكون مثل هذا البعير الذلول في عجزه وذله.

ومن الكنايات الأخرى التي جاء بها يُوسف بن عمر في خطابه قوله: (ولا يُفَعِّعُ لي بالشَّنَّان) والقصد الضمني لهذه الكناية هي صفة الشجاعة التي نسبها إلى نفسه، وأخفى يُوسف بن عمر المعنى الظاهر للشنان الذي يعني القرية البالية التي يُصدر منها صوت؛ لنفر الإبل وأفزاعها، وجاء يُوسف بن عمر التقفي بهذا التعبير المقتبس من المثل (لا يُفَعِّعُ لَهُ بالشَّنَّان)^(٣) وهو من واقع البيئة البدوية التي يعرفها العراقيون في نظام حياتهم اليومي؛ ليبين لهم واقع الحال وأنه الشرس الصعب الذي لا يخاف ولا يفزع من أي تهديد مهما كان^(٤) فأثبت صفة الشجاعة لنفسه. و ((ليس المعنى إذا قلنا إن الكناية أبلغ من التصريح أنك لما كُنيت عن المعنى زدت في ذاته، بل المعنى أنك زدت في إثباته، فجعلته أبلغ وأكَّد وأشدَّ))^(٥). وفي قوله: (ولا أخوف بالذنب) كناية عن أن ما يفعله أهل الكوفة عواء لا يصدر عنه أي فعل - بحسب وصفه -، وهو قادرٌ على الوقوف بوجههم وأن يُخرس أصواتهم. وفي قوله: (حُبِيتُ

(١) المَدْرُ: هو الطَّيْن اللَّزْجُ المُتَماسِك، والمَدْرَةُ القطعة منه، وبنو مَدْرَاء: أهل الحَضَر، لأنَّ بيوتهم مبنية بالمدر خلاف البدو سكان الخيام. يُنظر: لسان العرب: ١٦٢/٥ (مدر).

(٢) يُنظر: المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري: ٣٢٠/٢.

(٣) يُنظر: نفسه: ٢٧٤/٢.

(٤) يُنظر: البيان في خطب الحجاج: ٦٤.

(٥) دلائل الإعجاز: ٧٠.

بالساعد الأشدّ) كناية عن القوة والنفوذ التي يَتَمَتَّعُ بها والتي تخوِّله القيام بتلك الأفعال، وهذه القوة والنفوذ هي ما منحه إياه قُربه من صاحب السُّلطة السياسية هشام بن عبد الملك.

واستَرسِلَ يُوسُفُ بنَ عمر بِخِطابه باستعمال الكناية(أَبْشُرُوا يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ بِالصَّغَارِ وَالْهَوَانِ) والمعنى الضمني لها هو تحقير المُتَلَقِّي المباشر، وتصغيره، وإِذلاله بالأقوال والأفعال، وهذا القصد يدل عليه ما تلا هذه الكناية من ملفوظات تُوحي بهذا المعنى، وتمثّلت أفعاله التي يذللهم بها بقوله: (لَا عِطَاءَ لَكُمْ عِنْدَنَا وَلَا رِزْقَ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُخْرِبَ بِلَادَكُمْ وَدُورَكُمْ، وَأُحْرِمَكُمْ أَمْوَالَكُمْ... وَلَوْ أَدْنَى لَقَتَلْتُ مَقَاتِلَكُمْ وَسَبَيْتُ ذُرَارِيَكُمْ)، وإِذلالهم بالقول نجده في قوله:(أما والله ما علوت منبري إلّا أسمعكم ما تَكْرهون عليه).

ويُلاحظ في هذا الخِطاب أنّ الكنايات الواردة فيه جاءت من باب التهريب والتهديد، وهو خِطاب مُبْطَنٌ لم يُصْرَحْ يوسُفُ بنَ عمر بمعناه الصريح؛ لفرض سلطته على المُتَلَقِّي، وبذل عليها بداية الخِطاب التي خلت من ذكر الله(ﷻ)، والاستهلال بالذات الإشارية(إني) وتفرعت عنها الكنايات التي حملت صفات أثبتتها لنفسه من الشجاعة والعزة والقوة، والتقليل من شأن المُتَلَقِّي بافتتاح خِطابه بأسلوب النداء(يا أهل المدرة الخبيثة)، ثمّ (يا أهل الكوفة) فناداهم بالمكان؛ لأنّه جعل الغدر والخُبث ملازما لهذا المكان (الكوفة) وفي هذا النداء تقليل من شأنهم. والسياق المقامي هو الذي جعل المُتَلَقِّي يفهم المعنى المُقصود من تلميح يوسُفُ بنَ عمر، وكان المُتَلَقِّي خاضعا بالقبول والطاعة له بعد مقتل زيد بن علي(عليه السلام) عندما خرج على يوسُفُ بنَ عمرو لِإِنتِقادِ أَهْلِ الْكُوفَةِ من تسلّط بني أمية، وكانت نتيجة خروجه استشهاده(عليه السلام)^(١). وهذه الحال تؤثر بالمُجتمع بالسكوت عن الحق واستمرار الباطل.

٥: التعريض:

اختلط مفهوم التعريض بالكناية عند بعض علماء البلاغة، وذكر السكاكي التعريض في أثناء حديثه عن الكناية، بقوله:((الكناية تتفاوت إلى تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء، وإشارة))^(٢). أي إنّ التعريض قسم من أقسام الكناية.

(١) يُنظر: جُمْل من أنساب الأشراف: ١٠٢/٩، ١٣٠.

(٢) مفتاح العلوم: ٤٠٣.

وفي موضع آخر يقول: ((واعلم أنَّ الكناية في القسم الثاني(المطلوب به نفس الصفة)، والثالث(المطلوب بها نسبة)، تارة تكون مسوقة لأجل الموصوف المذكور، كما تقول: فلان يصلي ويصوم، وتتوصل بذلك إلى أنَّه مؤمن، وفلان يلبس الغيار، وتريد: أنَّه يهودي. وتارة تكون مسوقة لأجل موصوف غير مذكور، كما تقول: في عرض من يؤذي المؤمنين: المؤمن هو الذي يصلي ويزكي ولا يؤذي أخاه المسلم، وتتوصل بذلك إلى نفي الإيمان عن المؤذي، وكقوله علت كلمته في عرض المنافقين: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ^(١) إذ فسر الغيب؛ بالغيبة بمعنى: يؤمنون مع الغيبة عن حضرة النبي (ﷺ) أو جماعة المسلمين على معنى: هدى للذين يؤمنون عن إخلاص لا للذين يؤمنون عن نفاق^(٢)). وينتج عن هذا الكناية العرضية، وصرح بها السكاكي حيث يقول: ((متى كانت الكناية عرضية، كان إطلاق اسم التعريض عليها مناسبا))^(٣).

ووقع السكاكي في الخلط والتناقض بقوله: ((واعلم أنَّ التعريض تارة يكون على سبيل الكناية، وأخرى على سبيل المجاز))^(٤)؛ لأنه يفرق بين المجاز والكناية، على نحو يحيل اجتماعهما في كلام واحد، وهو هنا يجعل التعريض من الكناية، ثم يعود فيجعله تارة على سبيل الكناية، وأخرى على سبيل المجاز، وهو خلط بيّن لا يخلص منه محاولات شراحه في الدفاع عنه^(٥).

والخطيب القزويني من البلاغيين الذين اختلط عليهم الأمر، يدل على ذلك قوله: ((التعريض قد يكون مجازاً، كقولك: اذيتني فستعرف، وأنت تريد إنساناً مع المخاطب دونه، وإن أردتهما معاً كان كناية))^(٦).

أمّا السبكي(ت ٧٧٣هـ) فقد نقل عنه السيوطي(ت ٩١١هـ) من كتابه(الإغريض في الفرق بين الكناية والتعريض): ((الكناية: لفظٌ استعمل في معناه، مُراداً منه لازمُ المعنى، فهي بحسب

(١) البقرة: ٣-٢.

(٢) مفتاح العلوم: ٤١٠-٤١١.

(٣) المصدر نفسه: ٤١١.

(٤) المصدر نفسه: ٤١٢.

(٥) يُنظر: التعريض في القرآن الكريم، محمد إبراهيم خولي: ٣٢.

(٦) المطول على التلخيص، سعد الدين التفتازاني: ٤١٣.

استعمال اللفظ في المعنى حقيقةً، والتجوز في إرادة إفادة ما لم يُوضَع له، وقد لا يُراد منها المعنى، بل يُعبّر بالملزوم عن اللازم، وهي حينئذٍ مجازٌ. ومن أمثلته: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ فإنه لم يُقصد إفادة ذلك؛ لأنه معلومٌ، بل إفادة لازمه وهو أنهم يردونها، ويجدون حرًّا إن لم يُجاهدوا. وأمّا التعريضُ: فهو لفظٌ استعمل في معناه للتلويح بغيره، نحو: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ نُسبَ الفعلُ إلى كبيرِ الأصنام المتخذة آلهةً، كأنه غَضِبَ أن تُعبَدَ الصُّغَارُ معه تلويحاً لعابدها بأنها لا تصلح أن تكونَ آلهةً، لما يعلمون إذا نظروا بعقولهم من عَجَزِ كبيرها عن ذلك الفعل، والإله لا يكونُ عاجزاً فهو حقيقةً أبداً^(١). يُفسر هذا القول على أن السبكي جعل الكناية نوعين: نوع يجتمع فيه الحقيقة والمجاز، ونوع ثاني: هو مجازٌ فحسب. وقد يُستعمل لفظ الكناية في معناه الوضعي، ويراد به لازم هذا المعنى فيكون حقيقة بحسب الاستعمال، مجازاً بحسب القصد. وقد يُستعمل لفظ الكناية مراد به لازم معناه من دون توسط المعنى الوضعي للفظ وتكون الكناية مجازاً فحسب. أمّا التعريض هو لفظٌ يُستعمل في معناه أبداً، مقصود به التلويح بغيره، وهو حقيقةً أبداً^(٢). ويمكن قبول هذا الرأي لولا أننا نجد في موضع آخر ما يتعارض مع قوله السابق، وقد نقل السيوطي هذا القول، يقول السبكي: ((التعريض قسمان: قسم يُراد به معناه الحقيقي، ويُشار به إلى المعنى الآخر المقصود، وقسم لا يُراد معناه الحقيقي، بل ضُرب مثلاً للمعنى الذي هو مقصودُ التعريض، فيكون مجاز التمثيل، ومنه قول إبراهيم (عليه السلام): ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾^(٣))).^(٤) فالتعريض عنده قسمان: قسم يُراد به معنى لفظه الذي يفيد وضعاً، ومع إرادته منه منه يُشار به إلى المعنى التعريضي، وقسم لا يُراد معناه الذي يدل عليه لفظه وضعاً، وإنما يُضرب مثلاً للمعنى التعريضي ابتداءً. فالنوع الأول يظل حقيقةً، والثاني يُصبح مجازاً. وهذا الفهم يصطدم بأمرين، الأول: أن السبكي في القول الأول الذي نقله السيوطي، جعل التعريض حقيقةً، لكنه في القول الثاني جعل التعريض قسمان: حقيقة ومجاز، وهذا يتناقض مع قوله حقيقةً أبداً. والأمر الثاني: أنه مثلاً بقوله (عليه السلام): ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ مرتين: عندما قال بأنه حقيقةً أبداً،

(١) الإتيان في علوم القرآن: ١٥٦٣/٤.

(٢) يُنظر: التعريض في القرآن: ٣٣-٣٤.

(٣) الأنبياء: ٦٣.

(٤) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ٢١٧/٢، والإتيان في علوم القرآن: ١٥٦٤/٤، والتعريض في القرآن الكريم: ٣٤.

ومثّل به للنوع الذي يكون مجازاً، وهذا اضطراب وغموض مع احتياط لا بد منه؛ لأنّ القول الأول نقله السيوطي من دون أن يُعثر على الأصل وقد يكون نقل بتصريف أو بتلخيص^(١).

ويُشير ابن الأثير إلى هذا التناقض وخط علماء البيان الكناية بالتعريض ((وقد تكلم علماء البيان فوجدتهم قد خلطوا الكناية بالتعريض، ولم يفرّقوا بينهما، ولا حدوا كلاً مهماً بحدٍ يفصله عن صاحبه، بل أوردوا لهما أمثلة من النظم والنثر، وأدخلوا أحدهما في الآخر))^(٢).

وفرق ابن الأثير بين الكناية والتعريض بقوله: ((والتعريض أخفى من الكناية؛ لأنّ دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز، ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي، وإنّما سمي التعريض تعريضاً؛ لأنّ المعنى فيه يفهم من عُرّضه أي من جانبه، وعُرّض كل شيء جانبه))^(٣). أي إنّ التعريض أخفى من الكناية؛ لأنّ دلالة الكناية مدلول عليها من جهة اللفظ، أمّا التعريض فإنّما دلّالته من جهة القرينة والإشارة^(٤). ويمكن التفريق بينهما من العبارة أيضاً، وقد قال ابن الأثير: ((واعلم أنّ الكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معاً، فتأتي على هذا تارة، وعلى هذا أخرى، وأمّا التعريض فإنّه يختص باللفظ المركب، ولا يأتي في اللفظ المفرد البتة))^(٥).

ووردت تقنية التعريض بنسبة قليلة في جمهرة خطب العرب^(٦)، من ذلك خطبة محمد بن الحنفية بأصحاب المختار ((أما بعد: فأما ما ذكرتم مما خصّصنا الله به من فضل، فإنّ الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، فله الحمد، وأما ما ذكرتم من مصيبتنا بحسين، فإنّ ذلك كان في الذكر الحكيم^(٧)، وهي ملّحمة كتبت عليه، وكرامة أهداها الله له، رفع بما كان منها درجات قوم عنده، ووضّع بها آخرين، وكان أمر الله مفعولاً، وكان أمر الله قدراً مقدراً،

(١) يُنظر: التعريض في القرآن الكريم: ٣٤-٣٦.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٤٩/٣.

(٣) نفسه: ٥٧/٣.

(٤) يُنظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ٢٠١.

(٥) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٥٧/٣.

(٦) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/٣٩-٦٢، ٦٣-٤٠، ٦٦-٤٣، ٢٢٨-٩٧، ٢٩٣-١٧١، ٣٣٦-٢٢٦، ٢/٦٦-٥٣، ٧٩-٧٠، ٣/١٥-٩، ٢٤-١٧.

(٧) يُريد أنّه سبق به قضاء الله تعالى. يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٧٩/٢.

وأما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا، فو الله لو ددْتُ أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم^(١).

استعمل محمد بن الحنفية (عليه السلام) تقنية التعريض في خطابه بقوله: (وأما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا، فو الله لو ددْتُ أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه). وفيه تعريض بالقول إذ يُشير به إلى إعطاء الإذن للمختار التقفي بأخذ ثار الإمام الحسين (عليه السلام)، وأمنيته في تحقيق ذلك، ولمح للمعنى من دون التصريح به ولم يقل: (أريد أن ينتصر الله لنا من عدونا...)؛ لأنه (عليه السلام) اتبع طريق التقية لئلا؛ تتعرض له السلطة في المدينة التي مازالت تُضيق على أهل البيت (عليهم السلام)؛ ولأنه (عليه السلام) لم يُرد الطلب من أحد أن يأخذ ثار أخيه (عليه السلام) وإحراج المُتلقّي بهذا السؤال، لكنّه عرض للمعنى تعريضا.

وفضّل محمد بن الحنفية (عليه السلام) استعمال الأسلوب التلمحي بتقنية التعريض؛ لأنّه كان واثقا من أنّ أصحاب المختار يفهمون قصده غير المباشر؛ لأنّ السياق المقامي وظروف القول ومناسبته المتمثل بمجيئهم للتأكد من ادّعاء المختار بحقيقة تخويله من محمد بن الحنفية للتأثر على قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) ساعدهم على ذلك الفهم؛ بدليل الحديث الذي جرى بينهم بعد خروجهم من عنده، وهم يقولون: ((قد أذن لنا، قد قال: لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه، ولو كره لقال: لا تفعلوا))^(٢). وبهذا اعتمد المتلقي على المعاني الضمنية التي استنتجها من الكلام الظاهر للخطاب من دون رابط لغوي بين اللفظ الظاهر وقصد المرسل.

وبرزت تقنية التعريض في حوار جرى بين معاوية وصعصعة بن صوحان^(٣) عندما حبس معاوية ابن صوحان ورجالاً من أصحاب الإمام علي (عليه السلام) وقريش، فدخل عليهم معاوية يوماً،

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٧٩/٢.

(٢) نفسه: ٧٩/٢.

(٣) صعصعة بن صوحان بن حجر بن الهجرس بن صبرة بن جذرجان بن ليث بن ظالم بن ذهل بن عجل بن عمرو بن وداعة بن لكيز بن أقصى بن عبد القيس الرُبَعي العبدى، كان مسلماً على عهد النبي (صلى الله عليه وآله) ولم يره، وكان من كبار أصحاب الإمام علي (عليه السلام)، وشهد معه حروبه، وكان فصيحاً خطيباً، لَسِنَا دِينَا فاضلاً، استعمل فن الخطابة في الدفاع عن الإمام علي (عليه السلام) والاحتجاج على معاوية، وهو ممن سيره عثمان إلى الشام، وتوفي أيام معاوية. يُنظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر: ٣٩-٤١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة: ١٣٩/٢، ٤٠٣.

فقال: ((نشدتكم بالله إلا ما قلتم حقًا وصدقًا، أي الخلفاء رأيتموني))؟... فقال ابن الكواء... ثم تكلم صعصعة فقال: ((تكلمت يا بن أبي سفيان فأبلغت، ولم تُقصر عما أردت، وليس الأمر على ما ذكرت، أنى يكون الخليفة من ملك الناس قهرًا، ودانهم^(١) كبرًا، واستولى بأسباب الباطل كذبًا ومكرًا؟ أما والله مالک في يوم بدر مضرب ولا مرمى، وما كنت فيه إلا كما قال القائل: (لا حُلِّي ولا سيري)، ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ممن أجلب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما أنت طليق ابن طليق، أطلقكما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأنى تصلح الخلافة لطلق؟))^(٢)، فقال معاوية: ((لولا أني أرجع إلى قول أبي طالب حيث يقول:

قَابَلْتُ جَهْلَهُمْ حِلْمًا وَمَغْفِرَةً وَالْعَفْوُ عَنْ قُدْرَةٍ ضَرَبَ مِنَ الْكَرَمِ^(٣)

لَقَاتَلْتَكُمْ))^(٤).

استعمل صعصعة بن صوحان تقنية التعريض في قوله: ((أنى يكون الخليفة من ملك الناس قهرًا، ودانهم كبرًا، واستولى بأسباب الباطل كذبًا ومكرًا؟)). هذا الكلام تعريض بمعاوية يتضمن إنكار سياسة معاوية السلطوية؛ لأن الخليفة لا ينبغي أن يملك رقاب الناس وهم كارهون له. وفي قوله: ((ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ممن أجلب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)) هنا تعريض بمعاوية يُشير به ابن صوحان إلى فعل أبوه أبو سفيان صاحب العير وجده لأمه عتبة بن ربيعة بن عبد شمس صاحب النفير، وقد لَمَح ابن صوحان لمعنى الكلام تلميحًا؛ لأن خفاء الدلالة في التعريض قصد مقصود للمرسل، وانفصال الدلالة التعريضية عن اللفظ المعرّض به، ما يتيح للمعرّض أن ينكر ما يُدعى عليه^(٥).

يُلاحظ في هذا الخطاب تكرار استعمال استراتيجية التعريض وقد استعملها ابن صوحان ثلاث

(١) دانه دينا: ملكه وأذله واستعبده. يُنظر: لسان العرب: ١٣/١٧٠ (دان).

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١٤٦/٢. ويُنظر المثل: لسان العرب: ١١/١٦٣، يُقال للرجل إذا لم يكن عنده غَنَاء، وقيل هذا المثل أول مرّة لمؤنث فخطوب بعلامة التأنيث.

(٣) مروج الذهب ومعادن الجواهر: ٣/٣٩.

(٤) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١٤٧/٢-١٤٨.

(٥) يُنظر: التعريض في القرآن الكريم: ٢٤.

مرات؛ لأنه يُعد من ((علامات الكفاءة التداولية عند المرسل، ودليلاً على النبوغ الخطابي، يستعمل لغايات معينة ومقاصد متنوعة ومراعاة لما يتطلبه السياق))^(١). وقد تطلب السياق الوجودي في هذا الخطاب استعمال هذا الأسلوب التلمحي؛ لتحقيق الهدف من دون إثارة معاوية؛ بوصفه صاحب السلطة وابن صوحان وأصحابه في سجنه، بدليل قول معاوية: (لولا أنني أرجع إلى قول أبي طالب حيث يقول:

قَابَلْتُ جَهْلَهُمْ حِلْمًا وَمَغْفِرَةً وَالْعَفْوُ عَنْ قُدْرَةِ ضَرْبٍ مِنَ الْكَرَمِ

لَقَتَلْتَكُمْ).

(١) دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم - مقارنة تداولية، أ. بوفرومة حكيمة: (بحث) ٢٢.

المبحث الثالث: الاستراتيجيات التداولية

أول من ترجم المصطلح الغربي pragmatism بالتداولية الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن منذ عام ١٩٧٠؛ لأنه يوفي المطلوب حقّه على وفق دلالاته على معنيي الاستعمال والتفاعل معاً، ولقيت ترجمته (التداولية) منذ ذلك الحين قبولاً من الدارسين الذين أخذوا يضمّنونه في أبحاثهم^(١).

والتداولية نشأت في أحضان فلسفية ونشأ هذا التيار الفلسفي مع رواد الفلسفة والمنطق أمثال (فريج - frege)، و(راسل - russell)، و(فتجنشتاين - wittgentein)، و(كارناب - karnab)، وغيرهم. وحاول هؤلاء التمهيد لتداوليات نظرية انطلاقاً من فكرة المعارف والعلاقات الاجتماعية^(٢).

وكان الفيلسوف الأمريكي تشارلز بيرس - Charles peirce أول من أدخل هذه النظرية في الفلسفة عام ١٨٧٨م في مقاله (كيف نجعل أفكارنا واضحة)^(٣). ويعود مصطلح التداولية إلى الفيلسوف تشارلز موريس - Charles morris، الذي استخدمه عام ١٩٣٨م دالاً على فرع من فروع ثلاثة حدد بها الإطار العام لعلم العلامات أو السيميائية semiotics، وهذه الفروع هي:

١- علم التراكيب syntactics أو syntax: يُعنى بدراسة العلاقة الشكلية بين العلامات اللغوية بعضها مع بعض.

٢- علم الدلالة semantics: ويدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها، أو تحيل إليها.

٣- التداولية: وتهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسيها^(٤).

(١) يُنظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن: ٢٨، والأفعال الكلامية في مستدرك نهج البلاغة: ٧.

(٢) يُنظر: ما التداوليات؟، عبد السلام إسماعيلي علوي، بحث ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، إسماعيل علوي: ١٧، والأفعال الكلامية في مستدرك نهج البلاغة: ٨.

(٣) يُنظر: البراغماتية، وليم جيمس، ترجمة: وليد شحادة: ٥٣.

(٤) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٩، والمدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة: ١٦٨، ومقدمة في علمي الدلالة والتخاطب: ١٣-١٤.

ويُعد تعريف موريس أقدم وأوسع تعريف للتداولية، وهو ((إنَّ التداولية جزءٌ من السيميائية التي تعالجُ العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات))^(١). وعَرَفَهَا كُلٌّ من آن ماري ديير anne marie، وفرانسوا ريكانتي francois recanti بأنَّها ((دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية))^(٢). ويُعَرَفَهَا كُلٌّ من جاك موشر، وأن ريبول ((بأنَّها دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام اللساني الذي تعنى به تحديدًا اللسانيات))^(٣). ويقول د. طه عبد الرحمن في تعريف التداولية هو ((أن يكون القول موصولًا بالفعل))^(٤). ويعرفها د. مسعود صحراوي بأنَّها ((مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمله، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي يُنجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية))^(٥). وفي ظل هذا التعدد يرى د. محمود أحمد نحلة أنَّ أوجز تعريف وأقربه إلى القبول هو إنَّها ((دراسة اللغة في الاستعمال in use أو في التواصل in interaction لأنَّه يُشير إلى أن المعنى ليس شيئًا متأصلًا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول negotiation اللغة بين المتكلم والسامع في سياقٍ مُحدد مادي، واجتماعي، ولغوي وصولًا إلى المعنى الكامن في كلام ما))^(٦). واكتسبت التداولية عددًا من التعريفات؛ لأسباب عدّة منها: ما يرجع إلى مجال اهتمام الباحث نفسه، فقد يقتصر اهتمامه على دراسة المعنى في سياق التواصل، وقد يُعَرَفَهَا انطلاقًا من اهتمامه بتحديد مراجع الألفاظ وأثرها في الخطاب^(٧). وهناك سبب يعود إلى اتساع مجالاتها

(١) المدارس اللسانية المعاصرة: ١٦٦.

(٢) المقاربة التداولية، فرانسواز ارمينكو، ترجمة: د. سعيد علوش: ٨.

(٣) القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشر وأن ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين - إشراف: عز الدين المجذوب: ٢١.

(٤) تجديد المنهج في تقويم التراث، د. طه عبد الرحمن: ٢٤٤.

(٥) التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي: ٥.

(٦) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١١.

(٧) يُنظر: في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، د. علي محمود حجي الصرّاف: ٢.

وتتوَعها؛ فأصبح من العسير وضع تعريف جامع مانع لها^(١). والتداولية لم تُصبح مجالاً يُعتد به في الدرس اللغوي المعاصر إلا في العقد السابع من القرن العشرين عندما طورها ثلاثة من فلاسفة اللغة: أوستن J.L.Austin ، وسيرل J.R. Searle ، وجرايس H.P.Grice^(٢).

وتتفرع التداولية إلى نظرياتٍ عدّة، وأهم النظريات التي نلتبس بها الاستراتيجية التداولية في جمهرة خطب العرب:

١- الاقتضاء التداولي:

مفهوم الاقتضاء ليس حديث عهد بالدراسة؛ فهو عربي النشأة، أرتبط بعلم الأصول، فقد عرّفه الغزالي (ت ٥٠٥هـ) بأنه: ((ما لا يدل عليه اللفظ، ولا يكون منطوقاً به، ولكن يكون من ضرورة اللفظ، إما من حيث لا يكون المتكلم صادقاً إلا به، أو من حيث يمتنع وجود الملفوظ شرعاً إلا به، أو من حيث يمتنع ثبوته عقلاً إلا به))^(٣).

والاقتضاء التداولي: هو الذي لا يكون الصدق شرطاً في المعنى، مثل قولك لأحدهم وأنت لا تعرف شيئاً عنه، وعن نشاطه التجاري: أين تبيع المخدرات؟ فلو أخبرك بالمكان؛ لاستنتجت أنه يبيع المخدرات^(٤). وأهم مميزات الاقتضاء: أنه يقدم تفسيراً صريحاً لمقدرة المرسل على أن يعني أكثر ممّا يقول بالفعل، أي أكثر ممّا يُعبّر عنه بالمعنى الحقيقي للألفاظ المستعملة^(٥). ومثاله قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ...﴾^(٦). ذكر الجرجاني أن «فتحير رقية» مقتضى شرعاً؛ لكونها مملوكة إذ لا عتق فيما لا يملكه ابن آدم

(١) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١١، وفي البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي: ٢.

(٢) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٩.

(٣) المستصفي في علم الأصول: ٤٠٣/٣.

(٤) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٢٨، واستراتيجيات الخطاب عند الإمام علي (عليه السلام) مقارنة تداولية: ٥٦.

(٥) يُنظر: الاقتضاء في التداول اللساني، د. عادل فاخوري: (بحث منشور) ١٤١-١٤٢، والاقتضاء التداولي وأبعاده الخطابية في تراكيب القرآن الكريم، د. عماد عبد يحيى الحياي ود. أشواق إسماعيل النجار: (بحث منشور) ٦٤.

(٦) النساء: ٩٢.

فيُزاد عليه ليكون تقدير الكلام (فترير رقة مملوكة)^(١). لكن ما ذكره الجرجاني هو افتراض مسبق وليس اقتضاء إذ اخذ جزء من الآية الكريمة، والاقتضاء الحقيقي مستمد من الآية وليس جزئية الآية، فهو يتطلّب الإجابة عند اسئلة، لماذا قيل هذا القول، ما الدافع، ما القصد؟. فالأقتضاء وقع في (من قتل مؤمناً خطأ) ماذا يقتضي؟. الجواب: يقتضي تحرير رقبة.

وأنواع الاقتضاء التداولي ثلاثة^(٢) :

١- الاقتضاء العام: وهو الذي يحصل من دون أن يوجد بالضرورة سياق حالي معيّن، وتكتسب المقتضيات العامة أهمية خاصة للنظرية اللسانية؛ لأنّه من العسير تمييز هذه المقتضيات عن المضمون الدلالي للألفاظ ومن هذا الصنف من المقتضيات التي تحصل بين العبارات التي تتدرج على نحو سُلّمي من الأكثر إلى الأقل السابق يستلزم اللاحق ففي هذه الحال يقتضي الأقل سلب الأكثر، مثل الزوج المرتب حسب الكثرة (كل، بعض) يقتضي إثبات البعض سلب الكل.

٢- الاقتضاء الخاص: يتطلّب هذا الاقتضاء وجود سياق حالي معيّن. مثاله قوله تعالى ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(٣). هذه الآية عندما اتهمت امرأة عزيز مصر النبي يوسف (عليه السلام) باتهامات كاذبة اقتضى السياق تأكيد الآية بجملتين مؤكّدتين هما: (إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ ...) قول (فصدقت) يقتضي كذبه، وقول (كذبت) اقتضاء لصدقه، وكان دالا على الشرط بمعنى فرض الوقوع في الماضي فضلا عن تحقق وقوعه، وفي ذلك استدلال بكيفية تمزيق القميص الذي نشأ عن ذكر امرأة العزيز^(٤).

٣- الاقتضاء العرفي: يركّز على معاني الكلمات مباشرة بدلاً من مبادئ المحادثة، أي لا ينجم عن مبادئ تداولية كلية، بل يعود إلى المفردات المعجمية بالعرف أو بالاتفاق. مثاله قولنا: فلان

(١) يُنظر: التعريفات، الشريف الجرجاني، تح: محمد صديق المنشاوي: ١٩١.

(٢) يُنظر: الاقتضاء في التداول اللساني: ١٦٢-١٦٥، والاقتضاء التداولي وأبعاده الخطابية في تراكيب القرآن الكريم: ٦٨-٧٠.

(٣) يوسف: ٢٦-٢٧.

(٤) يُنظر: الاقتضاء التداولي وأبعاده الخطابية في تراكيب القرآن الكريم: ٦٩.

ذكي لكن كسول. هذا القول يستدعي عرفاً إنّ أحد المتخاطبين لم يكن يتوقع أن يكون فلان كسولاً.

والاقتضاء التداولي من التقنيات الخطابية التي يلجأ إليها المرسل؛ للتلميح بقصده من دون التصريح. ووردت تقنية الاقتضاء التداولي في جمهرة خطب العرب في مواضع عدة^(١)، منها حوار حجر بن عدي مع الإمام علي عندما استطلع آراء أصحابه بالمسير إلى الشام في فتنة معاوية، قام حجر بن عدي فقال: ((يا أمير المؤمنين نحن بنو الحرب، وأهلها الذين نُلقَها وَنُتَجَّها، قد ضارَسْنَا^(٢) وضارَسناها، ولنا أعوانٌ وعشيرةٌ ذاتُ عددٍ، ورأي مجربٌ، وبأس محمود، وأزمَتُنَا منقادةٌ لك بالسمع والطاعة، فإن شَرَقْنَا شَرَقْنَا، وإن غَرَبْنَا غَرَبْنَا، وما أمرتنا به من أمر فعلنا))^(٣). فقال - الإمام - علي (عليه السلام): ((أكل قومك يرى مثل رأيك؟ قال: ما رأيتُ منهم إلا حسناً، وهذه يدي عنهم بالسمع والطاعة وحسن الإجابة. فقال له - الإمام - علي (عليه السلام): (خيراً))^(٤).

نلاحظ أنّ الإمام علي (عليه السلام) استعمل تقنية الاقتضاء التداولي بنوعه العام بكلمة (كُلُّ) في قوله: ((أكل قومك يرى مثل رأيك؟)) فهذا القول يقتضي أنّ الإمام (عليه السلام) أنّ بعضهم لا يرغب في السير معه، وهذا ((يوضح العلاقة بين الاقتضاء والمنطق، بحيث إنّ اللغة لها منطقتها الخاص الذي يسمح لأشياء معينة أن تتضمن أبعد من تلك التي ذُكرت بصورة واضحة))^(٥). وهو ما جاء كذلك في جواب حجر بن عدي (ما رأيتُ منهم إلا حسناً) في كلمة (حسناً) يقتضي أنّه لم يرَ منهم الشيء القبيح أي لا يعتقد أنهم يرفضون المسير والتوجه معه نحو الشام؛ للقضاء على فتنة معاوية بن أبي سفيان. أي إنّ الإمام علي (عليه السلام) وحجر بن عدي كلاهما استعملا تقنية الاقتضاء؛ للتلميح بقصدهما بالإشارة من دون التصريح به.

(١) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/٩٩-٩، ١٣٠-٨٣، ٣٢٢-٢١١، ٤٠٦-٣٠٥، ٤٨/٣٤-٥٢، ١٣٦-١٢٤، ٢٤١-٢٢٨، ٢٥٢-٢٤٤.

(٢) ضرسته الحرب تضريساً: جريته وأحكمته، وضارس الأمور: جربها وعرفها. يُنظر: لسان العرب: ١١٨/٦ (ضرس).

(٣) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/٣٢٢.

(٤) نفسه: ١/٣٢٢.

(٥) الاقتضاء وأبعاده الخطابية في تراكيب القرآن الكريم: ٦٩.

وخطب الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) بعد استشهاده أبيه (عليه السلام) قائلاً: ((أيها الناس: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير...))^(١).

استعمل الإمام الحسن (عليه السلام) تقنية الاقتضاء العرفي في خطابه باستعمال كلمة (ابن) مكررة ثلاثة مرات، وهذا يقتضي أنّ الخلافة من حقه فهو ابن رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). وفيه تلميح لقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الإمام الحسن (عليه السلام) عندما رفعه (صلى الله عليه وآله وسلم) معه على المنبر فقال: ((إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ سَيُصْلِحُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ))^(٢)، وقوله: ((هَذَانِ ابْنَايَ، وَابْنَا ابْنَتِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأُحِبُّهُمَا وَأُحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُمَا))^(٣). وهذا يقتضي أن يبايعه الناس بخلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنّه أولى بالخلافة من معاوية بن أبي سفيان.

٢- الاستلزام الحواري:

يُعدّ الاستلزام الحواري implicature conversational من أهم الجوانب في الدرس التداولي، وألصقتها بطبيعة البحث، وأبعدها عن الالتباس بمجالات الدرس الدلالي^(٤). وتتمحور فكرته بالعلاقة بين المرسل والمتلقي، وتحديد دلالات الخطاب بالتفاعل بينهما، وطريقة اكتشاف المتلقي لمقصود المرسل، وكذلك مجموعة المعاني الحقيقية الحرفية في خطابه، والمعاني الأخرى غير الحرفية. فثمة معانٍ صريحة يلقيها المرسل، لا يتكفّف المتلقي مشقة في الوصول إليها، وثمة إضمّارات حوارية مكنونة في بعض الخطابات، يرمي الاستلزام الحواري إلى الوقوف عليها في التداول الفعلي؛ فيفسرها ويؤولها وفقاً للظروف والسياقات المحيطة به، فالمرسل لا يبني كلامه بعزلة عن العالم الخارجي أو المتلقي بصورة خاصة، بل على ضوء الفرضيات التي بناها

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٨/٢.

(٢) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، تح: كمال يوسف الحوت: ٣٧٨/٦.

(٣) نفسه: ٣٧٩/٦.

(٤) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٢، واستراتيجيات الخطاب عند الإمام علي (عليه السلام) مقارنة تداولية: ١٥٣-١٥٢.

مسبقاً عن المتلقي، وشخصيته الثقافية وقدراته الفكرية على استنباط المعاني والاستدلال عليها^(١). والاستلزام الحواري متغير دائماً بتغير السياقات التي يرد فيها، وقد كان هذا يشغل غرايس، أي كيف يكون ممكناً أن يقول المرسل شيئاً ويعني شيئاً آخر؟ ثم كيف يكون ممكناً أن يسمع المتلقي شيئاً ويفهم شيئاً آخر؟^(٢) وقد وجد الحل فيما أسماه بمبدأ التعاون^(٣).

وقد ارتبط الاستلزام الحواري بمبدأ التعاون؛ لأنّ هذا المبدأ تنفّرع عنه أربع قواعد، وعند خرقها يُؤلّد الاستلزام الحواري في سياق خاص يحتاج فيه كل من طرفي الخطاب إلى معلومات إضافية، مع ضرورة الإخلاص لمبدأ التعاون أي أن يكون المرسل حريصاً على إبلاغ المتلقي معنى بعينه، وعلى المتلقي بذل الجهد الواجب؛ للوصول إلى المعنى الذي يريده المرسل، وألا يريد أحدهما خداع الآخر أو تضليله^(٤). وهذه القواعد أو المبادئ هي^(٥):

١- مبدأ الكم Quantity: أي اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه، من ذلك حوار بين الأم وابنها: هل اغتسلت ووضعت ثيابك في الغسالة؟ وأجابها: اغتسلت. فهنا خرق لمبدأ الكم؛ لأنّ الأم سألته عن أمرين فأجاب عن واحد وسكت عن الثاني، كانت إجابته أقل من المطلوب. ويستلزم هذا أن تفهم الأم أنّه لم يضع ثيابه في الغسالة، وأنّه لم يرد أن يجيب بنعم حتى لا تشمل الإجابة شيئاً لم يقر به، ولم يرد أن يواجهها بتقاعسه عن وضع ثيابه في الغسالة.

(١) يُنظر: استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي (عليه السلام) مقارنة تداولية: ١٥٣.

(٢) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٣-٣٤.

(٣) مبدأ التعاون the co-operative principle: المبدأ التداولي الأول في التحوار بين المرسل والمتلقي، مبدأ عام وضعه الفيلسوف الأمريكي بول غرايس؛ لوصف ظاهرة الاستلزام الحواري، وصاغه على النحو الآتي: ينبغي أن تكون مساهمتك الحوارية بمقدار ما يُطلب منك في مجال يتوسل إليه بهذه المهمة، تحذوك غاية الحديث المتبادل واتجاهه، وأنت ملزمٌ بأحدهما في لحظة معينة. ويعني هذا المبدأ: مجموعة القواعد التي يخضع لها المتحاورون؛ ليتحقق التواصل بينهم، وليصلوا إلى فائدة مشتركة تتطور بقدر ما يساهم كل طرف مساهمة فعالة في الحوار؛ فيتحقق التفاهم فيما بينهم بطريقة منطقية. فهو مبدأ يقتضي أن يتعاون المتكلمون في تسهيل عملية التخاطب؛ لتجنب فهم غير المراد من قصد المرسل. يُنظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني: ٩٩، والنظرية البراجماتية اللسانية التداولية: ٩٠، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٤.

(٤) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٥.

(٥) يُنظر: نفسه: ٣٤-٣٧، والنظرية البراجماتية اللسانية التداولية: ٩١-٩٢، واستراتيجيات الخطاب عند الإمام علي (عليه السلام) مقارنة تداولية: ١٥٦-١٥٧.

٢- مبدأ الكيف Quality: لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح، ولا تقل ما ليس عندك دليل عليه، مثاله حوار بين تلميذ وأستاذ، وكلاهما إنجليزي: طهران في تركيا، أليس هذا صحيحاً يا أستاذ؟ الأستاذ: طبعاً، ولندن في أمريكا!. فهنا انتهك الأستاذ مبدأ الكيف عمداً؛ ليظهر للتلميذ أنّ قوله غير صحيح، ويؤنبه على جهله، والتلميذ قادر على الوصول إلى مراد الأستاذ؛ لأنه يعلم أنّ لندن ليست في أمريكا، وذلك يستلزم أنّ الأستاذ يقصد بقوله شيئاً غير ما تقوله كلماته، وهو أنّ قول التلميذ غير صحيح.

٣- مبدأ المناسبة relevance: يعني أن تجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع، وليناسب مقالك مقامك، واجعله مفيداً لعملية التواصل، من ذلك حوار بين رجلين، سأل الأول: أين زيد؟ قال الثاني: ثمة سيارة صفراء تقف أمام منزل عمرو. ما قاله الرجل الثاني بمعناه الحرفي ليس إجابة عن السؤال، فقد انتهك مبدأ العلاقة المناسبة بالموضوع، لكن المتلقي في ضوء مبادئ التعاون الأخرى يسأل نفسه ماهي العلاقة الممكنة بين وقوف سيارة صفراء أمام منزل عمرو وسؤاله عن مكان زيد؟ ثم يصل إلى أنّ المراد بهذا القول إبلاغه رسالة مؤداها أنّه إذا كانت لزيد سيارة صفراء فلعله عند عمرو.

٤- مبدأ الطريقة manner: ويُراد بها الوضوح والتحديد، وتجنب الغموض obscurity، واللبس ambiguity، والإيجاز، وترتيب الكلام. مثاله حوار بين رجلين: ماذا تريد؟ قال الثاني: قم، واتجه إلى الباب، وضع المفتاح في القفل، ثم أدركه ناحية اليسار ثلاث مرات، ثم أدفع الباب برفق. وواضح هما أنّ الرجل الثاني انتهك مبدأ من مبادئ الطريقة وهو الإيجاز إذ يكفي أن يُقال: افتح الباب.

وردت تقنية الاستلزام الحوارية في جمهرة خطب العرب في مواضع عدّة^(١)، منها قول الحسن بن رجا^(٢) للمأمون، فعندما دخل المأمون بعض الدواوين رأى غلاماً جميلاً على أذنه

(١) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/٨٢-٥٥، ٢٩٩-١٨٠، ٢/١٠٠-٩٣، ٤١٢-٣٩٣، ١٧٨-١٥٠، ٢٨٠-٢٦٩، ٣٨٨-٣٧٤، ٤٠-٣٩، ٤٢-٤١، ١٠٥-٩٦، ١١٤-١٠٦، ١٣٣-١٢٧، ١٣٣-١٢٨، ١٣١-١٢٤.

(٢) الحسن بن شجاع بن رجا البلخي، أبو علي أحد أئمة الحديث، نشأ في خلافة المأمون، رحل إلى العراق والشام ومصر، مات سنة (أربع وأربعين ومائتين). يُنظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي، تح: بشار عواد معروف: ٥/١١٦-١١٧، وتهذيب التهذيب: ٢/٢٨٢-٢٨٣.

قَلَم، فقال: مَنْ أَنْتَ يَا غلام؟ فقال: ((أنا يا أمير المؤمنين، الناشئ في دولتك، المتقلّب في نعمتك، المؤمّل لخدمتك، خادمك وابن خادمك: الحسن بن رجاء))^(١).

استعمل الحسن بن رجاء تقنية الاستلزام الحواري بخرق قاعدة الكم وجرى الحوار بين الحسن بن رجاء والمأمون بقوله: (فقال: مَنْ أَنْتَ يَا غلام؟)، أجاب الحسن بن رجاء: ((أنا يا أمير المؤمنين، الناشئ في دولتك، المتقلّب في نعمتك، المؤمّل لخدمتك، خادمك وابن خادمك)). فهذا الخطاب ضرب من المبالغة والمغالة في التقرب إلى المأمون؛ بوصفه صاحب السلطة، والمبالغة تُعدّ من الاستراتيجيات الناتجة عن خرق قاعدة الكم، وجواب الحسن جاء طويلاً خرقاً لقاعدة الكم إذ إنّ سؤال المأمون كان يتطلب الجواب: ((أنا الحسن بن رجاء)) فقط، لكن الحسن بن رجاء أخر هذا الجواب بعد مقدمة طويلة. واستعمل الحسن بن رجاء استراتيجية الاستلزام الحواري ليلمح للمأمون بطاعته وخضوعه له ولحكمه. فقد جاء جواب المأمون ((أحسنّت يا غلام، وبالإحسان في البديهة تفاضلت العقول، وأمر برفع مرتبته))^(٢).

وبرزت تقنية الاستلزام الحواري في خطبة النعمان بن بشير^(٣) بالكوفة، خطب على منبر الكوفة، فقال: ((يا أهل الكوفة: إني والله ما وجدت مثلي ومثلكم إلّا الضبّع والثعلب، أتيا الضبّ في حُجره، فقالا: أبا الحِسل^(٤)). قال: أجبتكما. قال: جنّناك نختصم. قال: في بيته يؤتّى الحكم. قالت الضبّع: فتحت عيني. قال: ففعل النساء فعلت. قالت: فلقطت ثمرة. قال: حلوا اجتنيت. قالت: فاخطفها ثعالة^(٥)). قال: لنفسه بغى الخير. قالت: فلطمته لطمه. قال: حقاً قضيت.

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١٣٣/٣.

(٢) نفسه: ١٣٣/٣.

(٣) النعمان بن بشير بن ثعلبة بن سعد بن خلّاس بن زيد بن مالك الأغبر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأكبر الأنصاري الخزرجي، ولد قبل وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بثمانين سنين وسبعة أشهر، وقتله أهل حمص. يُنظر: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تح: مصطفى السقا: ١٦/٢٨-٤٠.

(٤) كنية الضب.

(٥) ثعالة: اسم الثعلب الذكر والأُنثى. يُنظر: لسان العرب: ١١/٨٤ (ثعل).

قالت؛ فلطمني أخرى. قال: كان حرًا فانتصر. قالت: فاقض بيننا. قال: حَدَّثَ حديثين امرأة، فإن لم تفهم فأربعة^(١).

استعمل المرسل تقنية الاستلزام الحواري في قوله: (قالت: فاقض بيننا. قال: حَدَّثَ حديثين امرأة، فإن لم تفهم فأربعة). أي إنَّ الضبع أرادت من الضب أن يحكم بينها وبين الثعلب فجاء جوابه بالمثل (حَدَّثَ حديثين امرأة، فإن لم تفهم فأربعة). وفي هذا خرق لمبدأ الطريقة إذ يكفي أن يقول: إنَّ الحكم ما قلته سابقا، يعني ليس هناك ما أقض به بينكم، بدلًا من هذا القول الذي يستلزم ضعف الفهم، وهو تلميح ركن إليه النعمان بإشارة منه إلى أن أهل الكوفة لم يفهموه.

٣- الأفعال الكلامية غير المباشرة:

لا يقتصر استعمال اللغة على معانيها الأصلية، وليست اللغة حسابًا منطقيًا دقيقًا، لكل كلمة فيها معنى محدد، ولكل جملة معنى ثابت، بل الكلمة الواحدة تتعدد معانيها بتعدد استعمالنا لها في الحياة اليومية، وتتعدد معاني الجمل بحسب السياقات التي ترد فيها، فالمعنى هو الاستعمال^(٢). ومثاله خروج الأمر إلى الدعاء: اللهم أغفر وارحم. وخروج الأمر إلى السؤال والالتماس عندما تتساوى مرتبة المرسل والمتلقي، وغيرها من المعاني^(٣). وفي الدرس التداولي شكّلت مقالة غرايس التي ظهرت عام ١٩٧٥م بداية الفعل الكلامي غير المباشر، وتصوره عن الفعل الكلامي هو أنَّ الجمل في بعض المقامات تدل على معنى غير المعنى المستخلص من المعنى الحرفي، أي إنجاز فعلين لغويين اثنين: فعل لغوي مباشر وغير مباشر^(٤)؛ لأنَّ النصوص والخطابات تتأرجح بين المعاني الحرفية المباشرة والمعاني السياقية المبنية على الأفعال غير

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/٢٨٠. ويُنظر المثل في مجمع الأمثال: ١/١٩٢: أي زِدْ، وأراد بالحديثين حديثًا واحدًا تكرر مرتين؛ فكأنك حدثتها بحديثين، والمعنى كرر لها الحديث؛ أضعفُ فهمًا، فإن لم تفهم فاجعلها أربعة، وقال أبو سعيد: فإن لم تفهم بعد الأربعة فالمربعة يعني العصا، ويُروى فأربعُ أي كُفَّ، وهذا المثل يُضرب في سوء السمع والإجابة.

(٢) يُنظر: الاستلزام الحواري في سورة البقرة، دراسة وصفية تحليلية تداولية، حجر نورما وحيدة: (بحث) ٣٢.

(٣) يُنظر: مفتاح العلوم: ٣١٨-٣١٩.

(٤) يُنظر: الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، يحيى بعطيش، بحث ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة: ١٠٧.

المباشرة^(١). وقد عرّفها سيرل بأنها الأفعال: ((التي يؤدي فيها المرء فعلا كلاميا بصورة غير مباشرة من خلال أدائه فعلا آخر مباشرة))^(٢).

والقوة الإنجازية تعني: ((هي الشدة أو الضعف اللذان يمكن أن يعرض بأحدهما غرض إنجازي واحد في سياق بعينه من سياقات استعمال المنطوق))^(٣). مثل المنطوق: لو دنوت، فأصبت معنا مما نأكل! الغرض الإنجازي هو الطلب، ويمكن أن يُعرض المحتوى القضوي بقوى إنجازية عدة؛ لأنّ القوة الإنجازية خاصية المنطوقات لا الجمل^(٤)، نحو:

– ادنُ، فأصّب معنا مما نأكل؟ عُرض الفعل الكلامي بقوة الأمر.

– هل تدنو، فتصيب معنا مما نأكل؟ عُرض بقوة الدعوة.

– ألا تدنو، فتصيب معنا مما نأكل؟ وقوته الإنجازية العرض.

– لو دنوت، فأصبت معنا مما نأكل؟ وقوته قوة التمني.

تلتقي هذه القوة الإنجازية في الفعلين المباشر وغير المباشر بمبدأ قصد المرسل وغايته، إذ لا يزول القصد الذي تحمله البنية اللغوية البتة^(٥).

والمثال المتداول للأفعال الكلامية غير المباشرة: هل تستطيع أن تتاولني الملح؟ فالمعنى الظاهر لهذه الجملة الاستفهام ودلت عليه القرائن البنيوية (هل الاستفهامية، والتتغيم)، لكن دلالاته تُشير إلى معنى آخر، وهو التماس المرسل من المتلقي أن يناوله الملح^(٦).

(١) يُنظر: التداوليات وتحليل الخطاب، د. جميل حمداوي: ٤٠، والأفعال الكلامية في مستدرك نهج البلاغة: (رسالة ماجستير) ٧٤.

(٢) العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي: ٢٢١.

(٣) النص والخطاب والاتصال: ٢٢٢-٢٢٣.

(٤) يُنظر: نفسه: ٢٢٢.

(٥) يُنظر: دائرة الأعمال اللغوية مراجعات ومقترحات، د. شكري المبخوت: ٤٩، والأفعال الكلامية في مستدرك نهج البلاغة: ٧٤.

(٦) يُنظر: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي: ٢٢٠-٢٢١، والفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو: ١١١.

والتلميح من أفعال اللغة غير المباشرة^(١).

وردت تقنية الأفعال الكلامية غير المباشرة بنسبة كبيرة^(٢) في جمهرة خطب العرب منها خطبة الاستسقاء للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ قال بعد حمد الله والثناء عليه: ((اللهم اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا، مَرِيئًا هَنِيئًا مَرِيئًا^(٣)، سَحًّا سَجَالًا^(٤)، غَدَقًا^(٥) طَبَقًا^(٦)، دِيمًا دِرْرًا^(٧)، دِرْرًا^(٧)، تُحْيِ بِهِ الْأَرْضَ، وَتُثْبِتُ بِهِ الزَّرْعَ، وَتُدْرِي بِهِ الضَّرْعَ، وَاجْعَلْهُ سُقْيًا نَافِعَةً، عاجلاً غير رَئِثٍ))^(٨).

استعمل النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) تقنية الأفعال الكلامية غير المباشرة فالمعنى الظاهر للخطاب الأمر بلفظتي (اسْقِنَا، اجْعَلْ) في قوله: ((اللهم اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا...)) و(اجْعَلْهُ سُقْيًا نَافِعَةً)، وفي هذين القولين قوتين إنجازيتين: قوة ظاهرة تُعْنَى بالمعنى الظاهر، وقوة ضمنية تحمل المعنى الذي يقصده المرسل، وفي خطاب النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج الأمر من فعل كلامي مباشر إلى فعل كلامي غير مباشر (الدعاء) إذ توجه الدعاء من المخلوق إلى الخالق، وبينهما فارق من حيث الرتبة والمنزلة، فالنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يقصد بهذا الأسلوب (الأمر) إلا المعنى غير المباشر، وهو ما يتضمنه الخطاب، فالنبي (صلى

(١) يُنظر: المقاربة التداولية: ٧١.

(٢) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/١٢-٤، ١٨-٧، ٣٢-١٤، ٧٣-٤٦، ١٢٠-٧٤، ١٢٩-٨٢، ١٤٥-٩٠، ١٥٤-١٢، ١٦٦-٢١، ١٩٩-٦٠، ٢١٣-٧٩، ٢٢٠-٨٦، ٢٧٢-١٤٨، ٢٨٩-١٦٥، ٣٣٥-٢٢٥، ٣٦٧-٢٥٦، ٤٠٩-٣٠٨، ١٩٦-١٧١، ٢٠٦-١٨٧، ٢٠٧-١٨٨، ٢٠٨-١٩٠، ٢٠٩-١٩٣، ٢١٠-١٩٤، ٢١٨-٢٠٢، ٢٢١-٢٠٦، ٢٢٣-٢٠٩، ٢٢٨-٢١٣، ٢٣٠-٢١٥، ٢٣٤-٢١٩، ٢٤٢-٢٢٩، ٢٦٤-٢٥٣، ٢٧٥-٢٦٢، ٢٧٦-٢٦٣، ٣٠١-٢٨٩، ٣٠٣-٢٩٢، ٣٠٧-٢٩٧، ٣٢٠-٣٠٦، ٤١٨-٣٩٨، ٤٢٢-٤٠٢، ٤٨٢-٤٥٥، ٥٣/٣-٥١، ٨٠-٧٢، ٩٩-٨٧.

(٣) المَرِيْعُ: الخَصِيبُ، وَمَرَعُ الْمَكَانُ وَالْوَادِي: أَخْصَبَ وَأَكْلًا. يُنظر: لسان العرب: ٨/٣٣٤ (مرع).

(٤) السَّجَلُ: النسيب والدَّلْو الضخمة المملوءة ماء، ويُقال الحروب سَجَالٌ أي سَجَلٌ منها على هؤلاء وآخر على هؤلاء، أي متداولة. يُنظر: نفسه: ١١/٣٢٥ (سجل).

(٥) الغَدَقُ: المطر الكثير العام، والماء الكثير وإن لم يكُ مطراً أيضاً. يُنظر: متن اللغة: ٤/٢٧٢ (غدق).

(٦) الطَّبَقُ: غطاء كل شيء، وطَبَقَ الغيث الأرض: مَلَأَهَا وَعَمَّهَا. يُنظر: لسان العرب: ١٠/٢٠٩ (طبق).

(٧) دِرْرًا: جمع دِرَّةٍ، يقال للسحاب دِرَّة: أي صَبَّ واندفاق. يُنظر: متن اللغة: ٢/٣٩٩ (درر).

(٨) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/١٥٤-١٥٥.

الله عليه وآله وسلم) يطلب من الله (ﷻ) أن يسقيهم غيثاً يشربون منه وتُحيى به الأرض بعد موتها، ويُنبِت به الزرع، ويكون نافعا، وقد تمثّل هذا المعنى بالصيغ الصرفية (افعل) التي خاطب بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الله (ﷻ) بقوله: (اسْقِنَا، اجعله)، فهذه الصيغ تؤدي معنى الدعاء، وطلب الاستسقاء.

وبرزت تقنية الأفعال الكلامية في خطبة أبي الهيثم بن التيهان^(١)، وكان أبو الهيثم بن التيهان يسوّي صفوف أهل العراق، ويقول: ((يا معشر أهل العراق، إنه ليس بينكم وبين الفتح في العاجل، والجنة في الآجل إلا ساعة من النهار، فأزسوا أقدامكم، وسؤوا صفوفكم، أعيروا ربكم جماجمكم، واستعينوا بالله إلهكم، وجاهدوا عدو الله وعدوكم، واقتلوهم قتلهم الله وأدبارهم. واصبروا فإن الأرض يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين^(٢)))^(٣).

استعمل أبو الهيثم بن التيهان تقنية الأفعال الكلامية غير المباشرة بأسلوب الأمر سبع مرات في قوله: (أزسوا أقدامكم، وسؤوا صفوفكم، أعيروا ربكم جماجمكم، واستعينوا بالله إلهكم، وجاهدوا عدو الله وعدوكم، واقتلوهم قتلهم الله وأدبارهم. واصبروا...). تضمن الأمر في هذه الأقوال معنى النصح والتوجيه، وهو ((عمل لا قولي منجز بطريقة غير مباشرة، وذلك من خلال إنجاز عمل لا قولي آخر، وقد فسر سورل، في مناسبة أولى هذه الأعمال غير المباشرة بكون الملفوظات تتعلق بشروط نجاح الأعمال المقصودة بشكل مباشر، وتعد تبعا لذلك طريقة في تنبيه المخاطب بشكل غير مباشر إلى عمل تسمح الشروط بتحقيقه، ونتيجة لذلك نتمنى أن يُنجز^(٤))). فهو لم يرد بهذه الألفاظ (أرسوا، وسؤوا، وأعيروا، واستعينوا، وجاهدوا، واقتلوهم، واصبروا) أن يتأمر عليهم بل أراد أن يوجههم إلى الطريق الصحيح الذي به يحققون النصر.

(١) مالك من بلى بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة حليف لبني عبد الأشهل، أول من أسلم من الأنصار بمكة، وهو أحد النقباء الاثنى عشر من الأنصار، وشهد العقبتين جميعا وبدراً وأُحُدًا والمشاهد كلها مع النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، توفي في خلافة عمر بن الخطاب وقيل إنه شهد صفين مع الإمام علي (عليه السلام) وقُتل يومئذٍ. يُنظر: الطبقات الكبير: ٤١٢/٣-٤١٤، ٥٦١.

(٢) الأعراف: ١٢٨.

(٣) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٣٥٢/١.

(٤) التداولية من أوستن إلى غوفمان: ٦٩.

٤- الحدث الكلامي(فحوى الخطاب):

إنَّ جهود أوستن وسيرل في نظرية الأفعال الكلامية توقفت عند حدود الجملة، ولم تدرس النصوص، وقد أطلق فان دايك على دراسة متوالية أفعال الكلام والسياق وعلاقتها ببنية الخطاب بـ(التداولية الكبرى)^(١). ورأى ((أنَّ استعمال اللغة ليس معناه إنجاز فعل خاص، وإنما هو جزء من التفاعل الاجتماعي، أي أنه ليس عملاً فردياً، بل هو عملية يتم من خلالها تفاعل الأفراد فيما بينهم داخل المؤسسة الاجتماعية؛ لتلبية احتياجاتهم، مما يجعل الطابع الوظيفي للغة مهميناً))^(٢). ومن هذا المنطلق دعا فان دايك إلى ضرورة استثمار نظرية الأفعال الكلامية في دراسة النصوص وتحليلها، وأطلق على هذا المفهوم بالفعل الكلامي الكلي^(٣)، أو الفعل الكلامي speech act الذي أصبح نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية وفحواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، فهو يطمح إلى أن يكون فعلاً كلامياً ذا تأثير في المتلقي اجتماعياً ومؤسسياً ومن ثمَّ إنجاز شيء ما^(٤).

ويمكن توضيح مفهوم الأفعال الكلامية عند فان دايك بمحادثة الأب الذي ينظر إلى رسمة ابنه الصغير، ورمز فان دايك إلى الأب بـ(أ)، وإلى الابن بـ(ب):

((أ: إنَّ هذا الرسم عجيب. هل أنت الذي رسمه؟

ب: بالطبع أنا.

أ: إنَّه مدهش، وقد أحببته، إلا أنني أراك في حاجة إلى ألوان أخرى.

ب: نعم إنَّ اللون الأزرق والأحمر يكادان ينتهيان.

(١) يُنظر: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني: ٣٠٩-٣١٠.

(٢) المدارس اللسانية المعاصرة: ١٩٦-١٩٧.

(٣) يُنظر: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ٣١٠، والأفعال الكلامية في مستدرك نهج البلاغة: ٩٣.

(٤) يُنظر: في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، مسعود صحراوي، بحث ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيل علوي: ٥١-٥٢، وتداولية الحدث الكلامي - شعر أبي نواس أنموذجاً-، أ. د علي متعب جاسم، و م. م حسين عمران محمد: (بحث) ٣٧٨.

أ: غدا سوف اشترى لك ألوانا جديدة.

ب: لا تنسها يا أبت مرة أخرى.

أ: إني أحرص على أن أفعل^(١).

اشتملت هذه المحادثة النصية على متواليات من الأفعال الكلامية المتنوعة كإظهار التقدير والسؤال والاثبات، والعرض والتأكيد والوعد. إلا أن هذه الوظائف تُرد كلها إلى فعل إجمالي أو حدث كلامي واحد هو الوعد، وربما المزاجية ما بين الثناء والوعد^(٢). ويمكن تعريف الحدث الكلامي speech event بأنه ((مفهوم من المفاهيم التي تدور في فلك الفعل الكلامي، وهو سلسلة من الأفعال الكلامية، أو نشاط يظهر في التفاعلات الخطابية واللغوية بطريقة تواضعية تقضي إلى نتيجة ما، ويمكن أن يحتوي على فعل كلامي مركزي، ولكن يمكن أيضا أن يحتوي الحدث الكلامي على منطوقات تقود إلى ردود أفعال متتابعة تبني الفعل المركزي))^(٣). ويرتبط الحدث الكلامي بالتفاعل بين أطراف الخطاب ويفضي هذا التفاعل إلى الكشف عن الفعل المركزي سواء صُرح به أم كان مضمرا، وتتضافر سلسلة الأفعال الكلامية الأخرى في إنشائه، فهو يحتاج إلى طاقة تفاعلية بين المرسل من جهة، والمتلقي من جهة أخرى^(٤). و((ليس الحدث وحده مميزا للسلوك الإنساني، بل الحدث الاجتماعي بوجه خاص، للتفاعل الذي يحدد بأنه سلسلة من الأحداث يكون فيها عدة أشخاص هم المعنيون بوصفهم فاعلين غير متزامنين أو متزامنين))^(٥).

برزت تقنية الحدث الكلامي في جمهرة خطب العرب بنسبة كبيرة^(٦)، منها خطبة الإمام الحسن بن علي (عليه السلام): ((اعلموا أن الحلم زين، والوقار مودة، والصلة نعمة، والإكثار صلف،

(١) النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ٣١٧.

(٢) يُنظر: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ٣١٧، والأفعال الكلامية في مستدرك نهج البلاغة: (رسالة ماجستير) ٩٤.

(٣) تداولية النص الشعري جمهرة أشعار العرب نموذجا، شيتير رحيمة: (اطروحة دكتوراه): ١٥٧-١٥٨.

(٤) يُنظر: نفسه: ١٥٨.

(٥) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري: ١٢٨.

(٦) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/ ٧٤-٤٧، ١١-١٥٤، ٥١-١٩٢، ٦٥-٢٠١، ٧٥-٢١١، ٨٤-٢١٨، ٨٧-٢٢١، ٩٠-٢٢٣، ١٠٢-٢٣١، ١٠٣-٢٣٢، ١١٧-٢٤٤، ١٢٣-٢٥٥، ١٣٣-٢٦١.

وَالْعَجَلَةُ سَفَهُ، وَالسَّفَهُ ضَعْفٌ، وَالْقَلْقُ وَرَطَّةٌ، وَمَجَالَسَةُ أَهْلِ الدَّنَاءَةِ شَيْنٌ، وَمَخَالَطَةُ أَهْلِ
الْفُسُوقِ رِيْبَةٌ^(١).

إنَّ الخطاب في ظاهره إخبار، لكن لو أنعمنا النظر به نجد القصد من هذا الإخبار، النصيح والإرشاد والتوجيه، فقد قصد الإمام(عليه السلام) به الالتزام بـ(الحلم، والوقار، والصلة)، ونهى (الكَثْرَةَ) عن(الإكثار، والسَّفَهُ، والقلق، ومجالسة أهل الدناءة، ومخالطة أهل الفسوق).

ويُلاحظ هنا الحذف في هذا القول(الإكثار صَلَفٌ) فقد حذف الإمام(عليه السلام) لفظة(الكلام) ولم يقل(الإكثار من الكلام صلف)؛ لأنه يعلم أنَّ المتلقي يفهم قصده من دون الحاجة إلى التصريح، ف((بعض العناصر قد يُحذف في جملة ما؛ لأنَّ السياق المقالي أو المقامي قد دلَّ عليه))^(٢). وكذلك قوله:(الْعَجَلَةُ سَفَهُ) فيه حذف؛ لأنَّ الإمام(عليه السلام) لم يُحدد نوع العجلة(سواء أكانت بالقول أم الفعل) بل تركها مطلقة؛ لتشمل الأقوال والأفعال التي تُتجز بعجلة. فالإمام الحسن بن علي(عليه السلام) استعمل تقنية فحوى الخطاب؛ للتلميح إلى قصده(عليه السلام) لمعرفته بقدرة المتلقي على فهم قصده؛ لأنَّ ما يصل إليه المتلقي بنفسه أكثر تأثيراً في النفس من الكلام الصريح الجاهز، وهو خطاب يصبُّ في مصلحة المتلقي عند الالتزام بالنصائح والابتعاد عن النواهي.

ومن الخطابات التي أُنجزت باستعمال تقنية الحدث الكلامي خطبة عبادة بن الصامت^(٣) بأهل حِمَص، فلما قدم عليهم قام في الناس خطيباً، فحمد الله وصلى على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال:((أما بعد، ألا إنَّ الدنيا عَرَضٌ حَاضِرٌ، يأكل منه البرّ والفاجر، ألا وإنَّ الآخرة وَعْدٌ صَادِقٌ يحكم فيه ملكٌ قَادِرٌ، ألا وإنكم معرُوضُونَ على أعمالكم، فمن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا

= ٢٨٦-٢٧٣، ١٦١-١٤١، ١٦٨-٢٩١، ١٧٨-٢٩٨، ٢١٧-٣٢٧، ٢٢٧-٣٣٨، ١-٧/٢، ٢-٩، ٩-١٤، ٢١-٣٧، ٥٢-٦٦، ١٩٧-٢١١، ٢١٣-٢٢٨، ٢٦١-٢٧٥، ٤٥٣-٤٨١، ٤٥٨-٤٨٤، ٤٨١-٥١٤، ١-٦/٣، ٤-١١، ٩-١٥، ١١-١٦، ١٣-١٨، ٤٦-٤٩، ٥٤-٥٥، ٨٢-٩٢، ١٣٢-١٤٤.

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١٨/٢.

(٢) الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية: ١٣٧.

(٣) عبادة بن الصامت بن قيس بن أَصْرَم بن فِهْر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن خزرج الأنصاري، وهو أحد النقباء الأثني عشر من الأنصار، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وشهد عبادة بدرًا وأحُدًا والخندق والمشاهد كلها مع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، مات بالزَمَلَة من أرض الشام سنة(٣٤هـ) وعمره(٧٢) سنة، وقيل إنّه توفي في خلافة معاوية بالشام. يُنظر: الطبقات الكبير: ٥٠٦/٣.

يرَه، ومن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِلدُّنْيَا بَنِينَ وَلِلْآخِرَةِ بَنِينَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ كُلَّ أُمَّ يَتَّبِعُهَا بَنُوهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))^(١).

استعمل عبادة بن الصامت تقنية الحدث الكلامي إذ إنَّ الخطاب في ظاهره إخبار (ألا إنَّ الدنيا عَرَضٌ حَاضِرٌ، يَأْكُلُ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ وَعَدٌّ صَادِقٌ يَحْكُمُ فِيهِ مَلَكٌ قَادِرٌ، أَلَا وَإِنَّكُمْ مَعْرُوضُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِلدُّنْيَا بَنِينَ وَلِلْآخِرَةِ بَنِينَ ... فَإِنَّ كُلَّ أُمَّ يَتَّبِعُهَا بَنُوهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وأمر ونهي (فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا)، لكن هذه الأخبار والأمر والنهي قصد بها نتيجة واحدة مثلت فحوى الخطاب وهي الوعظ والإرشاد.

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢٦١/١.

الفصل الرابع الاستراتيجية التأثيرية

- المبحث الأول: استراتيجيات الحجاج .
- المبحث الثاني: استراتيجيات الاحتجاج .

توطئة

لا ينتج المرسل خطابه عبثاً بل يرمي إلى التأثير في المتلقي ليوجهه الوجهة التي يريدّها. ويُعدّ الجاحظ من أوائل البلاغيين الذين تناولوا استراتيجية التأثير في كتابه (البيان والتبيين) بدراسته للخطب والرسائل؛ لما لها من تأثير في أفكار الناس عندما فصل القول في صفات الخطيب الجسدية والذهنية، ومميزات شخصيته التي تمنح خطابه القبول والتأثير بالمتلقي، وقد حاول الجاحظ وضع نظرية لذلك، مركزها الخطاب اللغوي بكل ما يصاحبه من وسائل إشارية ودلالات لفظية وغير لفظية، وأساس هذه البلاغة مراعاة أحوال المتلقين^(١)، ومن أقواله: ((أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيبُ رابطَ الجأش، ساكنَ الجوارح، قليلَ اللَّحْظ، متخَيِّرَ اللَّفْظ، لا يكَلِّمُ سَيِّدَ الأُمّةِ بكلامِ الأُمّةِ ولا الملوكَ بكلامِ السُّوقَةِ...))^(٢). والغاية القصوى عند الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) هي التأثير في المتلقي.

(١) يُنظر: البيان والتبيين: ٩٢/١-٩٣، والحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة النقد المعاصر)، د.

محمد سالم محمد الأمين الطلبة: ٢١١.

(٢) نفسه: ٩٢/١.

المبحث الأول: استراتيجيات الحجاج

يُعد الحجاج من أنجح الوسائل التي تُجسد استراتيجية التأثير بالمتلقي، والحجاج ((كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها))^(١).

وتتناول أرسطو الحجاج من زاويتين متقابلتين: الأولى بلاغية ارتبطت بالجوانب المتعلقة بالإقناع، والأخرى من زاوية جدلية، وعدّه عملية تفكير تتم ببينية حوارية^(٢). أما برلمان وتيتيكاه فقد عرفا الحجاج، أنّه ((درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم))^(٣).

وللغة الحجاج المعتمدة في أثناء الخطاب أثر مهم في إقناع المتلقي، أو إخضاعه، أو إبطال حجته أو توجيهه الوجهة التي يردها المرسل؛ لأنّ أثرها لا يندرج في إثارة مشاعر المتلقي، بل في تقديم الحجج والأدلة على وفق منطق يستميل بها المتلقي ويجعله موجّها ومُمنهّجاً لما يُريد، وللغة في الخطاب الحجاجي أثر جوهري وفاعل في تحقيق التأثير والاستمالة. والمفردات والتركيب التي يختارها المرسل لوصف حدث ما تعكس موقفه تجاه ذلك الحدث، ما ينعكس على المتلقي لقبول أو رفض ذلك الموقف^(٤)، ويوظّف المرسل تقنيات وآليات لغوية؛ للتأثير بالمتلقي أو إخضاعه، وهي:

أولاً: تقنية الإقناع بالحجاج السفسطائي:

قال الجاحظ: ((ولولا الكلام لم يقم لله دين، ولم ينب من الملحين... ولا بانّت الحجة من الحيلة والدليل من الشبهة))^(٥)، المراد بالحيلة هنا المغالطة^(٦). وقال ابن عاشور (ت ١٣٩٤هـ): ((إنّ حاجّ لا يستعمل غالباً إلا في معنى المخاصمة... وأنّ الأغلب أنّه

(١) اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي: ٢٢٦.

(٢) يُنظر: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، د. محمد طروس: ١٥.

(٣) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبدالله صولة: ٢٧.

(٤) يُنظر: تشكّل أنواع الاستراتيجيات الخطابية - دراسة في الأهداف والوسائل، د. حمدي منصور جودي: (بحث) ٩٣.

(٥) رسائل الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون: ٢٨٥/١.

(٦) يُنظر: الحجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام): ٣٧.

يفيد الخصام بباطل))^(١)، وفي قوله: يفيد الخصام بالباطل، إشارة إلى ما يُصطلح عليه بالدراسات الحديثة بالحجاج المغالط، وتعني المغالطة السفسة عند اليونان^(٢). ويُعبّر عنه باللغة الفرنسية بمصطلح (paralogisme) المتكون من جزأين (para) ونعني به خاطئ و(Logismos) بمعنى حجة، وهذا المصطلح يعني الحجاج الخاطئ^(٣). و((السفسطائي لا يقتنع بحججه؛ لأنّها لم تنشأها الأنا من الذات بل تنشأ خارجها، وغايته منها التأثير في الآخر وإقناعه بها))^(٤).

وأهم المبادئ التي سنّها السفسطائيون تشريع الألاعيب القولية والحيل الخطابية في كسب القضايا، وهي استراتيجية حررها القدامى من المجال المنطقي الذي حصرها فيه أرسطو، والاشتغال عليها في مجال اللغة العادية والفنية^(٥). ومن أهم أساليب أو آليات استراتيجية الإقناع الإقناع بالحجاج السفسطائي هو حجاج التركيب، وحجاج القوة، والسلطة، والحجاج الجماهيري أي إثارة العواطف والأحاسيس في تمرير المواقف، والمغالطة القائمة على حجة المجادلة أي الحجة الشخصية، والوحدات اللغوية الصرفية: (المشترك اللفظي، الترادف)، وشكل اللفظ، ونبر الصوت^(٦).

وبرزت استراتيجية الإقناع بالحجاج السفسطائي بنسبة كبيرة^(٧) في جمهرة خطب العرب، منها منها خطبة معاوية بأهل الشام: ((أيّها الناس قد علمتم أنّي خليفة أمير المؤمنين عمر بن

(١) التحرير والتتوير، محمد الطاهر بن عاشور: ٣/٣٢.

(٢) يُنظر: الحجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام): ٣٧.

(٣) يُنظر: الأساليب المغالطية مدخلا لنقد الحجاج، محمد النويري، بحث ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم: ٤٠٦.

(٤) نشأة الحجاج، د. حامد ناصر الظالمي، و د. عايد جدوع حنون: (بحث) ١.

(٥) يُنظر: الحجاج والمغالطة دراسة تداولية في سورة الفرقان، جدي إيمان، وروابي أحلام: (رسالة ماجستير) ٣١-٣٠.

(٦) يُنظر: الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة - دراسة تداولية، ابتسام بن خراف خراف (اطروحة دكتوراه): ٣٦٣-٣٨٠، ونشأة الحجاج: (بحث) ٨، وعندما نتواصل نغير، د. عبد السلام عشير: ١٥٨-١٦٠.

(٧) يُنظر: جمهرة خطب الغرب في عصور العربية الزاهرة: ١/٢٥٨، ٣١٠، ٣٢٧، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٨-٢٢٧، ٢٢٩-٣٣٩، ٢٣٠-٣٤٠، ٢٥٤-٣٦٥، ١٦-٢٢/٢، ٢٣-٣٨، ٢٩-٤٥، ١٧٥-١٩٨، ٢٠٦-٢٢١، ٢١٨-٢٣٣، ٢٢٣-٢٣٧، ٢٢٤-٢٣٨، ٢٢٥-٢٣٩، ٢٢٧-٢٤٠، ٢٢٨-٢٤١، ٢٢٩-٢٤٢، ٢٣١-٢٤٣، ٢٢٤-٢٤٥ =

الخطاب، وأمير المؤمنين عثمان بن عفان عليكم، وأني لم أقم رجلاً منكم على خراية قط، وأني ولي عثمان وقد قُتلَ مظلوماً، والله تعالى يقول ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾^(١) وأنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان^(٢).

استعمل معاوية استراتيجية الإقناع بالحجاج السفسطائي بأسلوب الحجاج الجماهيري أو حجة الجماعة، و((هو حجاج يوجه إلى جماعة ما، يُنجزه المخاطب(أ) أمام جمهور(ب) بغية إقناعهم بفكرة ما وإثارة حماسهم إليها وتحقيق اقتناعهم لها. يعتمد الاستمالة والاستدراج بإثارة العواطف والمشاعر والأحاسيس والشفقة. وذلك غاية ما يسعى إليه المُحَاجِّج^(٣)))، وقد اعتمد معاوية هذا النوع من المغالطات؛ لاستمالة أهل الشام، وتمير موقفه؛ لأنه أراد أن تكون البيعة له، واختار قضية قتل عثمان؛ ليستميل قلوب أهل الشام وإثارة عواطفهم واحاسيسهم اتجاه هذه القضية؛ لطلب الخلافة وجعل نفسه ولي عثمان، يؤكد ذلك قوله: (وأني ولي عثمان وقد قُتلَ مظلوماً)، والله تعالى يقول ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾.

وقد حقق معاوية(انقياد الناس إليه) نتيجة هذه الاستراتيجية إذ انقادت إليه قلوب أهل الشام؛ ((قام أهل الشام بأجمعهم فأجابوا إلى الطلب بدم عثمان وبايعوه على ذلك، وأوثقوا له على أن يبذلوا بين يديه أموالهم وأنفسهم حتى يُدركوا بثأره أو تلحق أرواحهم بالله ذلك))^(٤).

وخطب أبو مسلم الخرساني^(٥) بالمدينة في سنة(١٣٦هـ) التي حج فيها في خلافة السفاح التي دعا الناس فيها إلى مبايعة السفاح، قائلاً: ((ألا إن آل محمد أئمة الهدى، ومنار سبيل

=٢٥٨-٢٤٩، ٢٧٥-٢٦١، ٢٧٨-٢٦٧، ٣٠١-٢٨٩، ٣٣٤-٣٢٤، ٥١٥-٤٨٣، ٣/١٦-١، ٨-٢، ١٤-٨، ١٥-٩، ٢٠-١٥، ٩٢-٨٢.

(١) الإسراء: ٣٣.

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٣١١/١.

(٣) الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة - دراسة تداولية: (اطروحة دكتوراه) ٣٦٧.

(٤) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٣١١/١.

(٥) عبد الرحمن بن مسلم الخرساني، صاحب الدعوة العباسية في خراسان ومن ثم واليها، ولد بأصبهان ونشأ بالكوفة ثم سار إلى خراسان، قدم فروض الطاعة للسفاح والمبادرة لأوامره وامتنال مراسيمه، وكان له الفضل في=

التقى، القادة الدّادة السّادة، بنو عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومُنزّل جبريل بالتنزيل، كم قصّم الله بهم من جبار طاغٍ، وفاسق باغٍ، شَيّد الله بهم الهدى، وجلّى بهم العمى، لم يُسمع بمثل العباس، وكيف لا تخضع له الأمم لواجب حقّ الحرمة؟ أبو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أبيه، وإحدى يديه، وجلّة بين عينيّه، أمينه يوم العقبة، وناصره بمكة، ورسوله إلى أهلها، وحاميه يوم حُنين عند ملتقى الفُتتين، لا يخالف له رسمًا، ولا يعصي له حكمًا، الشافع يوم نيق العقاب^(١) إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الأحزاب، ها إنّ في هذا أيها الناس لَعِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَبْصَارِ^(٢).

استعمل أبو مسلم الخراساني تقنية الحجاج السفسطائي في خطابه، بقوله: (ألا إنّ آل محمد أئمة الهدى...)، إنّ أهل البيت (عليهم السلام) هم أئمة الهدى لكن الدولة العباسية لم تقرّهم وتعطيهم حقهم بالخلافة، فالمرسل جعل آل محمد أئمة الهدى بنو العباس وليس الإمام علي (عليه السلام) والحسن والحسين (عليهما السلام)....، فقد اختار قضية القرب من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لاستمالة الناس وتحقيق غايته من هذه المغالطة بإيصال السفاح للسلطة؛ لتكون له مكانة وسلطة في الدولة العباسية، وقد علم أبو جعفر المنصور بنياته فقتله سنة ١٣٧هـ^(٣).

ثانيًا: تقنية الإبطال بالروابط الحجاجية:

ونجد ذلك بالخطابات التي يُستعمل بها الرابط الحجاجي (بل) الدال على الإضراب والإبطال، لأن بل أساسا ((حرف إضراب، وله حالان: الأول: أن يقع بعده جملة. والثاني: أن يقع بعده مفرد. فإن وقع بعده جملة كان إضرابًا عمّا قبلها، إمّا على جهة الإبطال....، وإمّا على جهة الترك للانتقال من غير إبطال....، وإذا وقع بعد بل مفرد هي حرف عطف، ومعناها الإضراب.

= نشر دعوة بني العباس، وقيل إنّ يشبه الحجاج في سياسته الدموية، ولما مات أبو العباس السفاح وخلفه أخوه أبو جعفر المنصور استوحش منه وانهزم بسوء النية، قتله المنصور سنة (١٣٧هـ) بعد أن استحضره بالمكر والخداع. يُنظر: البداية والنهاية: ٣١٢/١٣-٣٢٤.

(١) موضع بين مكة والمدينة، لُقّي به أبو سفيان وهو يريد مكة عام الفتح، شفع فيه أبو مسلم الخراساني لأبي سفيان ولأهل مكة فعفا عنهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). يُنظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي: ٣٣٣/٥.

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢٠/٣-٢٢.

(٣) يُنظر: البداية والنهاية: ٣٢٤/١٣.

ولكن حالها فيه مختلف: فإن كانت بعد نفي... فهي لتقرير حكم الأول، وجعل ضده لما بعدها...^(١).

ووردت هذه التقنية في مواضع عدة^(٢) في جمهرة خطب العرب منها الحوار الذي دار بين معاوية بن أبي سفيان ورجل من أهل سبأ، فقال معاوية للرجل: ((ما كان أجهل قومك، حين ملكوا عليهم امرأة))، قال الرجل: ((بل قومك أجهل، قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحق، وأراهم البيئات: ((اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم))، ألا قالوا: ((اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له!))^(٣).

استعمل المرسل (رجل من أهل سبأ) استراتيجية الإبطال بالرباط الحجاجي (بل) الدال على إبطال ما قبله.

النتيجة: أنت من قوم جهلة.

(ح) قومك أجهل، قالوا حين دعاهم رسول الله...



رجل من أهل سبأ

بل

معاوية

(ح) ما كان أجهل قومك، حين ملكوا عليهم امرأة (لا - ن) أنت وقومك الجاهلون

وهنا الرباط (بل) أفاد الإبطال والحجة التي جاءت بعد (بل) أقوى من الحجة التي بعده، والنتيجة المضمرة (أنت وقومك الجاهلون) تمثل نتيجة القول برمته؛ لأن جهل اتباع امرأة أهون من

(١) الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تح: د. فخر الدين قباوه، وأ. محمد نديم فاضل: ٢٣٥-٢٣٦.

(٢) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/٤٠١، ٣٦-١٧، ٦٠-٣٧، ٩١-٥٩، ٣٩٥-٢٩٤، ٣٣٧-٣٢٦، ٣٨٨-٣٧٤، ١٧/٣-١٢.

(٣) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/٣٨٨.

اعتراض دعوة نبوة محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد حاجج الرجل معاوية بهذه الحجة القوية؛ وأبطل حجته بأقوى منها، وقد كان للرباط (بل) خاصة، استعملت لدحض حجة معاوية.

ثالثاً: تقنية الإبطال بالروابط والسّميات الحجاجية:

الروابط الحجاجية في إطار الصيغة الجديدة للنظرية الحجاجية تعني الربط بين وحدتين دلالتين أو أكثر في إطار استراتيجية حجاجية واحدة، وتضم الروابط الحجاجية: (حروف العطف، والظروف، لكن، بل، حتى، غني عن القول، فضلاً عن، وغيرها)^(١). وهي المؤشر الأساس والأبرز والدليل القاطع على وجود حجاج في السياق اللغوي، ووجود هذه الروابط في الخطاب هو الذي يجعلنا نهتدي بها ومن دونها نضل الطريق وتتعذر علينا عملية التأويل الجيد للأفعال داخل الخطاب^(٢).

ويستند المحاجج على مجموعة من الحجج للوصول إلى النتيجة نفسها، ويمكن جمع تلك الحجج بمجموعة واحدة اصطلاح عليها الحجاجيون الفئة الحجاجية، أو السلم الحجاجي^(٣).

والسلم الحجاجي: ((عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية ومُوفية بالشرطين التاليين:

أ- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب - كل قول كان في السلم دليلاً على مدلول معين، كان يعلوه مرتبة دليلاً أقوى عليه^(٤).

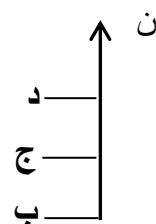
والسلم الحجاجي هو علاقة ترابطية للحجج يمكن أن نرمز لها:

(١) يُنظر: اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي: ٢٩.

(٢) يُنظر: استراتيجيات الخطاب في النشيد الوطني: ١٩٧.

(٣) يُنظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٧٦، والخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة - دراسة تداولية: (اطروحة دكتوراه) ١٥٠، والحجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام): ١٣٦.

(٤) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٧٧.



ن = النتيجة

(ب) و (ج) و (د): حجج وأدلة تخدم النتيجة (ن)

فعند عقد علاقة تراتبية معينة بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما، فإنّ تلك الحجج تنتمي إذاك إلى السلم الحجاجي^(١).

وقد وردت تقنية الإبطال بالروابط والسّميات الحجاجية في كتاب جمهرة خطب العرب بنسبة كبيرة^(٢) منها خطبة يزيد بن الوليد بن عبد الملك^(٣) بعدما قتل الوليد بن يزيد، حمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: ((أيها الناس: والله ما خرجت أشراً ولا بطراً، ولا حرصاً على الدنيا، ولا رغبة في الملك، وما بي إطرأ نفسي، وإني لظلوم لها إن لم يرحمني الله، ولكن خرجت غضباً لله ودينه، داعياً إلى الله، وإلى نبيه))^(٤).

(١) يُنظر: اللغة والحجاج: ٢٠-٢١.

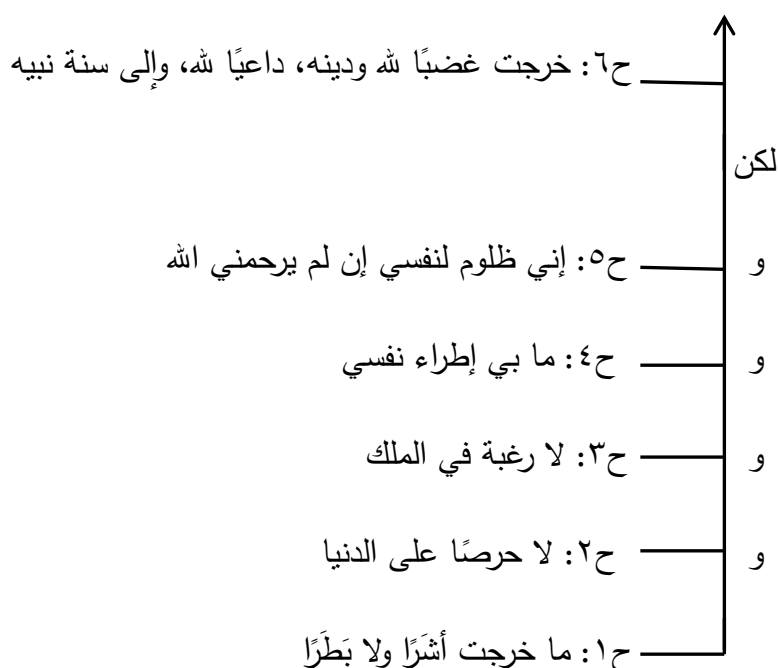
(٢) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/١٢-٤، ١٣-٥، ١٩-٩، ٣٦-١٧، ٤٠-٢٤، ٤١-٢٥، ٥٧-٣٤، ٦٠-٣٧، ٦٣-٤١، ٩١-٥٩، ٩٤-٦١، ١١٤-٧١، ١٥٥-١٣، ١٥٨-١٤، ١٦٣-١٧، ١٩٣-٥٣، ١٩٦-٥٨، ٢٠١-٦٤، ٢٣٢-١٠٣، ٢٣٣-١٠٥، ٢٨٧-١٦٣، ٢٩٧-١٧٦، ٣١٥-٢٠٠، ٣١٨-٢٠٤، ٣٤٦-٢٣٣، ٣٥٦-٢٤٤، ٣٦٥-٢٥٤، ٣٦٧-٢٥٦، ٢/١٠-٤، ١٦-١١، ٢٢-١٨، ٤٩-٣٥، ٥٠-٣٧، ٥٢-٤١، ٨٥-٩٧، ٧٩-٨٩، ٩٩-٩٢، ١٠٥-١٠٠، ١٥٤-١٣٣، ١٩٢-١٦٧، ١٩٩-١٧٦، ٢٠٤-١٨٢، ٢١٨-٢٠٢، ٢٤٣-٢٨١، ٢٣١-٢٧٠، ٢٩٥-٢٨٠، ٣/١٣-٧، ١٧-١٢، ٣٣-٣١، ١٠٧-٩٨، ١١٣-١٠٤، ١١٤-١٠٥.

(٣) يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، من سادات بني أمية، تولى الخلافة بعد الوليد بن يزيد سنة (١٢٦هـ)، وقد كان أشد من قال بالوليد، ووجه عبدالعزيز بن الحجاج بن عبد الملك بقتل الوليد؛ لفسقه، وكانت مدة خلافته ستة أشهر، سُمي بالناقص؛ لأنه أنقص من رواتب الجند التي زادها الوليد. يُنظر: البداية والنهاية: ١٠/٨-٩، والمحرر، أبو جعفر محمد بن حبيب، صححه: د. إيلزه ليختن شتيتير: ٣١-٣٢.

(٤) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/٢١٨.

استعمل يزيد بن الوليد الرابط الحجاجي (لكن) وهو من أدوات التعارض الحجاجي، وهي حرف يفيد الاستدراك ((ومعنى الاستدراك أن تنسب حكماً لاسمها، يخالف المحكوم عليه قبلها. كأنك لما أخبرت عن الأول بخبر، خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك، فتداركت بخبره، إن سلباً، وإن إيجاباً، ولذلك لا يكون إلا بعد كلام، ملفوظ به أو مقدر... ولا تقع لكن إلا بين متنافيين ومتغايرين بوجه ما... والتغاير في المعنى بمنزلته في اللفظ))^(١). وهذا الرابط ربط بين الحجج ويمكن توضيح ذلك على النحو الآتي:

النتيجة(ن) أنا أولى بالخلافة من الوليد بن يزيد



أفاد الرابط الحجاجي (لكن) في هذا القول تعارضاً حجاجياً أبطل به ست حجج سبقته ارتبطت مع بعضها بالرابط (الواو) مرتبة من الأضعف إلى الأقوى، وقد جاءت الحجة الأقوى بعد الرابط (لكن)، واستدرك بها يزيد بن الوليد بعد أن نفى أن يكون خروجه لطلب الدنيا والملك، وبهذا وضعه في درجة سلمية عليا، وكان الترتيب الحجاجي تراتبياً حتى استعمال (لكن)، وهي الوسيط في ترتيب هذه الدرجات الخمس من الحجج؛ لأثرها في الربط بين قضيتين أو أكثر، وترتيب

(١) الجنى الداني في حروف المعاني: ٦١٥-٦١٦.

درجاتها بوصف هذه القضايا حجبا في الخطاب^(١). وبما أنَّ الحجة السادسة أقوى من الحجج الأخرى فإنها وجَّهت القول نحو النتيجة المضمرة (أنا أولى بالخلافة من الوليد بن يزيد).

رابعًا: تقوية الإخضاع والتوجيه بالعوامل الحجاجية:

تختلف العوامل الحجاجية Les operateurs عن الروابط الحجاجية في كونها ((لا تربط بين متغيرات حجاجية أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما))^(٢).

وأدرج ديكره مفهوم العامل الحجاجي أول مرة في مقاله المنشور سنة ١٩٨٢ بعنوان: (d'argumenter note sur l'argumentation et l'acte) ثم فصل فيه القول في مقاله المنشور سنة ١٩٨٣ بعنوان: (operateurs argumentatifs et visee argumentative) العوامل الجدلية والهدف الجدلي^(٣).

والعامل الحجاجي مورفيم إذا دخل في الخطاب أسهم في تقليص الإمكانيات الحجاجية للكلام، وزاد من من طاقته الحجاجية في التوجه نحو نتيجة حجاجية ما، وتقتصر وظيفته على شحن الكلام؛ ليؤدي وظيفة حجاجية تتلاءم مع مقاصد المحاجج، وفي الوقت نفسه يساعد المتلقي في تحديد دلالة المراد من الكلام^(٤). وتضم العوامل الحجاجية في اللغة العربية أدوات : ربما، تقريباً، كاد، قليلاً، كثيراً، منذ الظرفية، على الأقل، وأدوات النفي، وجل أدوات القصر^(٥).

وقد شغلت تقنية الإخضاع والتوجيه بالعوامل الحجاجية نسبة كبيرة^(٦) في جمهرة خطب العرب ويمكن تقسيمها على نوعين:

(١) يُنظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٥٠٨.

(٢) اللغة والحِجَاب: ٢٧.

(۳) يُنْظَرُ : نفسه: ۲۸.

(٤) يُنظر: الحَجَّاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام): ١٣١-١٣٢.

(٥) يُنظر: اللغة والحِجَاج: ٢٧، والحِجَاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام): ١٣٢.

(٦) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٣٠١/١، ٩٠١، ٣٨٠١٨٢، ٥٨٠١٩٦، ٧١٠٢٠٥، ٩٣٠٢٢٤، ٢١٢٠٣٢٩، ٢٤٤٣٠٣٥٥، ٢٤٩٠٣٦١، ٢٦٣٠٣٧٦، ٣٨٣٠٢٧٦، ٤٣٠٠٣٢٦، ٣٣٤٠٤٣٦، ٢/٣٢٠٤٧، ٥٤٠٦٧، ٥٥٠٦٨، ٦٢٠٧٢، ٧٤٠٨٢، ٩١٠٩٩، ١٠٩٠١٨٥، ١٦٩٠١٩٤، ٢٢٠٠٢٣٤.

١- تقنية الإخضاع بالقصر (النفي والاستثناء):

القصر في اللغة: الحبس^(١)، وفي الاصطلاح: ((تخصيص أمرٍ بآخر بطريق مخصوص، ويُقال أيضاً: إثبات الحكم للمذكور، ونفيُه عمّا عداه))^(٢). أي حبسه وجعله ملازماً له، و((التوكيد بالقصر هو عمل لغوي/كلامي يأتيه المتكلم فيجعل عمل الخصم الكلامي يسير في الاتجاه الذي يرسمه له))^(٣).

وردت تقنية الإخضاع بالقصر (النفي والاستثناء) في خطبة عثمان بن حيان المري^(٤) بأهل المدينة بعدما ولاه الوليد بن عبد الملك المدينة سنة (٩٤هـ)، حمد الله ثم قال: ((أيها الناس: إنا وجدناكم أهل غشٍّ لأمير المؤمنين في قديم الدهر وحديثه، وقد ضَوَى^(٥) إليكم مَنْ يَزِيدُكُمْ خَبَالاً^(٦): أهل العراق، هم أهل الشقاق والنفاق، هم والله غشُّ النفاق، وبَيَضَتِهِ التي تَفَلَّتْ عنه، والله ما جَرَبْتُ عِرَاقِيًّا قَطُّ إِلَّا وجدتُ أفضَلَهُمْ عند نفسه، الذي يقول في آل أبي طالب ما يقول، وما هم لهم بِشِيعَةٍ، وإنهم لأَعْدَاءٌ لهم ولغيرهم، ولكن لِمَا يريد الله من سَفْكَ دمايهم، فإني والله لا أُوتي بأحدٍ آوَى أحدا منهم أو أَكْرَاهَ منزلاً، أو أنزله، إلا هدمت منزله، وأنزلت به ما هو أهله))^(٧).

استعمل عثمان بن حيان تقنية الإخضاع بالقصر (النفي والاستثناء) بـ(ما...إلا) في قوله:

= ٣١٩-٣٢٩، ٣٣٤-٣٤٢، ٣٤٣-٣٥٣، ٤٤٩-٤٢٩، ٥-١٢/٣، ١٢٦-١٣٢.

(١) يُنظر: لسان العرب: ٩٧/٥ (قصر).

(٢) الإتيان في علوم القرآن: ٥٢٠.

(٣) الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة: (طروحة دكتوراه) ٢٥٧.

(٤) عثمان بن حَيَّان بن مَعْبُد بن شَدَّاد بن نُعْمَان بن رِيَّاح بن أسعد بن ربيعة بن عامر بن يربوع بن غَيْظ بن مُرَّة بن عَوْف بن سَعْد بن قيس عيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان المُرِّي، استعمله الوليد بن عبد الملك على المدينة، وكان في سيرته عنف، إذ إنَّه يقتل كل من اعترض على سياسته ولو كان بالكلام فقط، وقيل إنَّه مولى عتبة بن أبي سفيان، كانت إمرته على المدينة ثلاث سنين ونزعه سليمان ابن حزم عنها. يُنظر: تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك: ٤٨٥-٤٨٧، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال: ١٩ / ٣٦٠-٣٦٢، والبدایة والنهاية: ٤٤٥/١٢.

(٥) ضَوَى إليه: انضم ولجأ. يُنظر: لسان العرب: ٤٩٠/١٤ (ضوا).

(٦) الخَبَال: الفساد. يُنظر: المصدر نفسه: ١٩٧/١١ (خبل).

(٧) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٣١٦/٢-٣١٧.

:((إني والله لا أوتي بأحدٍ آوَى أحدٍ منهم أو أكرّاه منزلاً، أو أنزله، إلا هدمت منزله، وأنزلت به ما هو أهله)). في قوله هذا تهديد للمتلقي إنّ من يخرج عن أوامره ويأوي أي عراقي بمنزله، يكون مصير منزله الهدم، وعقوبة صاحبه، أثر هذا التهديد في المتلقي (أهل المدينة)، وأحكم السيطرة الكاملة عليه، وضمن عدم خروج أهل المدينة على أوامره، وعليه فإنّه ضمن خضوعهم له فالغاية من التهذيب والتهديد، والاختضاع وجاء هذا التهديد بعد إن ضيق الحجاج سياسته على أهل العراق فجاؤوا إلى المدينة ومكة، فخشى عثمان من أن يطعنوا عليه ويعيبوا أمره، إذ امتلأت الأرض جوراً به في المدينة، وبالحجاج في العراق، والوليد بن عبد الملك بالشام، وغيرهم^(١).

وخطب الضحّاك بن قيس الفهري على منبر الكوفة عندما بلغه أنّ قومًا من أهلها يشتُمون عثمان ويَبْرؤُون منه، قال: ((بلغني أنّ رجلاً منكم ضلّلاً يشتُمون أئمة الهدى، ويعيبون أسلافنا الصالحين، أما والذي ليس له نِدٌّ ولا شريك، لئن لم تنتهوا عما يبلُغني عنكم، لأضعنّ فيكم سيفَ زياد، ثم لا تجدونني ضعيفَ السّورة^(٢)، ولا كليلَ الشّفة^(٣)، أما إنّي لصاحبكم الذي أغرّ أغرّ على بلادكم، فكنّ أول من غزاها في الإسلام، وشرب من ماء الثّعلبيّة ومن شاطئ الفرات، أعاقب من شئت، وأعفو عمن شئت، لقد دَعَرْتُ المُخَدَّرَاتِ في حُدُورهن، وإن كانت المرأة ليبيكي ابنها فلا تُرهبه ولا تُسكّته إلّا بذكر اسمي، فاتقوا الله يا أهل العراق، أنا الضحّاك بن قيس، أنا أبو أنيس، أنا قاتل عمرو ابن عُميس))^(٤).

استعمل الضحّاك بن قيس الفهري تقنية الإخضاع بالقصر (ما... إلّا) في قوله: (كانت المرأة ليبيكي ابنها فلا تُرهبه ولا تُسكّته إلّا بذكر اسمي). يُلاحظ في هذا القول تسلّط الضحّاك وسياسته الشديدة في معاملة الرعية، فالغاية من ذكر هذا الأمر لتخويف المتلقي وإلقاء الرعب في قلبه وعليه فإنّه سيكون خاضعاً، فالضحّاك استعمل تقنية الإخضاع؛ ليؤثر في نفس المتلقي، حتى لا يفكر بالاعتراض على سياسته، وقيد الضحّاك الإمكانيات الحجاجية وحصرها باسمه الذي أصبح

(١) يُنظر: تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك: ٤٨٧/٦.

(٢) سَوْرَةُ السُّلْطَان: سَطَوْتُهُ واعتدّاه. يُنظر: لسان العرب: ٣٨٥/٤ (سور).

(٣) الشّفة: حدّ السيف. يُنظر: المصدر نفسه: ٤٢٠/٤ (شفر).

(٤) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢٧٨-٢٧٩.

كالأساطير المربعة لشدة بطشه حتى إنّ الأم ترهب ابنها باسمه مثلما ترهبه بأحاديث الجن وغيرها.

٢- تقنية التوجيه بعامل النفي:

النفي ردّ فعل على إثبات فعلي^(١) والنفي ((تلفظ فهو توجيه على توجيهه؛ لذلك بمجرد إدماج عامل النفي تتحدد النتيجة (ن) بسرعة ولا يجد المتقبل حرجاً أو كدّ ذهني^(*) في إدراك المفهوم، بل إنّ عامل النفي كمفهوم علاوة على وظيفته التوجيهية في الخطاب الحجاجي فإنّ له قيمة مضافة وهي على حدّ عبارة ديكرور^(٢) أنّه ضروري لوصف البنية الدلالية العميقة للمفوض الذي يبدو غير منفي))^(٣).

ومن أمثلة التوجيه بعامل النفي (لا) في جمهرة خطب العرب قول الإمام الحسين (عليه السلام) ليلة قتله: ((أنتي على الله تبارك وتعالى أحسنّ الثناء، وأحمدُه على السّرّاء والضّرّاء، اللهم إني أحمّدك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن، وفقّهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، ولم تجعلنا من المشركين.

أما بعد: فأني لا أعلم أصحاباً أولى^(٣) ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيتٍ أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً ألا وإني أظن يوماً من هؤلاء الأعداء غداً. ألا وإني قد رأيت لكم، فانطلقوا جميعاً في حلّ، ليس عليكم من ذمام، هذا الليل قد غَشِيكم فاتخذوه جَمَلاً، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، ثم تفرقوا في سوادكم ومدانكم، حتى يفرّج الله، فإنّ القوم إنما يطلبونني، ولو قد أصابوني لهُوا عن طلب غيري))^(٤).

استعمل الإمام الحسين (عليه السلام) تقنية العوامل الحجاجية بأداة النفي (لا) في قوله: (فأني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيتٍ أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي). وعاملية أدوات

(١) الحجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام): ١٣٢.

(*) كذا، والصواب: حرجاً أو كدّاً ذهنياً.

(٢) عاملية أدوات النفي الحجاجية، سليمة محفوظي (مقال).

(٣) هكذا رواية الطبري: ٤١٨/٥، وفي الكامل في التاريخ: ١٦٦/٣ (أوفى).

(٤) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٤٩/٢.

النفي الحجاجية يمكن إدراكها بإدراك النتيجة التي يريد المحاجج توجيه المتلقي إليها^(١). والنتيجة التي يريد الإمام الحسين (عليه السلام) توجيه أصحابه إليها أن يفروا قبل هجوم الأعداء على الرغم من أنهم هم الناصرين له من دون الناس؛ لأنه يُدرك أن الأعداء يطلبونه هو فقط فلماذا يهلكون معه بدلالة قوله: **(فإنَّ القوم إنما يطلبونني، ولو قد أصابوني لهؤا عن طلب غيري)** وإنهم على الرغم من أنهم أوفياء خلّص لكتّهم لا يستطيعون أن يدفعوا عنه القتل. والنتيجة المضمرة التي أراد الإمام الحسين (عليه السلام) أن يوصل أصحابه إليها إنه مقتول مقتول بكل الأحوال فلماذا يقتلون أنفسهم معه. وقوله: **(فانطلقوا جميعا في حلّ)** أي في حلّ من بيعتي لئلا تكون عليهم حجة أمام الله (عز وجل). وهو من أذن لهم بتركه، واستعمل الإمام الحسين (عليه السلام) هذه الاستراتيجية؛ ليقنع أصحابه وأهل بيته بتركه حتى لا يواجههم مصير القتل المحتوم لكنه (عليه السلام) لم يستطع إقناعهم بهذه الاستراتيجية بدلالة قول أهل بيته^(٢): **((لَمْ نَفْعَلْ! لِنَبْقَى بَعْدَكَ؟ لَا أَرَانَا اللَّهَ ذَلِكَ أَبَدًا))** فقال الحسين (عليه السلام): **((يا بني عَقِيلَ حَسْبُكَم مِنَ الْقَتْلِ بِمُسْلِمٍ، اذْهَبُوا قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ))** قالوا: **((فما يقول الناس؟ يقولون إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومنا خير الأعمام، ولم نَرْمِ معهم بسهم، ولم نطعن معهم بِرُمَحٍ، ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندري ما صنعوا، لا والله لا نفعل، ولكن تفديك أنفسنا وأموالنا وأهلونا، ونقاتل معك حتى نَرِدَ مورِدك، فقبح الله العيش بعدك))**. ورد أصحابه^(٣) منهم مسلم بن عوسجة الأسدي إذ قال: **((أنحن نُخَلِّي عنك وَلَمَّا نُعْذِرْ إِلَى اللَّهِ فِي أَدَاءِ حَقِّكَ؟ أَمَا وَاللَّهِ حَتَّى أَكْسِرَ فِي صَدُورِهِمْ رَمَحِي، وَأَضْرِبَهُمْ بِسِيفِي مَا تَبَيَّتَ قَائِمُهُ فِي يَدِي، وَلَا أَفَارِقُكَ، وَلَمْ يَكُنْ مَعِيَ سِلَاحٌ أَقَاتِلُهُمْ بِهِ، لَقَدْفَتَهُم بِالْحَجَارَةِ دُونَكَ حَتَّى أَمُوتَ مَعَكَ))**.

واستعمل الحجاج في خطبته بأهل الكوفة تقنية التوجيه بعامل النفي (لا) **((يا أهل الكوفة، إِنَّ الْفِتْنَةَ تُفْلِحُ بِالنَّجْوَى^(٤)، وَتُتْنَجُ بِالشُّكْوَى، وَتُخْصَدُ بِالسَّيْفِ، أَمَا وَاللَّهِ إِنْ أَبْغَضْتُمُونِي لَا تَضُرُونِي، وَإِنْ أَحْبَبْتُمُونِي لَا تَنْفَعُونِي، وَمَا أَنَا بِالْمُسْتَوْحِشِ لِعِدَاوَتِكُمْ، وَلَا الْمُسْتَرِيحِ إِلَى**

(١) يُنظر: الحجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام): ١٣٢.

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٥٠/٢.

(٣) نفسه: ٥١-٥٠/٢.

(٤) النَّجْوَى: المسارة أي السرُّ. يُنظر: لسان العرب: ٣٠٨/١٥ (نجا).

مودّتكم، زعمتم أني ساحر، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ﴾^(١). وقد أفلحت، وزعمتم أني أعلم الاسم الأكبر، فلم تقاتلون من يعلم ما لا تعلمون^(٢).

وجّه الحجاج المتلقي (أهل الكوفة) باستعمال تقنية التوجيه بعامل النفي (لا) في قوله: (أما والله إن أبغضتموني لا تضروني، وإن أحببتموني لا تنفعوني، وما أنا بالمستوحش لعداوتكم، ولا المستريح إلى مودّتكم). والنتيجة الحجاجية التي أراد الحجاج توجيه أهل الكوفة إليها النهي عن الاعتراض عليه والوقوف بوجهه، فأن أبغضوه لا يضرّونه وإن أحبّوه لا ينفعونه.

نستنتج مما سبق أنّ تقنية الإخضاع والتوجيه بالعوامل الحجاجية يستعملها المرسل في خطابه، ليوجه المتلقي الوجهة التي يريدّها، وقد يصب هذا التوجيه في مصلحة المتلقي نحو خطبة: الإمام الحسين (عليه السلام)، التي فضّل فيها مصلحة أصحابه وأهل بيته بالذهاب قبل بدء المعركة على الرغم من أنّه ليس لديه ناصر غيرهم، أو يصب في مصلحته هو من دون المتلقي وهذا ما جاء في خطبة الحجاج التي أظهر فيها تهديده وكرهه لأهل الكوفة؛ ليخضعهم لقبول سياسته.

(١) طه: ٦٩.

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/٢٩٥.

المبحث الثاني: استراتيجيات الاحتجاج

الاحتجاج يعني ((إقامة الحُجَّة... وتوكيد الحقيقة بدليل قطعي ويقين ثابت دالّ على علو مقام الجهة التي صدر عنها حقًا وعدلاً، كأن تكون من الله ﷻ في احتجاجه على أرباب العقائد الفاسدة... أو من الأنبياء والرسل))^(١). ويُعرّف أيضاً أنّه ((الاعتماد على إقامة البراهين من نصوص اللغة شعراً ونثراً))^(٢). وقد أثبت أستاذي الدكتور عايد جدوع حنون أنّ ثمة فوارق ما بين الحجاج والاحتجاج، هي^(٣):

١- الحجاج مُشتق من الفعل حاجج على بناء فاعل، أما الاحتجاج فمُشتق من الفعل احتجّ على بناء افتعل.

٢- الحجاج يدلّ على المشاركة، أما الاحتجاج لا يدلّ على المشاركة وحدها، بل يدلّ على الطلب والاتخاذ أيضاً.

٣- الحُجّة في الحجاج احتمالية وقابلة للنقض فيمكن أن تُرفض وتُنقض بحجة أقوى منها، أما الحُجّة في الاحتجاج فقطعية وتعتمد الشاهد سواء أكان قرآنياً أم شعرياً أم نحوهما.

٤- مفهوم الحجاج غربي الأصل تُرجم إلى العربية، أما الاحتجاج فعربي الأصل، ودلالته في الثقافات الأخرى تختلف عن دلالته في الثقافة العربية.

والاحتجاج تقنية من استراتيجيات الإقناع والتأثير، يوظّفها المرسل باستعمال أدواتها أو مصادرها، وقد سماه الشهري بـ(حجة الدليل) وهي حجج جاهزة وتشمل: (آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، والشواهد الشعرية، والحكم، والأمثال)^(٤). ووضعها الشهري ضمن الحجاج لا الاحتجاج، ولم يذكر الاحتجاج ضمن استراتيجياته، بل ذكرها حججاً جاهزة ضمن استراتيجية الحجاج، وهناك فوارق بينهما لم يلتفت إليها الشهري وهي ما بيناه آنفاً.

(١) المحاجة والإقناع في القرآن الكريم، أحمد حسين خشان الهاشمي: ٢٢٥.

(٢) الاستشهاد والاحتجاج باللغة، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث، د. محمد عيد: ٨٦.

(٣) الحجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام): ٣٦.

(٤) يُنظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٥٣٧.

ومن تقنيات استراتيجية الاحتجاج في كتاب جمهرة خطب العرب:

١- الآيات القرآنية:

تُعد الآيات القرآنية حجج سلطة يستند إليها المحاجج في إقناع متلقيه.

وبرز الاحتجاج بآيات القرآن الكريم في جمهرة خطب العرب بنسبة كبيرة^(١)، منها الحوار الذي دار بين أبي العيناء^(٢) وابن أبي دُواد^(٣)، إذ قال أبو العيناء: ((إِنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَدِمُوا إِلَى سُرٍّ مَنِ رَأَى يَدًا عَلَيَّ، فَقَالَ: «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ»^(٤) فَقُلْتُ: إِنَّ لَهُمْ مَكْرًا، فَقَالَ: «وَلَا

(١) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/١٤٨-٣، ١١-١٥٤، ٢٩-١٧٤، ٣٠-١٧٥، ٣٥-١٧٩، ٤٠-١٨٤، ٤١-١٨٥، ٦٨-٢٠٤، ٨١-٢١٥، ٩٧-٢٢٨، ٩٩-٢٢٩، ١٠٢-٢٣١، ١١٦-٢٤٤، ١٤٢-٢٦٨، ١٤٤-٢٧٠، ١٧٣-٢٩٥، ١٧٦-٢٩٧، ١٩٣-٣١٠، ٢٠٤-٣١٨، ٢٢٦-٣٣٦، ٢٣٠-٣٤٠، ٢٣٣-٣٤٦، ٢٣٥-٣٤٨، ٢٣٩-٣٥٢، ٢٥٨-٣٦٩، ٣٠٢-٤١٠، ٣١٠-٤١٠، ٦-١٢/٢، ١٢-١٧، ١٨-٢٢، ٤٦-٦٠، ٥٠-٦٣، ٨٣-٩١، ١٠٤-١٠٧، ١٢٢-١٣١، ١٢٣-١٣٤، ١٢٤-١٣٦، ١٣٤-١٥٥، ١٤٤-١٦٩، ١٥٣-١٨١، ١٦٠-١٨٥، ١٦٣-١٨٩، ١٩٢-٢٠٨، ١٩٥-٢١٠، ٢١٧-٢٣٢، ٢٤٤-٢٥١، ٢٤٥-٢٥٣، ٢٨٠-٢٩٥، ٢٨٥-٢٩٨، ٢٨٧-٢٩٩، ٢٨٨-٣٠٠، ٢٩٤-٣٠٤، ٢٩٥-٣٠٥، ٣٢٨-٣٣٨، ٤٣٥-٤٥٤، ٤٤٤-٤٦٤، ٤٤٩-٤٦٩، ٤٥٩-٤٨٥، ٩-١٥/٣، ١٥-٢٠، ١٧-٢٤، ٢٣-٢٧، ٧١-٧٩، ٧٧-٨٣، ٨٠-٨٨، ٨٢-٩٢، ١٣٢-١٤٤، ١٤٠-١٥٠.

(٢) محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر اليمامي الهاشمي، لُقّب بأبي العيناء؛ لأنّ جده الأكبر أساء مخاطبة الإمام علي(عليه السلام) فدعا عليه بالعمى له ولولده من بعده، فكل من عمي من ولد أبي العيناء فهو صحيح النسب فيهم، وقد صار أبو العيناء أعمى بعد أن نيف على الأربعين وخرج من البصرة واعتلّت عيناه، ولد بالأهواز ونشأ بالبصرة، وهو إخباري صاحب نوادر، مات سنة اثنتين ومائتين. يُنظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن عثمان الذهبي، تح: علي محمد البجاوي: ١٣، ونكث الهميان في نكث العميان، صلاح الدين الصفدي، تح: أ. أحمد زكي بك: ٢٦٥-٢٦٩.

(٣) أحمد بن أبي دُوادٍ فرج بن جرير بن مالك الإيادي القاضي، أبو عبدالله، من قرية قنسرين، ولي القضاء في خلافة المعتصم، نشأ في طلب العلم والفقه والكلام، صحب هياج بن العلاء السلمي، وكان من أصحاب واصل بن عطاء، فصار من المعتزلة، أُصيب بالفالج سنة (ثلاث وثلاثين ومائتين)، ومات به. يُنظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ١/٨٨-٨٨.

(٤) الفتح: ١٠.

يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ^(١) فقلت: إنهم كثير، قال: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ^(٢)﴾^(٣).

احتج ابن أبي دُواد بالآيات القرآنية في رده على أبي العيناء ثلاث مرات، وجاءت ردوده باستعمال استراتيجية الاحتجاج بالآيات القرآنية دليلاً قاطعاً وبرهاناً ناصعاً، واستعمل استراتيجية الاحتجاج؛ لأنها أداة عقلية لجأ إليها في موقف اقتضى منه إثبات قدرة أبي العيناء على مواجهة القوم من أهل البصرة، وقطع الشك باليقين من القرآن الكريم؛ لإقناعه بقدرته على مواجهتهم.

وخطب عبد الملك بن صالح بأهل الشام قائلاً: ((أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٤)؟ يا أهل الشام، إن الله وصف إخوانكم في الدين، وأشباهكم في الأجسام فحذرهم نبيّه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ، وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ، يَحْسُبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ، هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ، قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنْى يُؤْفَكُونَ﴾^(٥)؟ فقاتلكم الله أنى تُصْرَفُونَ؟ جُنْتُ ماثلة، وقلوب طائرة، تشبّون الفتن، وتولّون الدبر، إلا عن حرم الله فإنه دريتكم^(٦)، وحرم رسوله، فإنه مغزاكم، أما وحُرمة النبوة والخلافة لتنفرن خفافاً وثقالاً^(٧)، أو لأوسعنكم إرغاماً ونكالاً^(٨))).

استعمل عبد الملك بن صالح استراتيجية الاحتجاج بالآيات القرآنية مرتين في خطابه، واحتج بها على أهل الشام؛ لأنهم لم يخرجوا لقتال الأعداء وشبههم بالذين ذكروا في القرآن والذين حذر منهم الله (ﷺ) النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فاحتج عليهم بكلام الله مهدداً ومتوعداً.

(١) فاطر: ٤٣.

(٢) البقرة: ٢٤٩.

(٣) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١٥٠/٣.

(٤) محمد: ٢٤.

(٥) المنافقون: ٤.

(٦) الدريئة: الحلقة التي يتعلم الزامي الطعن والزمي عليها. يُنظر: لسان العرب: ١/٧٤.

(٧) مقتبس من قوله تعالى: ﴿انفروا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ التوبة: ٤١.

(٨) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٩٢/٣.

٢- الأحاديث النبوية:

انصرف النحاة على اختلاف مذاهبهم ومواطنهم عن السنة والاحتجاج بها^(١). ونلاحظ هذا الانصراف في جمهرة خطب العرب أيضاً، إذ ورد الاحتجاج بالأحاديث النبوية في مواضع قليلة^(٢)، منها مقام الأوزاعي^(٣) بين يدي المنصور، الذي قال: دخلت على المنصور، ((فقال لي: لي: ما الذي بطأ بك عني؟ قلت: يا أمير المؤمنين، وما الذي تريد مني؟ فقال: الاقتباس منك، قلت: أنظر ما تقول، فإنَّ مَحْوَلًا^(٤) حدثني عن عطية بن بشير أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: (من بلغه عن الله نصيحة في دينه، فهي رحمة من الله سِيَقَتْ إليه، فإنَّ قَبْلَهَا من الله بشكر، وإلاَّ كانت حُجَّة من الله عليه، ليزداد إثماً، ويزداد عليه غَضَباً، وإن بلغه شيء من الحق فرضى فله الرضا، وإن سَخِط فله السُّخْط، ومن كرهه فقد كَرِهَ الله لأنَّ الله هو الحقُّ المبين)^(٥) فلا تجهلنَّ، قال: وكيف أجهل؟ قال: تسمع ولا تعمل بما تسمع، قال الأوزاعي: فسَلَّ عليَّ الربيع السيف، وقال: تقول لأمر المؤمنين هذا؟ فانتهره المنصور، وقال:

(١) يُنظر: الاستشهاد والاحتجاج باللغة، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث: ١٠٩.
(٢) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/٢٥٥-١٢٣، ٣٠٣-١٨٣، ٢/٢٢-١٨، ٤٦-٤٩/٣.

(٣) عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي، فقيه ومحدِّث وإمام أهل زمانه، ولد ببعلبك سنة (٨٨هـ)، ونشأ بالبقاع يتيمًا في حجر أمه، وكانت تنتقل به من بلد إلى بلد، أدرك خلقًا من التابعين، وحَدَّث عنه جماعات من سادات المسلمين منهم مالك بن أنس والزهري، اجتمع بالمنصور حين دخل الشام ووعظه وقد أحبه المنصور وعظَّمه، رحل بأهله وأولاده إلى بيروت سكن دمشق، وبها توفي سنة (١٥٧هـ) في آخر خلافة المنصور، والأوزاعي: نسبة إلى أوزاع، وهي بطن من ذي الكلاع من اليمن، وقيل بطن من همدان، وقيل الأوزاعي: قرية بدمشق. يُنظر: البداية والنهاية: ١/١١٥-١٢٠، تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ١٧/٣٠٧-٣١٥.

(٤) مكحول بن عبدالله الشامي، معلم الأوزاعي، وكان من سبي كابل، مولى سعيد بن العاص؛ فَوَّهه لامرأة من من هُدِيل فأعتقته، قال الزهري: العلماء أربعة: سعيد بن المسيب بالمدينة، وعامر الشعبي بالكوفة، والحسن بن أبو الحسن بالبصرة، ومكحول بالشام، ولم يكن في زمنه أبصر بالفنِّاء منه، سمع عن أنس بن مالك وغيره، توفي سنة ثمان مئة. يُنظر: طبقات الفقهاء، الشافعي، تح: د. إحسان عباس: ٧٥، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال: ٢٨/٤٦٤-٤٧٣.

(٥) ورد الحديث هكذا: عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أَيُّمَا عَبْدٍ جَاءَتْهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ اللَّهِ فِي دِينِهِ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ مِنْ اللَّهِ سِيَقَتْ إِلَيْهِ، فَإِنْ قَبْلَهَا بِشُكْرٍ، وَإِلَّا كَانَتْ حُجَّةً مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ لِيُزَادَ بِهَا إِثْمًا وَيَزْدَادَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطًا)). يُنظر: الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك، أبو حفص البغدادي المعروف بابن شاهين، تح: محمد حصن محمد حصن إسماعيل: ١/١٥٢، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني: ٦/١٣٦.

أَمْسِكْ، ثُمَّ كَلَّمَهُ الْأَوْزَاعِي... قَالَ: إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ مِنْ هَذِهِ الْخَلَافَةِ بِالَّذِي أَصْبَحْتَ بِهِ، وَاللَّهُ سَأَلْتُكَ عَنْ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، وَفَتِيلِهَا وَنَقِيرِهَا^(١)، وَلَقَدْ حَدَّثَنِي عُروَةُ بْنُ رُوَيْمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآلِهِ] وَسَلَّمَ قَالَ: (مَا مِنْ رَاعٍ يَبِيتُ غَاشًّا لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ)^(٢) فَحَقِيقٌ عَلَى الْوَالِي أَنْ يَكُونَ لِرَعِيَّتِهِ نَازِلًا، وَلَمَّا اسْتَطَاعَ مِنْ عَوْرَاتِهِمْ سَاتِرًا، وَبِالْقِسْطِ فِيمَا بَيْنَهُمْ قَائِمًا... وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَا فِي يَدِكَ لَا يَغْدِلُ شَرْبَةً مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ، وَلَا ثَمَرَةً مِنْ ثَمَارِهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآلِهِ] وَسَلَّمَ: (لَقَابُ^(٣) قَوْسٍ أَحَدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، أَوْ قُدَّةٌ^(٤)) خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِأَسْرَها^(٥) إِنَّ الدُّنْيَا تَنْقُطُ وَيَزُولُ نَعِيمُهَا، وَلَوْ بَقِيَ الْمَلِكُ لِمَنْ قَبْلُكَ لَمْ يَصِلْ يَصِلْ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ... أُعِيدُكَ بِاللَّهِ أَنْ يُخَيَّلَ إِلَيْكَ أَنَّ قَرَابَتَكَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآلِهِ] وَسَلَّمَ تَنْفَعُكَ مِنَ الْمَخَالَفَةِ لِأَمْرِهِ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآلِهِ] وَسَلَّمَ: (يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، اسْتَوْهَبَا أَنْفُسَكُمَا مِنَ اللَّهِ، إِنِّي لَا أُغْنِي عَنْكُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا)^(٦)، وَكَانَ جَدُّكَ الْأَكْبَرُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآلِهِ] وَسَلَّمَ إِمَارَةً، فَقَالَ: (أَيُّ

(١) الفتل: ما يكون في شِقِّ النَّوَاةِ كَأَنَّهُ قَدْ قُتِلَ، وَالتَّقِيرُ: نُكْتَةٌ فِي ظَهْرِ النَّوَاةِ. يُنْظَرُ: مَقَابِيسُ اللُّغَةِ: ٤/٧٢، وَنَفْسُهُ: ٥/٤٦٩ (نَقْر).

(٢) وَرَدَ الْحَدِيثُ هَكَذَا: عَنْ مَكْحُولٍ عَنْ عَطِيَّةٍ عَنْ بَسْرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): ((يَأْمُرُ إِمَامٌ بَاتَ غَاشًّا لِرَعِيَّتِهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَأَدْخَلَهُ النَّارَ))، وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْجَعْدِ: ((مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ غَاشًّا لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ)). يُنْظَرُ: الْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ، سُلَيْمَانُ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ، تَح: حَمْدِي عَبْدُ الْمَجِيدِ السَّلْفِي: ٢٠/٢٠٧، وَحُلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ وَطَبَقَاتُ الْأَصْفِيَاءِ: ٦/١٢٦.

(٣) الْقَابُ: مَا بَيْنَ الْمَقْبِضِ وَالسَّيَةِ، وَلِكُلِّ قَوْسٍ قَابَانِ. يُنْظَرُ مَقَابِيسُ اللُّغَةِ: ٥/٤٦.

(٤) الْقُدَّةُ: رِيْشُ السَّهْمِ. يُنْظَرُ: نَفْسُهُ: ٥/٦ (قَدْ).

(٥) وَرَدَ الْحَدِيثُ هَكَذَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: ((وَاللَّهُ لَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ أَوْ سَوْطِهِ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ))، وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): ((لَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الدُّنْيَا، لَمَلَّتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحَ الْمِسْكِ، وَلَطِيبَ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)). يُنْظَرُ: مُسْنَدُ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوِيَةَ، ابْنُ رَاهَوِيَةَ، تَح: د. عَبْدِ الْغَفُورِ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ الْبُلُوشِي: ١/٤٥٠، وَمُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، ابْنُ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ، تَح: شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوطُ، وَعَادِلُ مَرْشَدٍ، وَآخَرُونَ: ٢٠/٥٣.

(٦) وَرَدَ الْحَدِيثُ هَكَذَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): ((يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَيَا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنِّي لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ))، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: ((يَا بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، يَا أُمَّ الزُّبَيْرِ بِنِ الْعَوَّامِ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، اشْتَرِي أَنْفُسَكُمَا مِنَ اللَّهِ لَا أَمْلِكُ لَكُمَا مِنْ=

عَمَ، نَفْسٌ تُحْيِيهَا، خَيْرُ لَكَ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا^(١) نَظَرًا لِعَمِّهِ، وَشَفَقَةً عَلَيْهِ أَنْ يَلِيَّ فَيَجُورَ عَنْ سُنَّتِهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، فَلَا يَسْتَطِيعُ لَهُ نَفْعًا، وَلَا عَنْهُ دَفْعًا، هَذِهِ نَصِيحَتِي إِنْ قَبِلْتَهَا فَلِنَفْسِكَ عَمَلْتُ، وَإِنْ رَدَدْتُهَا فَنَفْسُكَ بَخَسَتْ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلْخَيْرِ وَالْمَعِينُ عَلَيْهِ، قَالَ: بَلَى، نَقَبْلُهَا وَنَشْكُرُ عَلَيْهَا، وَبِاللَّهِ نَسْتَعِينُ^(٢).

استعمل الأوزاعي استراتيجية الإقناع بالاحتجاج بالحديث النبوي أربع مرات؛ للتأثير بالمنصور، وإقناعه بضرورة المعاملة الحسنة للرعية، وترك الدنيا ومغرياتها؛ لأنَّ قرابته من الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تبعده عن النار، ولا تقرِّبه من الجنة، والعمل هو الفاصل بينهما.

وفي خطبة احتج بها الإمام الحسن (عليه السلام) على معاوية والرهط الذين كانوا في مجلسه (عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة، وعتبة بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة) عندما دعوه لمجلس معاوية، محاولةً لتقليل من شأنه (عليه السلام)، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم قال: ((أما بعد يا معاوية، فما هؤلاء شتموني، ولكنك شتمتني، فُحْشًا أَلْفَتْهُ، وسوء رأي عُرِفَتْ به، وَخُلُقًا سَيِّئًا ثَبَّتَ عَلَيْهِ، وَبَغْيًا عَلَيْنَا، عداوة منك لمحمد وأهله، ولكن اسمع يا معاوية واسمعوا، فَلَا تَقُولُنَّ فِيكَ وَفِيهِمْ مَا هُوَ دُونُ مَا فِيكُمْ، ... أَنشُدُكَ اللَّهَ يَا مُعَاوِيَةَ أَتَذْكُرُ يَوْمًا جَاءَ أَبُوكَ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرٍ، وَأَنْتَ تَسُوقُهُ، وَأَخُوكَ عُتْبَةُ هَذَا يَقُودُهُ، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَقَالَ: (اللَّهُمَّ الْعَنِ الرَّكَّابَ وَالْقَائِدَ وَالسَّائِقَ)^(٣) ... وَأَمَّا أَنْتَ يَا بَنِي الْعَاصِ... فَأَنْتَ عَدُوُّ بَنِي هَاشِمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ثُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ، وَكُلُّ هَؤُلَاءِ الرَّهْطُ يَعْلَمُونَ أَنَّكَ هَجَوْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِسَبْعِينَ بَيْتًا مِنَ الشَّعْرِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

=الله شيئا، سَلَانِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمَا)). يُنْظَرُ: مسند إسحاق بن راهويه: ٢/٢٥١، وصحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر: ١٨٥/٤.

(١) ورد الحديث هكذا، عن محمد بن المنكدر، قال: قَالَ الْعَبَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَسْتَعْمَلُنِي؟ فَقَالَ: يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((نَفْسٌ تُحْيِيهَا خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا)). يُنْظَرُ: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: ٦/٤١٩، والسنن الكبرى، أبو بكر البيهقي، تح: محمد عبد القادر عطا: ١٠/١٦٤.

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٣/٤٩-٥١.

(٣) ورد الحديث هكذا: (لَعَنَ اللَّهُ الْقَائِدَ وَالسَّائِقَ وَالرَّكَّابَ). يُنْظَرُ: البحر الزخار المعروف بمُسْنَدِ الْبَزَّازِ، أبو بكر البزار، تح: محفوظ الرحمن زين الله: ٩/٢٨٦.

عليه وآله: اللهم إني لا أقول الشعر ولا ينبغي لي. اللهم الغنه بكل حَرْفٍ أَلَفَ لعنة^(١)؛ فعليك إذن من الله ما لا يُحصى من اللعن...، وأما أنت يا مغيرة، فلم تكن بخلق أن تقع في هذا وشبهه... وإنَّ حدَّ الله في الزنا لثابت عليك ولقد درأَ عمر عنك حقًّا، الله سائله عنه. لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله: هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوجها؟ فقال: لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم يَنُؤ الزنا، لعلمه بأنك زان...^(٢).

استعمل الإمام الحسن (عليه السلام) استراتيجية الاحتجاج بالحديث النبوي؛ ليثبت للمتلقي (معاوية ومن معه) أنَّ النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد لعن آل أبي سفيان على سوء سيرتهم وأفعالهم، فاحتج بحديث لعن آل أبي سفيان (اللهم العن الرَّاكِب والقائد والسائق)، وعلى عمر بن العاص (فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم إني لا أقول الشعر ولا ينبغي لي. اللهم الغنه بكل حَرْفٍ أَلَفَ لعنة).

واحتج على المغيرة بقول النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما سأله عن النظرة الشرعية في رؤية المرأة التي يُريد الزواج منها، فقال: (لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم يَنُؤ الزنا) محتجًّا على المغيرة علم الرسول بالفواحش التي يرتكبها؛ (لعلمه بأنك زان). فمن هذه سيرته كيف له أن يشتم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وينتقص منه؟ وهو إمام العفة والشرف والعدل والحق. وهم أهل النفاق والغدر والفواحش، فشتان ما بين الفريقين.

٣- الشواهد الشعرية:

الشعر من استراتيجيات الاحتجاج، وبرزت استراتيجية الاحتجاج بالشواهد الشعرية في جمهرة خطب العرب بنسبة كبيرة^(٣)، منها استعطاف الفضل بن الربيع للمأمون عندما ظفّر به بعد أن

(١) لم أجد في كتب الحديث.

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/٢٢-٣٠.

(٣) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/١٢-٤، ٢٧، ١٣-٥، ٣٢-١٥، ٣٦-١٧، ٣٨-٢١، ٤٦-٢٦، ٤٧-٢٧، ٤٧-٢٨، ٤٨-٢٩، ٤٩-٣٠، ٧٣-٤٦، ٩٤-٦١، ١٢٢-٧٦، ١٢٤-٧٨، ١٧٠-٢٥، ١٨٦-٤٢، ٢٦٩-١٤٣، ٣٢٤-٢١٣، ٣٢٥-٢١٤، ٣٨٧-٢٨١، ٣٩١-٢٨٨، ٢/٢٢-١٨، ١٠٦-١٠٢، ١٠٩-١٠٨، ١١٢-١١٠، ١١٤-١١٣، ١٢٥-١١٨، ١٢٧-١١٩، ١٢٦-١٢٤، ١٤٠-١٢٦، ١٥٠-١٣٢، ١٥٦-١٣٥، ١٥٩-١٣٧، ١٦٥-١٤٢، ١٧٤-١٤٦، ١٧٩-١٥١، ١٨٤-١٥٧، ١٩٤-١٦٩، ٢٨٨-٢٧٦، ٢٩١-٢٧٧، ٢٩٥-٢٨٠، ٣٦٥-٣٥٩، ٣٧٥-٣٦٧، ٣٧٨-٣٦٨، ٣٨٠-٣٦٩، ٣٨٤-٣٧١، ٣٩٠-٣٧٦، ٣٩١-٣٧٧=

سبه وشتمه، قال المأمون: ((يا فضل، أكان من حقّي عليك وحقّ آبائي ونعمهم عند أبيك وعندك أن تتلبّني^(١) وتُسبّني وتُحرّض على دمي؟ أحبّ أن أفعل بك ما فعلته بي؟))^(٢).

فقال: ((يا أمير المؤمنين، إنّ عُذري يُحدِّدك إذا كان واضحاً جميلاً، فكيف إذا حَفَّتْهُ العيوبُ، وَقَبَّحَتْهُ الذنوبُ، فلا يضيقُ عني منْ عفوك ما وَسِعَ غيري منك فأنت كما قال الشاعر^(٣) فيك: [من الطويل]

صَفُوحٌ عن الأجرام حتى كأنه من العفو لم يَعْرِف من الناس مُجرماً

وليس يُبالي أن يكون به الأذى إذا ما الأذى لم يَغْشَ بالكُرْه مُسلماً^(٤)

استعمل الفضل بن الربيع استراتيجية الاحتجاج بالشعر؛ لإقناع المأمون واستعطافه بالصفح عنه، وقد أراد تغيير موقف المتلقي من معاقبة المسيء إلى مسامحته والصفح عنه، وسلك طريق الاحتجاج بالأبيات الشعرية؛ لأنَّ ((النص الشعري ليس لعباً بالألفاظ فقط، وليس نقل تجربة فردية فحسب، إنّهُ يهدف كذلك إلى الحثّ والتحريض والإقناع والحجاج. وهو يسعى إلى تغيير أفكار المتلقي ومعتقداته، وإلى دفعه إلى تغيير وضعيّته وسلوكه ومواقفه))^(٥). وكانت غاية الفضل من الاحتجاج إحراج المأمون طالباً منه العطف والصفح عنه، إذ لا حجة للفضل على المأمون يحتج بها إلا طلب الصّح والمسامحة.

وأوصى أسماء بن خارجة^(٦) ابنته عندما زوّجها من الحجاج بن يوسف، قائلاً لها: ((يا بُنَيَّةُ،

= ٣٧٩-٣٩٣، ٣٩٠-٤٠٥، ٣٩٢-٤٠٧، ٣٩٩-٤١٩، ٤٠٧-٤٢٨، ٤٧٧-٥٠٣، ٤٧٧-٥٠٣، ٩-١٥/٣، ١٣-١٨، ٢٦-٣٠،

١٠٩-١١٨، ١١٧-١٢٦، ١٢٠-١٢٩، ١٢٧-١٣٣، ١٣٤-١٤٥، ١٣٦-١٤٧.

(١) تَلَبَّه: عابه، وذو تَلَبٍّ أي عيب. يُنظر: مقاييس اللغة: ١/٣٨٥ (تلب).

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٣/١١٨.

(٣) الحسن بن رجاء بن أبي الضحاك. يُنظر: غرر الخصائص الواضحة وُغُرر النقائض الفاضحة: ١/٤٧٣.

(٤) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٣/١١٨.

(٥) استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٥٤٣.

(٦) أسماء بن خارجة بن حصن بن حُذَيْفَة بن بدر الفزاري، أبو حَسَّان، وقيل: أبو محمد الفزاري الكوفي، من أشراف العرب، روى عن الإمام علي (عليه السلام)، كانت بنته زوجاً للحجاج بن يوسف الثقفي، وكان ابنه مالك عاملاً للحجاج على الحيرة، وصهره، مات سنة ست وستين وهو ابن ثمانين سنة. يُنظر: تهذيب التهذيب: ١/٢٦٧-٢٦٩.

إِنَّ الْأَمَهَاتِ يُوَدَّبْنَ الْبَنَاتِ، وَإِنَّ أُمَّكَ هَلَكَتْ وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ، فَعَلَيْكَ بِأَطْيَبِ الطَّيِّبِ الْمَاءِ، وَأَحْسَنِ الْحُسْنِ الْكُحْلِ، وَإِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الْمَعَاتِبَةِ، فَإِنَّهَا قَطِيعَةٌ لِلوَدِّ، وَإِيَّاكَ وَالْغَيْرَةَ، فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ الطَّلَاقِ، وَكَوْنِي لَزَوْجِكَ أُمَةً، يَكُنْ لَكَ عَبْدًا، وَعَلِمِي أَنِّي الْقَائِلُ لَأُمَّكَ: [من الطويل]

خَذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي وَلَا تَنْطَقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضَبُ

وَلَا تَقْرِينِي نَقْرَةَ الدُّفِّ مَرَّةً فَإِنَّكَ لَا تَدْرِينَ كَيْفَ الْمَغِيبُ

فَإِنِّي وَجَدْتُ الْحَبَّ فِي الصَّدْرِ وَالْأَدَى إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثِ الْحَبُّ يَذْهَبُ^(١) ((٢)).

استعمل أسماء بن خارجة استراتيجية الاحتجاج بالشعر؛ لإقناع ابنته وتثبيت الأمور التي أراد منها أن تتصف بها. واحتج عليها بالأبيات الشعرية التي قالها لأُمها، ولا سيما إن كانت هذه الكلمات من الأب للأُم، والأُم كانت تعمل بها، وأغلب البنات يحبين أن يوصفن بأُمهاتهن، ولأنَّه يُدرك وقع كلمات الأب على ابنته ومدى تأثيرها في نفسها؛ لأنَّ ((أي نص شعري أو أدبي تكون له إلى جانب الوظيفة الشعرية، وظائف أخرى، مثل الوظيفة الانفعالية والوظيفية التوجيهية الإقناعية، والتي يعبر عنها بالتعجب والندبة والاستغاثة والأمر والنداء، أو بأسماء الأفعال والروابط التداولية (الحاجية))^(٣). ونلاحظ في هذا الخطاب الوظيفة التوجيهية الإقناعية للنص الشعري، وقد استعمل أسماء بن خارجة الأمر في بداية الأبيات (خذي العفو)، واستعمل الروابط الحاجية التي تجسد العلاقة بين ما أراده منها والربط بين تلك الأمور حتى تكون زوجة صالحة؛ باستعمال الروابط (الواو، والفاء).

(١) يُنظر: الظرف والظرفاء، أبو الطيب محمد بن أحمد الوشاء، تح: كمال مصطفى: ١/١٤٩، ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني: ٨٣/٢. وفي الحماسة البصرية، أبو الحسن البصري، تح: مختار الدين أحمد: ٧٦/٢ نُسب إلى عامر بن عمرو بن البكاء.
(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٥٠٧/٢.
(٣) استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٥٤٤.

٤- الأمثال:

الأمثال من مصادر الاستشهاد النثرية، ووردت تقنية الأمثال بنسبة قليلة^(١) في جمهرة خطب العرب، لكنها حققت طموح المرسل في التعبير عن قصده، من ذلك خطبة الإمام علي (عليه السلام) بعد فشل التحكيم بين أبي موسى الأشعري وعمر بن العاص، قال الإمام (عليه السلام): ((الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح^(٢)، والحدّث الجليل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره، وأن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وآله. أما بعد فإنّ معصية الناصح الشفيق العالم المجرب، تُورث الحسرة، وتُعقب الندامة، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري، ونخلت لكم مخزون رأيي، لو كان يُطاعُ لقصير أمر^(٣)، فأبيتُم عليّ إباءَ المخالفين الجفاة، والمنابذين العصاة، حتى ارتاب الناصح بنصحه، وضنّ الرئد بقدره، فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن^(٤): [من الطويل]

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد^(٥)

ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكّمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما، وأحيا ما أمات القرآن، واتبع كل واحد منهما هواه بغير خدى من الله، فحكما بغير حجة بيّنة، ولا

(١) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/٦٦-٤٣، ٧٨-١٢٤، ٨٣-١٣٠، ٨٧-١٣٦، ١٥٩-١٥٨، ٣٩١-٢٨٨، ٤٤١-٣٤١، ٤٥٠-٢٩، ١٨٤-١٥٧، ٢٤٢-٢٢٩، ٢٨٨-٢٧٦، ٣٢٥-٣١٤، ٣٨٥-٣٧٢.

(٢) فَدَحَهُ الدَّيْنُ: أي أَثْقَلَهُ. يُنظر: تاج العروس من جواهر القاموس: ١١/٧ (فدح).

(٣) أصل المثل: لا يُطاعُ لقصير أمر، وقصير مولى جذيمة الأبرش من ملوك الحيرة، وقد كان قد أشار على سيده أن لا يأمن الزبائ ملكة الجزيرة، وقد دعت إليه؛ ليتزوجها، فخالفه وقصد إليها، فلما وجده قصير قد عزم على الأمر قال (لا يُطاعُ لقصير أمر) فذهب مثلاً يضرب للذي يُستشار ويُعصى، وللنصيح يُتهم. يُنظر: جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، تح: د. أحمد عبد السلام، ومحمد سعيد بن بسيوني زغلول: ٣٠٧/٢، ومروج الذهب ومعادن الجواهر: ٢/٧٤-٧٥.

(٤) دريد بن الصمة.

(٥) يُنظر: ديوان دريد بن الصمة، تح: د. عمر عبد الرسول: ٦١. وورد البيت في الديوان هكذا:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

سُنَّة ماضية، واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشد، فبريء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين. اسْتَعِدُّوا وتأهبوا للمسير إلى الشام^(١).

استعمل الإمام علي (عليه السلام) استراتيجية الاحتجاج بالأمثال في قوله: (لو كان يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أمرٌ)؛ ليحاجج المتلقي بنصحه وإرشاده لهم لمعرفة بعواقب الأمور، وكان عليهم السمع والطاعة لا المعصية، التي أدت إلى ما فعله الأشعري من تغيير موقفه بعد أن خدعه عمرو بن العاص. ومن الأمثلة على استراتيجية الاحتجاج بالأمثال في جمهرة خطب العرب خطبة عبيد الله بن زياد لما علم بخبر الكتاب الذي كتبه الإمام الحسين (عليه السلام) إلى أشرف البصرة يستتصرهم، قطع رأس الرسول الذي جاء بالكتاب، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ((أما بعد فوالله ما تُقَرَّن بي الصَّعبة، ولا يقعقع لي بالشَّنان، وإنِّي لنُكَلَّ^(٢) لمن عاداني، أنصف القارة^(٣) من راماها.

يا أهل البصرة: إنَّ أمير المؤمنين ولّاني الكوفة، وأنا غاد إليها الغداة، وقد استخلفت عليكم عثمان بن زياد بن أبي سفيان، وإياكم والخلاف والإرجاف، فوالذي لا إله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خلاف، لأقتلنه وعريفه ووليه، ولأخذنَّ الأدنى بالأقصى حتى تستمعوا لي، ولا يكون مخالف ولا مُشاقّ.

أنا ابن زياد، أشبهته من بين من وطئ الحصى، ولم ينتزعني شبه خال ولا ابن عم^(٤).

استعمل عبيد الله بن زياد استراتيجية الاحتجاج بالمثل ثلاث مرات في قوله: (ما تُقَرَّن بي الصَّعبة، ولا يقعقع لي بالشَّنان... أنصف القارة من راماها). واحتججه بهذه الأمثال فيه تهديد

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٣٩١/١-٣٩٢.

(٢) يُقال إنّه لَنُكَلَّ شَرُّ أي يُنكل به أعداؤه، ويعني هنا القوة على عدوه. يُنظر: لسان العرب: ٦٧٧/١١.

(٣) القارة: قبيلة، وهم قومٌ من رماة العرب. يُضرب المثل؛ لمساواة الرّجل صاحبه فيما يدعوه إليه. وأصل المثل كان في حرب وقعت بين قريش وبكر بن عبد مناة بن كنانة، وكانت القارة مع قريش؛ فلما التقى الفريقان رماهم الآخرون؛ فقبل: قد أنصفوكم إذ قاتلوكم بما تقاتلون به، وجعل المثل شعرا؛ فقبل:

قد أنصفَ القارةَ مَنْ راماها إنّنا إذا ما فتّة نلقاها

نردُّ أولاهَا على آخرها

يُنظر: جمهرة الأمثال: ٤٩/١-٥٠.

(٤) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٤٥/٢.

للمتلق (أهل البصرة) أنه لا يمتثل لما جاء في كتاب الإمام الحسين (عليه السلام) والاستجابة بنصرته، وابتدأ خطابه بالقسم مع المثل؛ ليؤكد للمتلق أن لا يخاف من أصواتهم لأن ((من خصائص المثل أن له طابعاً إقناعياً برهانياً: لأنه يساق للإقناع، ويرد حجة ودليلاً على صدق مساقه، وصحة دعواه))^(١). فهو ليس ذليلاً كالبعير، واحتج بهذين المثليين قبل أن يسترسل بخطابه القائم على التهديد بالقتل في حال مخالفة أوامره. أي إن ما يثبت صدق تهديدات عبيد الله بن زياد وصحتها، هو هذه الأمثال التي ساقها.

٥- القصص:

القصة تعني: الخبر وهو القصص، وقص علي خبره يفصه قصاً وقصصاً، والقصص: الخبر المخصوص بالفتح، وضع موضوع المصدر حتى صار أغلب عليه، والقصص بكسر القاف: جمع القصّة التي تكتب^(٢).

ووردت استراتيجية الاحتجاج بالقصص في جمهرة خطب العرب بنسبة قليلة^(٣)، منها قصص العرب، والقصص القرآني، من ذلك ما احتج به مصعب بن الزبير عندما بعثه عبد الله بن الزبير واليا على البصرة سنة (٦٧هـ)، فصعد المنبر، وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ((بسم الله الرحمن الرحيم طس م~. تلك آيات الكتاب المبين. تتلو عليك من نبي موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون. إن فرعون علا في الأرض، وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم، يذبح أبناءهم، ويستخفي نساءهم، إنه كان من المفسدين (وأشار بيده نحو الشام) ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض وجعلهم أئمةً وجعلهم الوارثين (وأشار بيده نحوه الحجاز) ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون^(٤) (وأشار بيده نحو العراق)))^(٥).

(١) استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٥٤٣.

(٢) يُنظر: لسان العرب: ٧/٧٤ (قصص).

(٣) يُنظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/١٠١-٦٥، ٢٠٤-٦٨، ٢٢٠-٨٦، ٦٠-٤٦، ١٣٦-١٢٤، ١٦٩-١٤٤، ١٧١-١٤٤، ١٨١-١٥٣، ١٩٥-١٧٠، ٣٦٩-٣٦٢.

(٤) القصص: ١-٦.

(٥) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/١٨١.

استعمل مصعب بن الزبير استراتيجية الاحتجاج بالقصص القرآني باستعمال قصة فرعون وموسى، وقصد بإشارته إلى الشام دولة بني أمية إذ وصف عبد الملك بن مروان بفرعون، وإشارته للحجاز أخاه عبد الله بن الزبير، وقصد بإشارته للعراق بفرعون هامان وجنودهما المختار الثقي ومن شايعة.

ومن القصص غير القرآني ما ذكره عبد الملك بن مروان لأهل المدينة عندما حج وأمر فخرجت بدرة^(١) مكتوب عليها من الصدقة، وأبى أهل المدينة قبولها، وقالوا: إنما عطاؤنا من الفيء، وقال عبد الملك وهو على المنبر: ((يا معشر قريش، مثلنا ومثلكم ان أخوين في الجاهلية خرجا مسافرين، فنزلا في ظل شجرة تحت صفاة^(٢))، فلما دنا الرّواح خرجت إليهما من تحت الصفاة حية تحمل ديناراً، فألقته إليهما، فقالا: إنّ هذا لمن كنز، فأقاما عليها ثلاثة أيام، كل يوم تخرج إليهما ديناراً، فقال أحدهما لصاحبه: إلى متى ننتظر هذه الحية؟ ألا نقتلها ونحفر هذا الكنز فنأخذه، فنهاه أخوه، وقال: ما تدري لعلك تغطب ولا تدرك المال، فأبى عليه وأخذ فأساً معه، ورصد الحية حتى خرجت، فضربها ضربة جرحت رأسها ولم تقتلها. فثارت الحية فقتلته. ورجعت إلى جحرها. فقام أخوه فدفنه وأقام حتى إذا كان من الغد خرجت الحية معصوباً رأسها، ليس معها شيء. فقال لها: يا هذه إني والله ما رضيت ما أصابك، ولقد نهيت أخي عن ذلك، فهل لك أن نجعل الله بيننا أن لا تضريني ولا أضرك وترجعين إلى ما كنت عليه؟ قالت الحية: لا؟ قال: ولم ذلك؟ قالت: إني لأعلم أنّ نفسك لا تطيب لي أبداً وأنت ترى قبر أخيك، ونفسي لا تطيب لك أبداً وأنا أذكر هذه الشجرة^(٣)، وأنشدهم شعر النابغة: [من الطويل]

فقال أرى قبراً تراه مقابلي وضربة فأس فوق رأسي فاقره^(٤)

(١) البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف دينار أو سبعة. يُنظر: تاج العروس من جواهر القاموس، تح: إبراهيم التريزي: ١٤٢/١٠ (بدر).

(٢) الصفاة: الحجر الصلد الضخم الذي لا يُنبِت شيئاً. يُنظر: لسان العرب: ٤٦٤/١٤ (صفا).

(٣) يُنظر: مجمع الأمثال: ١٤٦/٢، المثل: (كيف أعودك وهذا أثر فأسك)، وهذا من مشاهير أمثال العرب يُضرب لمن لا يفي بالعهد.

(٤) يُنظر: ديوان النابغة الذبياني: ١٥٦. وورد البيت في الديوان هكذا:

أبى لي قبر لا يزال مقابلي وضربة فأس فوق رأسي فاقره

فيا معشر قريش وليكم عمر بن الخطاب، فكان فظاً غليظاً مضيّقاً عليكم، فسمِعتم له وأطعتم، ثم وليكم عثمان فكان سهلاً، فعَدَتم عليه فقتلتموه، وبعثنا عليكم مُسلماً^(١) يوم الحرّة فقتلناكم، فنحن نعلم يا معشر قريش أنكم لا تحبوننا أبداً، وأنتم تذكرون يوم الحرّة، ونحن لا نحبكم أبداً ونحن نذكر قتل عثمان^(٢).

استعمل عبد الملك بن مروان استراتيجية الاحتجاج بالقصة؛ لإقناع أهل المدينة بما أعطاهم من الصدقة، واحتج بقصة الحية والأخوين؛ لأنّه أدرك أنّها الاستراتيجية التواصلية التخاطبية الأفضل؛ لتحقيق مقصدية خطابه. وغايته إقناعهم أن يرضوا بما أخرج لهم من العطاء؛ لأنّ هذه الحكاية تُظهر سر المكافأة، وإنّ الأخ الذي قتلته الحية لو اتقى الله ولم يضع الشر موضع الخير وشكر صنيع الحية؛ لازداد مالا وعمرًا. أي إنّ عبد الملك أراد منهم قبول الخير القليل الذي قدّمه لهم، وإلّا فمصير الاعتراض القتل.

٦- الوقائع:

الوقائع Les faits ((تمثل ما هو مشترك بين عدّة أشخاص أو بين جميع الناس، والوقائع لا تكون عرضة للدّحض أو الشك، وهي تشكل نقطة انطلاق ممكنة للحجاج، وتنقسم الوقائع إلى وقائع مشاهدة معاينة من ناحية، ووقائع مفترضة faits supposes من ناحية أخرى. وهذان النوعان من الوقائع قد يفقدان لسبب أو لآخر طابعهما الذي يجعل منهما وقائع بمعنى حقائق ولكن من حيث هما وقائع فإنّهما يكونان متطابقين مع بنى الواقع التي يسلم بها الجمهور. والتسليم بالواقعة من قبل الفرد ليس إلا تجاوبا منه مع ما يفرض نفسه على جميع الخلق إذ الواقع يقتضي إجماعاً كونياً^(٣)). وهي من الحجج المؤسّسة على بنية الواقع التي لا يبتكرها الخطيب إذ الأشياء فيه موجودة في الواقع، وما على الخطيب إلا الإشارة إليها، ولا يبتدع الخطيب شيئاً

(١) مُسلم بن عُقبة بن رياح بن أسعد المري، صاحب وقعة الحرّة. وذلك أنّ أهل المدينة كانوا كرهوا خلافة يزيد بن معاوية وخلعوه وحاصروا من كان بها من بني أمية وأخافوهم، فوجه يزيد مسلم بن عقبة، دعا الناس للبيعة ليزيد، وقد أباح المدينة ثلاثاً: فقتل، ونهب، وسبي، وكانت هذه الوقعة سنة ثلاث وستين، ومات مسلم سنة أربع وستين بجبل المشلل. يُنظر: البداية والنهاية: ٢١٩/٨-٢٢١، وجُمِل من أنساب الأشراف: ٣٤٠/٥-٣٥٠.

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١٩٥/٢-١٩٦.

(٣) الحجاج أطره ومنطقاته من خلال (مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة) لبرلمان وتيتيكاه، بحث ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمّادي صمود: ٣٠٨.

استعمل الإمام الحسن (عليه السلام) استراتيجية الاحتجاج بالوقائع؛ ليبرر سبب مصالحته لمعاوية واحتج عليهم بما هو موجود ويعرفوه من واقع بقتل الإمام علي (عليه السلام)، وقيام رجل من الخوارج ببطئ الخنجر، ونهيبهم لسُرادق الإمام الحسن (عليه السلام) حتى يساطه الذي كان تحته^(٤).

ونجد استراتيجية الاحتجاج بالواقع في مقال معاوية وقيس بن سعد عندما دخل مع جماعة من الأنصار على معاوية بعد استشهاد الإمام علي(عليه السلام) ووقوع الصلح، قال لهم معاوية: ((يا معشر الأنصار، بِمَ تطلبون مَا قَبْلِي؟ فوالله لقد كنتم قليلاً معي، كثيراً مع عليّ، ولقد فَالَّكُم حَدِّي يوم صفين، حتى رأيت المنايا تَلْطِئُ^(٥) في أسننكم، وهجوتموني في أسلافي بأشدّ من وقع الأسيّة، حتى إذا أقام الله منا ما حاولتم ميّله، قلتم اِرْعَ فينا وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هيهات يأبى الحَقِير العُدْرَةَ))^(٦). رد قيس فقال: ((نطلب ما قَبْلَكَ بالإسلام الكافي به الله، لا بِمَا نَمْتُ بِهِ إِلَيْكَ من الأحزاب. وأما عداوتنا لك فلو شئت كَفَفْتَهَا عَنْكَ. وأما هَاجُواْنَا إِيَّاكَ فَقَوْلٌ يزول باطله، ويثبت حقه. وأما استقامة الأمر فَعَلَى كُرْهِ كَانَ مِنَّا. وأما فَلْنَا حَدَّكَ يوم صفين فإنا كنا مع رجل نرى طاعته لله طاعةً، وأما وصية رسول الله صلى الله

(٦) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١٤٥/٢.

عليه[وآله] وسلم بنا، فمن آمن به رعاها بعده. وأما قولك يأبى الحقير الغدرة، فليس دون الله يد تحجزك منا يا معاوية^(١). فقال معاوية يمّوه^(٢): ((ارفعوا حوائجكم))^(٣).

استعملا معاوية وقيس بن سعد استراتيجية الاحتجاج بالوقائع، كلاهما ذكر وقعة صفين، فقد أحتج بها معاوية على الأنصار في قوله: (لقد فُلِّلْتُم حُدِّي يوم صفين حتى رأيت المنايا تَلْظِي في أسِنَّتكم) وفي قوله كناية عن شدة قتالهم ضده في وقعة صفين، واحتج بها قيس في قوله: (أما فَلْنَا حَدَّكَ يوم صفين فإننا كنا مع رجل نرى طاعته لله طاعةً). رد قيس بن سعد على معاوية بالحجة نفسها التي احتج بها، لكن احتجاج قيس بن سعد كان أقوى لأنه في صف الإمام علي(عليه السلام) لأنه رجل يطيع الله(ﷻ). ويكمن الاحتجاج بالوقائع في رد فعل معاوية بعد سماع هذا الرد، إذ لجأ إلى تمويه كلامه بقوله: ((ارفعوا حوائجكم)) من دون الرد عليه.

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١٤٦/٢.

(٢) مائة الشيء بالشيء مؤها: خَلَطَهُ، ومؤه عليه الخبر إذا أخبره بخلاف ما سألَه عنه. يُنظر: لسان العرب: ٥٤٥/١٣.

(٣) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١٤٦/٢.

الختام

ها هنا تحط الركاب، وفي نهاية المطاف تُجنى الثَّمار، ونتاج دراستي لجمهرة خطب العرب جنيت منها:

١- لكل خطاب سياقه وكل سياق يفرض استعمال استراتيجية معينة خاصة بذلك الخطاب، ولكن بعض المواضيع يَطْرَد فيها استعمال استراتيجية واحدة، مثل: الترغيب، والدعوة إلى الجهاد، وبناء الأخلاق، ووصايا الآباء إلى الأبناء، وهذه المواضيع أطردت في الاستراتيجية التضامنية، إذ بتحليل بعض الخطابات يظهر أن الاستراتيجية التضامنية من الاستراتيجيات الفعّالة في كتاب جمهرة خطب العرب، فقد أسهمت في تثبيت العلاقات التخاطبية بين طرفي الخطاب؛ لتدل على كفاءة المرسل، والاستفادة من المعجم اللغوي لديه، واستعمال الاستراتيجية التضامنية مرهون ببعض العوامل التي يتأسس عليها الخطاب منها: قصد المرسل، والسياق، وهدف الخطاب.

٢- اعتمد قسم من الخطباء على الاستراتيجية التضامنية في جمهرة خطب العرب؛ لأنها الأنسب لتحقيق غايات المرسل وتلبية طموحه بالتأثير في المتلقي، إذ ليس هناك طريق أفضل إلى نفس المتلقي من التقرب إليه ومعاملته بأسلوب لين وسلسل ينم عن حسن العلاقة بينهما، ولكن هذا لا يعني أنّ المرسل في كل خطباته يفضل مصلحة المتلقي وتضامن معه، بل أنّ ما تم تحليله من خطابات كشف عن أنّ التضامن قد يكون من وجهة سلبية بغية تحقيق المرسل لغاياته على حساب المتلقي.

٣- أوضحت الدراسة أنّ الاستراتيجية التوجيهية في جمهرة خطب العرب، برزت بصورة واضحة لتوجيه المتلقي لما فيه مصلحته وأحيانا لما فيه مصلحة المرسل وخسارة المتلقي، أي لغايتين إيجابية وسلبية ظهرت لنا من تحليل بعض الخطابات، مثل تقنية الأمر بالغاية الإيجابية في وصية الإمام علي (عليه السلام) لقيس بن سعد، والغاية السلبية التي يُراد منها فرض السُلطة بحدّ السيف في خطبة الحجاج حين تولى العراق، وسلبيتها باللفظ المعجمي (أمرته) في خطبة الحجاج أيضا حين أراد الحج. والغاية الإيجابية للنهي التي تعود بالنفع والفائدة للمتلقي في وصية مُسلم بن قتيبة الباهلي وهي الغاية الأكثر في خطب جمهرة العرب، وباللفظ المعجمي (أنهاكم) في وصية قيس بن زهير لبني النمر، والسلبية التي تؤثر على المتلقي والمجتمع ما جاء في وصية دؤيد بن

زيد لبنيه وهي الأقل إذ اقتصر على هذا الموضع فقط؛ وهذا يؤكد أن النهي لا يكون عن أمور تضر المتلقي، بل وتنفعه أيضا.

٤- كشفت الدراسة لألفاظ المعجم استراتيجية توجيهية بارزة في جمهرة خطب العرب، وتعد من استراتيجيات الخطاب السلطوي، يستعمل المرسل فيها الدرجة الصريحة الأولى من اللفظ، وقد تداخلت هذه الاستراتيجية التوجيهية مع استراتيجية التأثير إذ كشفنا أن الخطيب يستعملها في المواضع التي يأمن فيها من المتلقي الامتثال لأوامره حتى لا يؤول خطابه تأويلاً آخر يجعله بعيداً عن قصد المرسل، وهذا واضح في بعض الخطابات التي تم تحليلها.

٥- ورد استعمال الأسلوب التوجيهي بتقنية الألفاظ المعجمية في جمهرة خطب العرب سلساً مؤثراً في المتلقي لا سيما في المواضع التي يستعمل فيها الخطيب مادة ألفاظ النهي؛ للتخفيف من حدة النواهي مع ملاحظة تأكيد هذه الخطابات بالضمير (إني) في كل سبب توجيهي يُقدم للمتلقي؛ ليجعل الخطيب نفسه أقرب مثال حتى يقنعهم بالابتعاد عما نهاهم عنه، وهذا يؤكد تداخل التوجيه مع التأثير على نحو ما جاء في تحليل وصية قيس بن زهير، وألفاظ التحذير في خطبة طاهر بن الحسين، ومن جانب آخر نجد بعض الخطابات التوجيهية ذات أسلوب توجيهي ترهيبى قائم على الشدة والعقاب بألفاظ (أوصيته، وأمرته) منها خطبة الحجاج عندما أراد الحج وأوصى ابنه بالشدة في معاملة الناس، ولفظ الأمر يدل على تلك السلطة.

٦- بينت الدراسة أن تقنية الإغراء من استراتيجيات الخطاب السلطوي، يوظفها المرسل لتحقيق غايات إيجابية فقط تصب في مصلحة المتلقي منها خطبة الحسن البصري، وخطبة أبي بكر وهذا ما يميزها من غيرها من الاستراتيجيات التوجيهية التي مر ذكرها آنفاً. في حين تمثلت تقنية التحذير؛ لتحقيق غايات المرسل، والمفترض أن تكون إيجابية وهو ما متعارف عن التحذير، بأنه دعوة لاجتناب الأمور السيئة لكن في جمهرة خطب العرب كانت غايتين إيجابية منها وصية قيس بن عاصم لبنيه، وباللفظ المعجمي في خطبة طاهر بن الحسين، وخطبة عمرو بن سعيد الأشدق في أهل مكة، والغاية السلبية تجسدت في خطبة عتبة بن أبي سفيان في تهديد أهل مصر.

٧- أوضحت الدراسة أنّ تقنية الاستفهام تراصفت مع أسلوب النداء خاصّة، وشغلت أقل نسبة في جمهرة خطب العرب؛ لأنّ أغلب الأحداث السياسية كانت معروفة لا تحتاج لهذا الاستفهام الذي يحصر المتلقي في زاوية معينة لتذكيره بما جرى، لكنه جاء على سبيل الإنكار أو التوبيخ، ونجدها إيجابية كما في خطبة مُحمّد بن الحنفية في الردّ على ابن الزبير، وأحياناً سلبية كما في خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي بعد موقعة دير الجماجم.

٨- كشفت الدراسة أنّ تقنية العوامل الحجاجية من استراتيجيات الإخضاع والتوجيه كما يستعملها المرسل في خطابه، ليؤثر في المتلقي بالتهديد والترهيب ليضمن خضوعه له، وهذا ما وجدناه في تحليل خطبة عثمان بن حيان المري بأهل المدينة عندما تولّاها، وخطبة الضحاك بن قيس الفهري بأهل الكوفة حينما بلغه شتمهم لعثمان. أما استراتيجية التوجيه بعامل النفي إما أن تصب في مصلحة المتلقي كما في خطبة: الإمام الحسين (عليه السلام)، التي فضّل فيها مصلحة أصحابه وأهل بيته واراد منهم الذهاب قبل بدء المعركة على الرغم من أنّه ليس لديه ناصر غيرهم، ومن الخطب من يقنع فيها المرسل المتلقي بما يصب في مصلحته هو من دون المتلقي، وهذا ما جاء في خطبة الحجاج بأهل الكوفة؛ ليؤثر فيهم ويوجههم بضرورة القبول بسياسته. وقد أثبتت الدراسة أن عاملية أدوات النفي من الاستراتيجيات التي يستند إليها المرسل؛ لتوجيه المتلقي الوجهة التي يريدّها هو، ويبقى الخيار للمتلقي بالرفض أو القبول.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الكتب المطبوعة:

(الألف)

- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية - مصر، (د. ط)، ٢٠٠٢م.
- الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، أعتنى به وعلق عليه: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- الأساليب الانشائية في النحر العربي، عبد السلام محمد هارون، مطبعة الخانجي - القاهرة، ط ٥، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي (عليه السلام) مقارنة تداولية، د. باسم خيرى، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، ط ١، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.
- استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٤م.
- الاستشهاد والاحتجاج باللغة، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث د. محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة - مصر، ط ٣، ١٩٨٨م.
- الاستعارة في النقد الأدبي الحديث الأبعاد المعرفية والجمالية، د. يوسف أبو العدوس، الأهلية للنشر والتوزيع - عمان، ط ١، ١٩٩٧م.
- الاستلزام الحوارى في التداول اللسانى من الوعى بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، العياشى أدراوى، دار الأمان - الرباط، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف عبد الله محمد عبد البر، تح: محمد علي البجاوي، دار الجيل - بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم النبا، ومحمد أحمد عاشور، ومحمود عبد الوهاب فايد، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة، (د. ت).
- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٥، ١٩٧٥م.
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركليّ الدمشقيّ (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين - بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م.
- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: مصطفى السقا، دار الكتب المصرية - القاهرة، (د. ط)، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.
- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، د. فاضل مصطفى الساقى، تقديم: د. تمام حسان، مكتبة الخانجي - القاهرة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- أمالي المرتضى، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي - القاهرة، (د. ط) ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تح: أ. علي شيري، دار الأضواء - بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٠م.
- الأمثال المولدة، أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي (ت ٣٨٣هـ) تحقيق وتقديم: محمد حسين الأعرجي، المجمع الثقافي - أبو ظبي، (د. ط)، ٢٠٠٣م.
- الأنساب، عبد الكريم التميمي السمعاني (ت ٥٦٢هـ)، تحقيق: الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الهند، ط ١، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

- الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة - دراسة نحوية تداولية، د. خالد ميلاد، المؤسسة العربية للتوزيع: منوبة - تونس، ط ١، ٢٠٠١م.
- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمّادي صمود، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية - تونس، (د.ت).
- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني - بيروت، ط ٦، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(الباء)

- البراغمية، وليم جيمس، ترجمة: وليد شحادة، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سورية، ط ١، ٢٠١٤م.
- البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، جيزة - مصر، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- البحر الزخار المعروف بمُسند البزار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خالد العتكي المعروف بالبزار (ت ٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، ١٩٩٢م.
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط ٧، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(التاء)

- تأويل مُشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث - القاهرة، ط ٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)،
الجزء الثاني تحقيق: علي هاللي، ط ٢، ٢٠٠٤ م، والجزء الثالث (د.ط)، (د.ت)، والجزء
الرابع تحقيق: عبد العليم الطحاوي، راجعه: محمد بهجة الاثري، و عبد الستار أحمد
فراج، ط ٢، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، والجزء السابع تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ٢،
١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، والجزء العاشر تحقيق: إبراهيم التريزي، راجعه: د. محمد سلامة
رحمة، ومصطفى حجازي، ود. عبد الطيف محمد الخطيب، الكويت، ط ١، ١٤٢١ هـ
- ٢٠٠٠ م، والجزء تسعة وثلاثون تحقيق: عبد المجيد قطامش، الكويت، ط ١، ١٤٢٢ هـ
- ٢٠٠١ م، مطبعة حكومة الكويت.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تح: د. بشار
عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)،
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - مصر، ط ٢، ١٩٦٨ م.
- تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله المعروف بابن
عساكر (ت ٥٧١هـ)، دراسة وتحقيق: مُحِبّ الدين أبي سعيد عمرو بن غرامة العمروي،
دار الفكر، بيروت - لبنان، (د.ط)، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- التاريخ المعتبر في أنباء مَنْ غُبر، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي
الحنبلي (ت ٩٢٨هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين
طالب، دار النوادر (سورية، ولبنان، والكويت)، ط ١، ١٤٣١ هـ - ٢٠١١ م.
- التحرير والتنوير، الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر - تونس،
(د.ط)، ١٩٨٤ م.
- تجديد المنهج في تقويم التراث، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار
البيضاء - المغرب، ط ٢، (د.ت).
- تحليل الخطاب، ج. بروان و ج. يول، ترجمة: د. محمد لطفي الزليطني، ود. منير
التريكي، مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض، (د.ط)، ١٤١٨ هـ - ١٩٤٧ م.
- تحليل الخطاب وتجاوز المعنى نحو بناء نظرية المسالك والغايات، د. محمد محمد
يونس، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط ١، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م.

- التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق، دار التنوير للطباعة والنشر - بيروت، ط ١، ١٩٩٣ م.
- التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إريد - الأردن، ط ٢، ٢٠١٤ م.
- التداوليات وتحليل الخطاب، د. جميل حمداوي، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط ١، ٢٠١٥ م.
- التداولية، جورج يول، ترجمة: د. قصي العتّابي، الدار العربية للعلوم ناشرون - بيروت، ط ١، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة للنشر والتوزيع - بيروت، ط ١، ٢٠٠٥ م.
- التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع - سوريا، ط ١، ٢٠٠٧ م.
- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول وباك موشر، ترجمة: د. سيف الدين دغفوس و د. محمد الشيباني، مراجعة: د. لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٣ م.
- الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك، أبو حفص البغدادي المعروف بابن شاهين (ت ٣٨٥ هـ)، تحقيق: محمد حصن إسماعيل، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي للنشر والتوزيع - القاهرة، (د. ط)، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.
- التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة، د. محمد داوود، دار غريب للطباعة والنشر - القاهرة، ط ١، ٢٠٠٣ م.
- التعريض في القرآن الكريم، أ. د. إبراهيم محمد عبدالله الخولي، دار البصائر - القاهرة، ط ١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- التعريفات، الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع - القاهرة، (د. ط)، ٢٠٠٤ م.

- التعليقة على المقرب، ابن النحاس، تحقيق: د. جميل عبد الله عويضة، وزارة الثقافة - عمان، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة، ط ١، ١٣٢٦هـ.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أبو الحجاج يوسف المزي (ت ٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عوَّاد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(الجيم)

- جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: أ. د سهيل زكار، ود. رياض زركلي، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، تحقيق: د. أحمد عبد السلام، وأبو هاجر محمد سعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: د. فخر الدين قباوه، وأ. محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(الحاء)

- حاشية الصبَّان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت ١٢٠٦هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية - القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- حفريات المعرفة، ميشال فوكو، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، (بيروت - لبنان، والدار البيضاء - المغرب)، ط ٢، ١٩٨٧م.

- الجِجَاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، د. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٨م.
- الجِجَاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبدالله صولة، دار الفارابي - بيروت - لبنان، ط ٢، ٢٠٠٧م.
- الجِجَاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام)، أ.د. عايد جدّوع حنّون، الإشراف العلمي: دار المؤمن - كربلاء، ط ١، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.
- حلية الأولياء وطبقة الأصفياء، أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٢٠هـ)، مكتبة الخانجي - دار الفكر - مصر، (د. ط)، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- الحماسة البصرية، أبو الحسن البصري (ت ٦٥٩هـ)، تح: مختار الدين أحمد، عالم الكتب - بيروت، (د. ط)، (د. ت).

(الطاء)

- الخطاب، سارة ميلز، ترجمة: عبد الوهاب علوب، دار الكتب والوثائق القومية، مصر - القاهرة، ط ١، ٢٠١٦م.
- الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، أحمد المتوكل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠١٠م.

(الذال)

- دائرة الأعمال اللغوية مراجعات ومقترحات، شكري المبخوت، دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠١٠م.
- دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب - القاهرة، (د. ط)، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مكتبة الخانجي - مطبعة المدني - القاهرة، (د. ط)، (د. ت).

- الدلالة الصوتية في اللغة العربية، د. صالح سليم عبد القادر الفاخري، المكتب العربي الحديث - الإسكندرية، (د. ط)، (د. ت).
- ديوان الخنساء، اعتنى به وشرحه: حمدو طمّاس، دار المعرفة بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ديوان دريد بن الصمة، تحقيق: د. عمر عبد الرسول، دار المعارف القاهرة - مصر، (د. ط)، ١٩٨٥ م.
- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ)، تح: خليل شحادة، دار الفكر - بيروت، ط ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ديوان مسكين الدارمي (ت ٨٩ هـ)، جمع وتحقيق: عبدالله الجبوري، و خليل إبراهيم العطية، مطبعة دار البصري - بغداد، ط ١، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م.
- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - القاهرة، ط ٢، (د. ت).

(الراء)

- الرائد، جبران مسعود، دار العلم للملايين - بيروت، ط ٧، ١٩٩٢ م.
- رسائل الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، (د. ط)، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- الرمز والسلطة، بيير يورديو، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر - المغرب، ط ٣، ٢٠٠٧ م.

(السين)

- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، جمال الدين ابن نباته (ت ٧٦٨ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - مطبعة المدني، القاهرة، (د. ط)، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م.
- السنن الكبرى، الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

(الشين)

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل الهمداني (ت ٧٦٩هـ)، دار التراث - القاهرة، ط ٢٠٠، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام النحوي (ت ٧٦١هـ)، تحقيق محمد أبو فضل عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان وبهامشه حلية اللب المصون على الجوهر المكنون للشيخ أحمد الدمنهوري، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، (د. ط)، (د. ت).
- شرح المفصل، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- شرح نهج البلاغة، ابن أبو الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط ١: ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.
- شعر سحيم بن وثيل الرياحي، جمع وتحقيق: د. محمد فليح حسن الجبوري، دار الرند للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق، ط ١، ٢٠١١م.
- الشكوى والعتاب وما وقع للخلان والأصحاب، أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق: قسم التحقيق بدار الصحابة، دار الصحابة للتراث بطنطا - مصر، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(الصاد)

- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، لبنان - بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- صور من حياة التابعين، د. عبد الرحمن رأفت الباشا، دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط ١٥، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(الطاء)

- طبقات الفقهاء، أبو اسحاق الشيرازي الشافعي (ت ٤٧٦هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الرائد العربي - بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت).
- الطبقات الكبير، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق: د. علي محمد عمر، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، تحقيق: د. عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(العين)

- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، الشيخ بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي (ت ٨٣٢هـ)، تحقيق: فؤاد سيّد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف - الجزائر، والمركز الثقافي العربي - المغرب، والدار العربية للعلوم - بيروت، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع - القاهرة، ط ٤، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب - القاهرة، ط ٥، ١٩٩٨م.
- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تون أ - فان دايك، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب - القاهرة، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، د. عبد السلام عشير، أفريقيا الشرق - المغرب، (د.ط)، (د.ت)، ٢٠٠٦م.
- عيون الأخبار، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، (د.ط)، ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م.

(الغين)

- الغارات، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي (ت ٢٨٣هـ)، تحقيق: السيد جلال الدين المحدث، سلسلة منشورات انجمن آثار ملي - طهران، (د. ط)، (د. ت).
- غرر الخصائص الواضحة و غرر النقائص الفاضحة، أبو إسحاق جمال الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى الكتبي المعروف بالوطواط (ت ٧١٨هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(الفاء)

- فوات الوفيات والذيل عليها، محمد بن شاکر الكتبي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت، (د. ط)، ١٩٧٣م.
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء، المغرب، ط ٢، ٢٠٠٠م.
- في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، د. علي محمود حجي الصراف، دار الشرق مكتبة الآداب - القاهرة، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- في التداولية المعاصرة والتواصل، أ.مولز وك. زيلتمان وك.أوريكيوني، ترجمة وتعليق: د.محمد نظيف، دار أفريقيا الشرق - المغرب، ط ١، ٢٠١٤م.
- في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، د. خليفة بوجادي، بيت الحكمة - الجزائر، ط ١، ٢٠٠٩م.

(القاف)

- القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر، وأن ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين - إشراف: عز الدين المجذوب، مراجعة: خالد ميلاد، دار سيانتر - المركز الوطني للترجمة تونس، (د. ط)، ٢٠١٠م.
- القصديّة بحث في فلسفة العقل، جون سيرل، ترجمة: د. أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي - بيروت، (د. ط)، ٢٠٠٩م.

(الكاف)

- الكامل في التاريخ، ابن الأثير (٦٣٠هـ)، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ٢٠١٢م.
- الكتاب، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة - مصر، ط ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، الإمام الحافظ أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبه الكوفي العبسي (ت ٢٣٥هـ)، تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت، دار التاج - بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان - الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(اللام)

- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر بيروت - لبنان، ط ٢، (د.ت.).
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط ١، ١٩٩٨م.
- لسانيات الخطاب مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، لبنان - بيروت، المغرب - الدار البيضاء، ط ١، ١٩٩١م.
- اللسانيات العربية مراجعات وتطبيقات، د. نعيمة سعدية، الإشراف العام: طيب بوقراط، ألفا للوثائق - قسنطينة - الجزائر، ط ١، ٢٠٢٠م.
- اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبعة، الدار البيضاء - المغرب، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.
- اللغة والسلطة، نورمان فيركلف، ترجمة: محمد عناني، المركز القومي للترجمة - القاهرة، ط ١، ٢٠١٦م.

(الميم)

- مبادئ التداولية، جيوفري ليتش، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق - المغرب، (د. ط)، ٢٠١٣م.
- متن اللغة، الشيخ أحمد رضا، دار مكتبة الحياة - بيروت، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، قدّم له وعلق عليه: د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، دار نهضة للطبع والنشر، مصر، ط٢، (د.ت).
- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني (ت٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (د. ط)، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
- المحاجة والإقناع في القرآن الكريم دراسة وتحليل، أحمد حسين خشان الهاشمي، دار الوارث - كربلاء - العراق، (د. ط)، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- المحبر، أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥هـ)، اعتنى بتصحيحه: د. إيلزة ليختن شتيتز، دار الافاق الجديدة - بيروت، (د. ط)، (د.ت).
- المدارس اللسانية المعاصرة، د. نعمان بوقرة، مكتبة الآداب - القاهرة، (د. ط)، (د.ت).
- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، شمس الدين سبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ)، تحقيق: د. محمد بركات، وكامل الخراط، وعمّار ربحاوي، دار الرسالة العالمية - دمشق، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت٣٤٦هـ)، اعتنى به وراجعته: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- المستقصى من علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- المستقصى في أمثال العرب، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند، ط١، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.

- مسند إسحاق بن راهويه، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم النحظلي المروزي المعروف بابن راهويه (ت ٢٣٨هـ)، تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة النور - المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط ١، ١٤١٨ - ١٩٩٧ م.
- مشاهير قادة العالم فون مولتكه (ت ١٨٩١هـ)، أبو بسام العسلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ط ١، ١٩٨١ م.
- المشيرات المقامية في اللغة العربية، نرجس باديس، مركز النشر الجامعي، ٢٠٠٩ م.
- المطول على التلخيص، سعد الدين التفتازاني، مطبعة سنده، (د. ط)، ١٣١٠ هـ.
- المعارف، ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: د. ثروت عكاشة، دار المعارف - القاهرة، ط ٤، ١٩٨١ م.
- معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٣هـ)، دار صادر - بيروت، (د. ط)، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
- معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة، د. محمد محمد داوود، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، (د. ط)، ٢٠٠٣ م.
- المعجم الكبير، سليمان أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط ٢، (د. ت).
- معجم اللغة العربية المعاصر، أحمد مختار عمر، عالم الكتب - القاهرة، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- معجم مصطلحات أصول الفقه، د. قطب مصطفى سانو، قدّم له وراجعته: أ. د محمد رؤاس قلنجي، دار الفكر - دمشق، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو، جيل دلوز، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، الدار البيضاء - المغرب، ط ١، ١٩٨٧ م.

- المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، د. محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، بيروت - لبنان، ط ٢، ٢٠٠٧م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا - بيروت، (د. ط)، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- المقاربة التداولية، فرانسواز ارمينيكو، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط - المغرب، (د. ط)، ١٩٨٦م.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للنشر والتوزيع، (د. ط)، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط ٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م.
- مقدّمة في نظريات الخطاب، ديان مكدونيل، ترجمة وتقديم: د. عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، مصر - القاهرة، ط ١، ٢٠٠١م.
- المنتخب من وصايا الآباء للأبناء، وائل بن حافظ بن خلف، مصر، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- الموشى أو الظرف والظرفاء، محمد بن يحيى الوشاء أبو الطيب، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي - القاهرة، (د. ط)، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

(النون)

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ)، تحقيق: محمد البرهامي منصور وآخرون، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ١، ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م.
- النداء في اللغة والقرآن، د. أحمد محمد فارس، دار الفكر اللبناني، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- النص والخطاب والاتصال، د. محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر - القاهرة، (د. ط)، ٢٠١٤م.
- النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ترجمة: د. تَمّام حسان، عالم الكتب - القاهرة، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق - المغرب، (د. ط)، ٢٠٠٠م.
- نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، أوستين، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق - المغرب، (د. ط)، ١٩٩١م.
- النظرية الألسنية عند رومان جاكسون دراسة ونصوص، فاطمة الطبال بركة، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة في المفاهيم والنشأة والمبادئ، د. محمود عكاشة، مكتبة الآداب، القاهرة - مصر، ط ١، ٢٠١٣م.
- النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، د. محمد طروس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء - المغرب، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، د. محمد الناصر العجيمي، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، صفاقس - تونس، ط ١، ١٩٩٨م.
- نكت الهميان في نكت العميان، صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أ. أحمد زكي بك، المطبعة الجمالية بمصر، (د. ط)، ١٣٢٩هـ - ١٩١١م.

- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ)، تحقيق: أ. عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، تح: د. نصر الله حَاجي مفتي أوغلي، دار صادر - بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(الهاء)

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(الواو)

- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- الوزراء والكتّاب، محمد بن عبدوس الجهشياري (ت ٣٣١هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - القاهرة، ط ١، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.
- وصايا الأدباء والخلفاء والحكماء في العصر العباسي دراسة فنية، د. روناك توفيق علي النورسي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ٢٠٠٧م.
- الوظائف التداولية في اللغة العربية، د. أحمد المتوكل، دار الثقافة، المغرب - الدار البيضاء، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، د. يوسف تغزاوي، دار الكتب الحديث، إربد - الأردن، ط ١، ٢٠١٤م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت، (د. ط)، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

- وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة للنشر والتوزيع - القاهرة، ط ٢، ١٣٨٢هـ.
- ولاة مصر، محمد بن يوسف الكندي، تحقيق: د. محمد حسين نصّار، دار صادر - بيروت، (د. ت.).

(الرسائل والأطاريح)

- آليات الحجاج في خطب أبو بكر الصديق (جمهرة خطب العرب) نموذجاً، قيرواني زينب، وطلاب رزيقة، (رسالة ماجستير) جامعة العقيد أكلي محند أولحاج - الجزائر، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٦-٢٠١٧م.
- استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي الشريف، دليلة قسمية (رسالة ماجستير)، جامعة الحاج لخضر باتنة - الجزائر، ٢٠١١-٢٠١٢م.
- استراتيجيات الخطاب في النشيد الوطني - دراسة تداولية، يونس فضيلة (رسالة ماجستير)، جامعة مولود معمري تيزي وزو - الجزائر، (د. ت.).
- أسلوب الشرط في خطب العرب ووصاياهم في كتاب جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت، رسمية محمد الشراونة، (رسالة ماجستير)، جامعة الخليل - فلسطين، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- الأفعال الكلامية في مستدرك نهج البلاغة للشيخ هادي كاشف الغطاء، منارس طالب كاظم، (رسالة ماجستير)، جامعة المثني كلية التربية للعلوم الإنسانية، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.
- بنية الخطاب الحجاجي في كلية ودمنة لابن المقفع، حمدي منصور جودي، (اطروحة دكتوراه)، جامعة محمد خيضر - بسكرة - الجزائر، ٢٠١٥ - ٢٠١٦م.
- البيان في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي، فطيمة بلخير (رسالة ماجستير)، جامعة محمد خضير - بسكرة - الجزائر، ٢٠١٤-٢٠١٥م.
- تداولية النص الشعري جمهرة أشعار العرب نموذجاً، شير رحيمة (اطروحة دكتوراه) جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية - الجزائر، ٢٠٠٨-٢٠٠٩م.

- التوكيد النحوي في خطب العرب ووصاياهم في كتاب جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت دراسة نحوية دلالية، أيمن سلامة محمد صعلوك، (رسالة ماجستير)، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، كلية الدراسات العليا قسم اللغة العربية- عمان، ٢٠١٤م.
- الحجاج والمغالطة دراسة تداولية في سورة الفرقان، جدي إيمان، وروابي أحلام (رسالة ماجستير)، جامعة العربي التبسي - الجزائر، ٢٠١٦-٢٠١٧م.
- الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة - دراسة تداولية، ابتسام بن خراف (اطروحة دكتوراه)، جامعة الحاج لخضر باتنة- الجزائر، ٢٠٠٩-٢٠١٠م.

الدوريات:

- الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، أ.م.د. إدريس مقبول، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد الثامن، العدد (٢/١٥) لسنة ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
- استراتيجيات الخطاب عند الإمام الحسين (عليه السلام) دراسة تداولية، آلاء محمد لازم، ويحيى ولي حيدر، جامعة بغداد - كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، الجزء: ٣، العدد: ٤٣، ١٩٩٧م.
- الاستلزام الحواري في سورة البقرة - دراسة وصفية تحليلية تداولية تداولية، حجر نورما وحيدة (بحث جامعي)، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج، كلية العلوم الإنسانية والثقافة قسم اللغة العربية، ٢٠٠٩-٢٠١٠م.
- الاقتضاء التداولي وأبعاده الخطابية في تراكيب القرآن الكريم، د. عماد عبد يحيى الحياي، ود. أشواق محمد إسماعيل النجار، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد: ١٥، العدد: ١، كانون الثاني لسنة ٢٠٠٨م.
- الاقتضاء في التداول اللساني، د. عادل فاخوري، مجلة عالم الفكر الكويت، المجلد العشرون، العدد الثالث، لسنة ١٩٨٩م.
- تداولية الحدث الكلامي - شعر أبي نواس نموذجاً- م. د. علي متعب جاسم، و م. م حسين عمران محمد، مجلة ديالى، العدد: ٦٧، لسنة ٢٠١٥م.

- تشكّل أنواع الاستراتيجيات الخطابية - دراسة في الأهداف والوسائل، د. حمدي منصور جودي، جامعة محمد خيضر - بسكرة، مجلة كلية الآداب واللغات، العدد: ٢١، لسنة ٢٠١٧م.
- التعبيرات الاصطلاحية ودورها في إعداد المعجم اللغوي المعاصر، د. بانا بلال شباني، جامعة تشرين، اللاذقية - سورية، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد ٣٩، العدد ٥، ٢٠٠٧م.
- التظاهرات التداولية في البلاغة العربية، د. رابح خوية، جامعة محمد البشير الإبراهيمي، برج بوعرييج - الجزائر، الأرشيف العربي العلمي.
- شعرية اللغة في نثر العصر الأموي، ناديا جبر، جامعة البعث سوريا، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العام الخامس، العدد: ٣٧، يناير لسنة ٢٠١٨م.
- العناصر التداولية التواصلية في العملية التعليمية، د. لبوخ بوجملين، وأ. شيباني الطيب، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة- الجزائر، العدد ١٠، مارس ٢٠١١م.
- نشأة الحجاج، د حامد ناصر الظالم، ود. عايد جدوع حنون، جامعة البصرة - كلية التربية للعلوم الإنسانية، مجلة آداب البصرة، العدد: ٧٣، لسنة ٢٠١٥م.

(المواقع الالكترونية على شبكة الانترنت)

- دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم - مقارنة تداولية، أ. بوفرومة حكيمة، مصدر البحث:

<http://Revue.ummt0.dz/Index.php/Khitab/article/view>

- عاملية أدوات النفي الحجاجية، سليمة محفوظي، مقال على الإنترنت:

<https://Nooreladab.net /Articles/1 /19/>

Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Al-Muthanna University

College of Education for Humanities

Department of Arabic



**Strategies of Deliberative Discourse IN The Arab Community of
Speeches**

A THESIS

**Submitted to the Council of the College of Education for
Humanities, University of Al-Muthanna in Partial Fulfillment for
Requirements of the Degree of Master of Arabic Language and its
Literature/Language**

By

Maryam Salman Mahdi Jabbar

Supervised By

Prof.Dr.Ayid Jaddou Hanoon

2021 A.D

1442 A.H

ABSTRACT

The study aimed to analyze the speeches of the Arabs in order to identify the effectiveness and effect of the strategies that the Arabs followed in completing their speeches.

The researcher used the deliberative and analytical method to analyze the speeches of the Arabs, and to achieve the objectives of the study, she read the entire book of the Arab community to demonstrate the extent of the effectiveness of the discourse strategy used in speeches and its suitability in persuading the recipient.

The result of the study revealed the diversity of discourse strategies in the book, the speeches society of the Arabs, according to the context, circumstances of the speech.

The book contained four major and important strategies: (the solidarity strategy, the guiding strategy, the hinting strategy, and the persuasion strategy, it is the one who determines the strategy chosen by the sender of the speech in communicating his intention to the recipient and the researcher has reached new strategies, including the deliberative imperative within the hinting strategy, the tail strategy within the solidarity strategy and the protest mechanism within the persuasive strategy.